سلاف الثقافية
العدد (14) ديسمبر 2025

ملف العدد

ملـــف العـــــدد
التراث الثقافي

التقاطة/ سمير عبد الفتاح

بـــــوصـــلـــة

رئيس التحرير

بـلال قايــد

بدأت مجلة سلاف كحلم ثقافي يهدف إلى خلق مساحة للإبداع والجمال ، ولكن الطموح لم يتوقف عند حدود الصفحات الرقمية ، ومع اقترابنا من عام 2026 ، وضع فريق العمل نصب عينيه اهداف طموحة تهدف إلى تحويل هذا المشروع من «مجلة» إلى مؤسسة ثقافية شاملة ودار نشر ، تساهم في صياغة المشهد الثقافي اليمني.

إن الرؤية التي يحملها فريق «سلاف» لعام 2026 تتجاوز نقل الخبر أو نشر المقال؛ نحن نهدف إلى بناء هيكل مؤسسي يتبنى المبدعين. من خلال تأسيس :

مؤسسة سلاف للتنمية الثقافية والفنون: لتكون مظلة تنظم الندوات ، الورش التدريبية ، والملتقيات الأدبية التي تجمع المثقفين بالجمهور.

دار سلاف للنشر: مشروعنا الذي سيعنى بطباعة الكتب النوعية ، مع التركيز على دعم الأقلام الشابة وتقديم محتوى يليق بأن نقدمه للجمهور اليمني والعربي.

ماذا بعد؟

نؤمن في فريق «سلاف» أن العالم يتجه نحو «الاقتصاد المعرفي» ، حيث لا تمثل الثقافة رفاهية ، بل هي محرك أساسي لنا ، ونطمح أن تكون «سلاف» العلامة الفارقة التي تضمن جودة المحتوى وعمق الطرح ، محققةً التوازن الصعب بين الأصالة والحداثة.

«إن طموحنا ليس مجرد توسع في الحجم ، بل هو تعميق للأثر. نحن لا نبحث عن جمهور فقط ، بل نبحث عن شركاء في رحلة النهوض.

إن التحول من مجلة إلى مؤسسة ودار نشر هو وعدٌ قطعه فريق «سلاف» لنفسه ، هو انتقال من وصف الواقع الثقافي إلى المشاركة في صنعه ، نحن نسير بخطى واثقة نحو 2026م ، محملين بالشغف والإيمان بأن الثقافة هي الجسر الأقوى نحو المستقبل.

سُلاف الثقافية

مجلة شهرية ثقافية، فنية،منوعة

العدد (14) ديسمبر 2025

إشراف عام
أوس الإرياني

رئيس التحرير
بلال قايد

مدير التحرير
محمد النظاري

هيئة التحرير
مها شجاع الدين
رانيا الشوكاني
محفوظ الشامي

الدراسات النقدية، والأبحاث
عبدالوهاب سنين

المحررون
انتصار السري
عبد الرزاق الكميم
عبد الله حمود الفقيه

المراجعة اللغوية
د. أميرة شايف
أمة المولى القادري

علاقات عامة وإعلان
محمد السناب

تصميم المجلة
رانيا الشوكاني

شروط النشر

ترحب المجلة بمقالاتكم ، ودراساتكم ، وأبحاثكم في الثقافة ، والفكر ، والأدب ، والفنون ، والنصوص ، والقصائد ، والقصص القصيرة.

١- أن تكون المواد المرسلة خالية من الأخطاء الإملائية.

٢- أن ترسل المواد في ملف وورد مذكور فيه عنوان المادة ، واسم الكاتب.

٣- ألا يزيد حجم المقالة أو الدراسة أو البحث عن ١٢٠٠ كلمة كحد أقصى ، وألا تقل عن ٥٠٠ كلمة ، وأن ترفق بالمصادر إن وجدت.

٤- ألا تقل القصص القصيرة عن ٥٥٠ كلمة ولا تزيد عن ٧٠٠ كلمة.

٥- ترحب المجلة بالمواد المترجمة من لغات أخرى ، على أن تتضمن اسم الكاتب الأصلي للمقالة واسم المصدر الأصلي للمادة المترجمة.

٦- الإشارة بشكل واضح إذا كانت المادة قد نشرت من قبل أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

٧- في الوقت الراهن المجلة لا تدفع مقابل الإنتاج الفكري.

أبواب ثابتة

بوصلة
بلال قايد 1

زاوية مشوشة
عبير اليوسفي 15

قصاصات ملونة
بدر بن عقيل 16

بواكير
وجدي الأهدل ٣٥

مفاتيحي إلى عوالمهم
علي العجري ٤١

بروفايل
سماح الحرازي ٤٨

تأملات
دلال غانم ٥٢

ثقافة صحية
ليلى حسين ٥٦

الموروث الشعبي
نوال القليسي ٥٨

شوية شغف
إبراهيم طلحة ٦٢

نقطة ضوء
نادي القصة ١٠٧

سلاف القول
أوس الإرياني ١١٦

عناوين البريد الإلكتروني:

الإعلانات: ads@sulaf.org
إرسال مواد للنشر: contact@sulaf.org
التواصل مع الكتّاب: articles@sulaf.org

fb.com/sulafmag
+967 733 517 751
contact@sulaf.org
www.sulaf.org
+967 783 794 861

المحتويات

ملف العدد 63

حوار/ منى الأصبحي

فاروق رزاز

شارع المطاعم.. قصة اليمن الكبير

عبد الرحمن مطهر

تناص على التناص

محمد الشرعبي

لام شمسية

باسل منصر

عن الشهرة والنجاح

د/ عبدالوهاب المقالح

فلسفة الذكاء الاصطناعي

وليد سند

نصـــــــوص

الأبيض والأسود

نادية محمد 18

دعوة

أبو عزام العيدروس 19

حلم يزهر

محمد فقيه 19

برق البشاير

وليد الجبري 34

مآسي من الشوق

حسين إبراهيم 34

توبة إبليس

د/ أحمد قاسم العريقي 39

التفاحة الرابعة

عادل عطية.....47

طبيب بارع

شعيب الحربي 105

الثغاء الأحير

طارق زبارة 106

سلاف الثقافية
العدد(14) - ديسمبر - 2025

افتتاح معرض «فواتير الأحلام» للفنانة التشكيلية حياة مقبول في المركز الثقافي اليمني بالقاهرة

افتتح في المركز الثقافي اليمني بالقاهرة ، المعرض التشكيلي الشخصي الأول للفنانة والأكاديمية الدكتورة حياة مقبول ، تحت عنوان «فواتير الأحلام».

وخلال الافتتاح قال نائب مدير المركز الثقافي اليمني في القاهرة ، في كلمته إن المعرض يجسد قصة من قصص الإبداع اليمني في المهجر ، ويعكس شغف الفنانة حياة مقبول ، بفن الرسم التشكيلي ، الذي سخّرته لتوثيق الجمال اليمني بأبعاده التراثية والإنسانية.

وبعد قص شريط الافتتاح ، اصطحبت الفنانة د. حياة مقبول الحضور في جولة فنية متنقلة بين لوحاتها ، موضحة تفاصيل أعمالها التي حملت مضامين عميقة تعبّر عن تمسك الإنسان اليمني بأرضه وهويته ، وعن عشقه لتراب وطنه رغم كل ما يواجهه من تحديات ومحن.

وجسد المعرض فلسفة ، قبول ، في الحياة والإبداع ، وترجمت من خلال تبني فكرة «الفواتير المؤجلة» ، الثمن الإنساني والزمني الذي يدفعه المبدع في سبيل تحقيق أحلامه.

كما حرصت في رسالة المعرض على إبراز حقيقة أن الأسعار الرمزية التي وُضعت للوحات لا تعبّر عن قيمتها المادية ، بل عن ما بذلته من شغف ووقت ووجدان في إنجازها ، في رسالة فنية تعتبر أن لكل حلم «كشف حساب» حتى وإن تأخر سداده.

وتنوّعت اللوحات في المعرض ، بين مشاهد واقعية ورمزية تستحضر ملامح اليمن ، من معمارها القديم وزخارفها الهندسية ، وحضور الناس البسطاء بارواحهم قبل أجسادهم ، ووثقت جانبا من ذاكرة المدن الساحلية والجبلية.

وبرعت مقبول ، في دمج هذه العناصر في تكوينات فنية متقنة تتقاطع فيها الألوان الدافئة مع الحنين ، مما أكسب الأعمال طابعًا فنيًا وإنسانيًا فريدًا.

وتجلّت في عدد من اللوحات لمسات المدرسة الجداريّة التي تخصّصت فيها الفنانة مقبول ، خلال دراستها العليا ، حيث اعتمدت التوازن بين التكوين التشكيلي والتعبير الرمزي ، في أسلوب يمزج بين الواقعية والانطباعية المعاصرة.

ويُعد معرض «فواتير الأحلام» محطة فارقة في مسيرة الفنانة مقبول ، إذ يسلط الضوء على تجربتها الطويلة بين التدريس والدراسة والعمل الفني ، وعلى الأحلام التي ظلّت تنتظر أن يأتي موعد تحققها.

أهازيج البراعم» للشاعر أحمد النظامي جديد إصدار الهيئة العامة للكتاب

ضمن سلسلة إصدارات الهيئة ، صدر مؤخرا عن الهيئة العامة للكتاب بصنعاء ، ديوان شعري جديد للشاعر أحمد النظامي بعنوان «أهازيج البراعم».

يتوزع الديوان على 84 صفحة من القطع المتوسط ، ويضم نصوصا شعرية تربوية موجهة للأطفال ، تهدف إلى غرس القيم القرآنية ومفاهيم الخير والنقاء في نفوس البراعم ، بأسلوب سلس ولغة شاعرية.

وترافق نصوص الديوان رسوم للفنانة التشكيلية الجزائرية سلوى علو ، فيما تولى تصميمه الشاعر والناقد جميل مفرح.

وقدم للديوان رئيس الهيئة العامة للكتاب عبدالرحمن مراد ، مؤكدا أن العمل يمثل إضافة نوعية للمكتبة اليمنية ، ويسد فراغا واضحا في مجال أدب الطفل.. مشيدا بمحتواه وقدرته على مخاطبة خيال الطفل وتنمية ذائقته الجمالية وبناء وجدانه.

ويعد ديوان «أهازيج البراعم» خطوة مهمة في دعم ثقافة الطفل اليمني ، وتجربة شعرية جديرة بالاهتمام في مجال أدب الناشئة.

فوز لوحة الفنان عابد أنور من اليمن في مشروع «هل تراني؟»

اختارت لجنة تحكيم قمرية للفنون لوحة عابد لتُعرض في متحف CICA بكوريا الجنوبية ، خلال الفترة من ٣-٢٨ ديسمبر ٢٠٢٥م.

وفي حديث عن مشروع قمرية للفنون تحدثت الفنانة التشكيلية الأستاذة سحر اللوذعي عن المؤسسة قائلة: كمؤسسة لهذا المشروع ، أشعر بالفخر برحلته التي بدأناها في فلوريدا ، وامتدت إلى بروكلن ، ثم مانهاتن وصولًا الى كوريا الجنوبية ، ليصل بالفن العربي إلى العالمية ويمنح الأطفال والفنانين الشباب منصة للتعبير عن تجاربهم الإنسانية والفنية في زمن الصراعات.

هذا وسيتم تقديم عرض خاص للمشروع في مانهاتن ضمن فعالية Art in Action New York 2025 ، إضافةً إلى إدراج المشروع في كتاب New Media Art 2027 الصادر من متحف CICA.

تتويج الفنانة اليمنية أبرار الحنّاني بلقب أفضل عازفة بيانو في دبي

في إنجاز يعكس حضور المواهب اليمنية في الساحة الفنية العربية ، حققت الفنانة اليمنية عازفة البيانو أبرار الحنّاني اتجازًا جديدًا للفن اليمنيحيث فازت بالمركز الأول في مسابقة موسيقى الشباب بدبي ، متوجة بلقب أفضل عازفة بيانو وموزّعة موسيقية شابة.

دورة في مجال الرسم في الجمعية العربية للفنون في أمريكا

يستمر الفنان التشكيلي اليمني الأستاذ ردفان المحمدي في تعزيز مسيرته الفنية وكذلك في حصور دور الفن في المجتمع ، حيث قدم في الجمعية العربية الأمريكية في بروكلين وبالتعاون مع Dimah Art دورة في الرسم.

هذا وقد هدفت تلك الدورة إلى إبراز أهمية الفن كمساحة للوعي والثقافة ، وفتح آفاق جديدة أمام المشاركين لاستكشاف أدوات التعبير الإبداعي

إشهار رابطة إب الأدبية في مدينة إب

في حفل ثقافي في مدينة إب تم إشهار رابطة إب الأدبية والتي تعتبر أول منجز أدبي يضم مبدعي إب ، والاحتفاء بأول إصدار للرابطة مجموعة قصصية مشتركة لأعضاء الرابطة «مسارج إب».

هذا وقد أقيم الاحتفال برعاية مكتب الثقافة في المحافظة ممثلا بالأستاذ الأديب عبد الحكيم مقبل ، وحضر حفل الإشهار عدد من مبدعين وأدباء مدينة إب.

فوز الروائية اليمنية نادية الكوكباني بجائزة نجيب محفوظ للرواية

حصدت الروائية اليمنية نادية الكوكباني جائزة نجيب محفوظ لأفضل رواية عربية للعام 2025.

جاء ذلك خلال إعلان أسماء الفائزين بجائزة مسابقة نجيب محفوظ للرواية في مصر والعالم العربي لعام 2025 ، وزارة الثقافة ، المجلس الأعلى للثقافة ، وتحت رعاية الأستاذ الدكتور/ أحمد فؤاد هنو وزير الثقافة ، والأستاذ الدكتور/ أشرف العزازي الأمين العام للمجلس الأعلى للثقافة ، بالإعلان عن أسماء الفائزين بجائزة مسابقة نجيب محفوظ للرواية في مصر والعالم العربي لعام 2025.

وجاءت النتائج على النحو التالي:

جائزة أفضل رواية مصرية (وقيمتها 75,000 جنيه): ونالها: الكاتب الروائي/ شريف سعيد محمد سليمان (شريف سعيد) عن رواية «عسل السنيورة». جائزة أفضل رواية عربية (وقيمتها 75,000 جنيه): ونالتها: الكاتبة الروائية اليمنية/ نادية يحيى حسين الكوكباني (نادية الكوكباني) عن رواية «هذه ليست حكاية عبده سعيد».

وتعد المسابقة من أهم المسابقات الأدبية التي يتم تنظيمها في الوطن العربي؛ حيث تلقت إدارة المسابقات بالإدارة المركزية للشعب واللجان الثقافة برئاسة أ. وائل حسين هذا العام عدد كبير من أعمال المتقدمين وصل إلى 132 رواية ، بواقع 102 رواية مصرية و30 رواية عربية.

وجدير بالذكر أن جائزة نجيب محفوظ للرواية تُعد من الجوائز الأدبية السنوية التي ينظمها المجلس الأعلى للثقافة ، تهدف إلى دعم الإبداع الروائي في مصر والعالم العربي.

وتحمل الجائزة اسم الأديب العالمي الحائز على جائزة نوبل نجيب محفوظ ، أحد أعمدة السرد الإنساني ، تأكيدًا على قدرة الرواية العربية على العبور إلى آفاق إنسانية رحبة.

فوز المصور الفوتوغرافي علي السنيدار في مسابقة زايد للإبداع للتصوير

أعلن المصور الفوتوغرافي اليمني علي السنيدار عن فوز ثلاث صور من صوره في مسابقة فن التصوير ضمن مشاركته في مسابقة مؤسسة زايد للإبداع الدولية للتصوير الفوتوغرافي وقد قال المصور علي السنيدار وصلني أميل من فريق إدارة مسابقة مؤسسة زايد للإبداع الدولية للتصوير الفوتوغرافي يعلمني بخبر فوز صوري في مسابقة زايد للإبداع.

عدن تحتفل بأيامها الفنية وعروض عدد من الافلام القصيرة

دشنت مؤسسة عدن «آرت ديز» أيام عدن الفنية ، وعروض الافلام القصيرة وجلسة نقاشية مع المخرجين ، وكذلك عرض لوحات فنية تشكيلية لعدد من الفنانين التشكيلين اليمنين ، هذا وقد استمرت الفعاليات سته أيام متتالية.

وقد حضر يوم الافتتاح كل من الموسيقار الموسيقار أحمد بن غودل مدير عام مكتب الثقافة بعدن ، ومدير العلاقات العامة في مكتب الثقافة الأستاذ نزار القيسي والإعلامي عبدالسلام الشريحي ، والممثل والمخرج هديل ابو أصيل. في أيام عدن الاتي احتضنت ليالي تُروى فيها القصص بعدسات ششبابها الأفلام

القصيرة فتحت مساحة أمام جمهور يقدر الصورة والحكاية.

وفي أول عرض لتلك الأيام تم عرض فيلم "المرآة السحرية" الذي قدم صورة مختلفة ، وسرد يجمع بين الواقع والخيال ، الليلة الثانية تم عرض فيلم "حلم غريق" يأخذنا إلى عمق حكاية ترى وتحس ، لقطات تمشي بخفة... وتحمل داخلها عالمًا كاملًا

واليوم الثالث عرض فيلم "أستطيع أن أشعر" ، الذي صنع عالمه الخاص بالحركة واللون ، إبداع بصري يضيف روحه الفريدة على مساحة العرض ، تالها عرض فيلم "تفاحة آدم" الذي فتح باب آخر للفكرة والخيال ، عدسة جريئة تقدم رؤيتها بصوت واضح وإحساس صادق تلها عرض فيلم "الجميلة" الذي يفتح أولى حكايات الليلة ، بلقطة صادقة ورؤية تنبض بروح صانعها ومن ثم تم عرض فيلم "جدار الأمنيات" يأخذنا إلى مساحة ترى فيها الأمنيات شكلًا جديدًا ، صورة تحمل أثرًا... وصانع يضع حلمه أمام الجمهور لأول مرة ، وفي آخر ليلة تم عرض فيلم "قف للمعلم" الذي يروي حكاية بعيون مختلفة ، ويعيدنا إلى لحظات تصنعنا.

مشروع تطوير المسرح المدرسي في وادي حضرموت

رفعت الستارة عن نتيجة مدارس وادي حضرموت ضمن مشروع تطوير المسرح المدرسي بنسخته الثانية. واجتازت النصوص المشاركة التقييم ، وأثبتت حضورها ، لتكون ضمن الأعمال التي ستواصل المشوار في مراحل المشروع القادمة ، في تجربة تُعيد للمسرح المدرسي هيبته وتأثير.

تأتي هذه النتائج ثمرة لعمل مشترك يقوده قسم المسرح بمؤسسة حضرموت للثقافة ، بالتعاون مع مكتبي وزارة التربية والتعليم بمحافظة حضرموت وفروعهما في المديريات المستهدفة.

وتواصل مؤسسة حضرموت للثقافة ترسيخ رؤيتها في بناء جيل مسرحي مدرسي واع ومؤهل ، مستندة إلى نجاح النسخة الأولى ، وماضية في تحويل المدارس إلى بيئات حاضنة للإبداع ، حيث تُكتشف المواهب ، وتُنمّى ، وتُمنح الفرصة لتقف بثقة على خشبة المستقبل.

روايات الدورة الثالثة لحزاوي في مكتبة الهيئة العامة للكتاب في صنعاء

قامت الدكتورة والروائية نادية الكوكباني رئيسة جائزة السرد اليمني حزاوي بزيارة إلى الهيئة العامة للكتاب في صنعاء ، حيث التقت بالأستاذ عبدالرحمن مراد ، رئيس الهيئة العامة للكتاب ، وأودعت في مكتبة الهيئة خمس نسخ من روايات الدورة الثالثة لعام ٢٠٢٥ ، وهي:

- «غربان العنبرود» لهشام المهدي و«حب بنكهة الموت» لأمة الخالق الظفيري و «الهروب الأخير» لأحمد المفلحي و«أنين التابوت» لمحمد التبالي و«رماديتي» لغرام الجرموزي

وقد عبّر مدير عام هيئة الكتاب عن سعادته بإضافة هذه الأعمال الروائية إلى مقتنيات المكتبة الأدبية ، شاكرًا القائمين على الجائزة هذا النشاط الثقافي ودعمهم للمواهب السردية ، ومتمنيًا لهم التوفيق والمزيد من الإبداع والإنتاج.

كما ستُتاح الروايات المذكورة للتنزيل من موقع الجائزة قريبًا ، وتدعو إدارة الجائزة القرّاء والنقاد إلى قراءة هذه الأعمال والكتابة النقدية عنها ، تمهيدًا لنشرها في موقع الجائزة وصفحتها على فيسبوك.

أكاديمية الفنون تحتضن المؤتمر الصحفي لاحتفالية الأديب علي أحمد باكثير

عقد في أكاديمية الفنون بالقاهرة المؤتمر الصحفي الخاص باحتفالية الأديب الكبير علي أحمد باكثير - رحمه الله - والتي تنظمها مؤسسة حضرموت للثقافة ، بالتعاون مع مؤسسة ضي للثقافة والإعلام ، تحت شعار: «احتفالية باكثير: 115 عامًا من التأثير».

وفي المؤتمر الذي حضره جمع من المهتمين في مصر ، إلى جانب نخبة من المثقفين والأدباء والإعلاميين من مصر واليمن والعالم العربي ، تم عرض مقتطفات من فيلم المخرج الكبير أحمد فؤاد درويش بعنوان «باكثير عطاء كثير» ، كما أعلن المخرج المسرحي أحمد فؤاد ، عن عرض مسرحي جديد سيُقدَّم على المسرح الكبير بدار الأوبرا المصرية ، في 22 ديسمبر ، احتفاءً بإرث باكثير الأدبي والفني.

كما شهد المؤتمر ، الذي أجاب خلاله عضو مجلس الأمناء في مؤسسة حضرموت ، د. عبدالله بانخر ، على أسئلة الحضور ، تم تكريم عدد من الشخصيات البارزة ، تتقدمهم الدكتورة غادة جبارة رئيسة الأكاديمية ، والمخرج أحمد فؤاد درويش ، والإعلامية ، عبير أحمد عبدالوهاب ، التي أدارت المؤتمر بكفاءة واقتدار.

واختُتم اللقاء بالتأكيد على استمرار الفعاليات القادمة التي ستكشف المزيد من جوانب هذه الاحتفالية الغنية والمتعددة ، احتفاءً بمسيرة أديب جمع في فكره بين الأصالة الحضرمية اليمنية ، وامتدادها العربي ، والإسلامي ، والإنساني.

تعز تبتهج شعرًا وتولد قصيدة برعاية إرم وأوار ومركز اليمن الحديث

نظمت مؤسسة إرم للتنمية الثقافية والإعلامية ومؤسسة أوار للعدالة والتنمية ومركز اليمن الحديث صباح اليوم ، فعالية شعرية تحت عنوان «صباحات تعزية » ، شارك فيها نخبة من الشعراء المتميزين

ومثلت الفعالية تظاهرة ابداعية من أجيال ومدارس شعرية مختلفة ، بحضور فاعل من جمهور الشعر والابداع ، ألقى فيها الحاضرون عددا من القصائد التي تمثل خلاصة تجاربهم الشعرية ، ما بين الحب والحرب والواقع اليومي.

وفي تصريح لرئيس مؤسسة إرم قال إن هذا اليوم يمثل يوما متميز بحضور قامات شعرية لها حضورها في المشهد الثقافي والابداعي اليمني مؤكدا دعم إرم المستمر لإعادة المشهد الشعري والابداعي للواجهة والحياة اليومية في تعز بشراكة مع مؤسسات ثقافية فاعلة كما هي فعالية اليوم التي كانت ثمرة شراكة مع مؤسسة أوار للعدالة والتنمية ومركز اليمن الحديث.

ديوان الشاعر «حيدر آغا» جديد الدكتور إبراهيم أبوطالب

انتهى الدكتور إبراهيم أبو طالب من جمع ودراسة وتحقيق ديوان الشَّاعر «حيدر آغا»

حيث يمثل ديوان (حَيْدَر آغَا بن محمد الرومي الصنعاني اليمني) (ت1070ه/ 1659م) نتاج شاعر مبدع كبير من أصول تركية ، لكنه يمُني المولد والنشأة والروح ، والحياة والوفاة ، عاش في (صنعاء) ، وترك بصمةً واضحة في الشِّعر الغنائي اليمني في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي.

اشتهر بقصائده التي أصبحت أساسًا لأغانٍ يمنيةٍ واسعة الانتشار مثل الأغاني الآتية:

أغنية (مَن يبلِّغ غزالٌ رامَه) ،

وأغنية (عليك وا ناقض لتلك العهود) ،

وأغنية (حوى الغنج والتفتير والسِّحر أحومه) ،

وأغنية (بلّغ الأحباب عنا يا نسيم) ،

وأغنية (رسولي قُوم بلِّغ لي إشارة) ،

وأغنية (شَاقَني صوت الحمامة) ،وغيرها.

ويضمُّ الديوان (76) قصيدة ومقطوعة بلغ مجموع أبياتها (562) بيتًا ، تتوزع بين الشعر الحُميني العامي ، والحِكمي الفصيح.

فيلم يمني يشارك في مهرجان دولي بالهند من إخراج محمد طالب

يشارك فيلم يمني قصير ، من تأليف وإخراج محمد طالب وبمساندة مساعدة المخرج مروى السيد ، في مهرجان دولي للأفلام يُقام في الهند ، بعد اختياره رسميًا من قبل لجنة التحكيم للمنافسة ضمن باقة من الأعمال السينمائية القادمة من مختلف دول العالم ، في خطوة تعكس حضورًا متناميًا للسينما اليمنية على الساحة الدولية.

وتدور أحداث الفيلم في إطار كوميدي إنساني حول مجموعة من الطلاب اللاجئين في فصل لتعليم اللغة الألمانية ، حيث يواجهون صعوبات في التعلم والاندماج ، ولا يجيدون سوى عبارة واحدة: «كل شيء واضح» ، ما يقود إلى مواقف طريفة ومتداخلة تتصاعد وصولًا إلى تدخل رئيس الوزراء لمحاولة فهم واقعهم.

ويقدم العمل طرحًا فنيًا يمزج بين السخرية والبعد الإنساني ، مسلطًا الضوء على التحديات التي يعيشها اللاجئون في البيئات الجديدة ، وما تتطلبه عملية الاندماج من دعم وجهود متواصلة ، فيما يأمل صُنّاع الفيلم أن يسهم تفاعل الجمهور في تعزيز فرصه بالمنافسة الدولية وتحقيق حضور متقدم ، بما يعكس تطور التجربة السينمائية اليمنية في المحافل العالمية.

وصول رواية «رماية ليلية» للروائي اليمني أحمد زين إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد

وصلت رواية رماية ليلية للروائي اليمني إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ زايد ، حيث كشفت الجائزة في مركز أبو ظبي للغة العربية عن القوائم الطويلة المرشحة للجائزة في دورتها العشرين لعام 2025-2026 لفروع «الآداب» و«المؤلف الشاب» و«أدب الطفل والناشئة» و«تحقيق المخطوطات» ، بالتزامن مع بدء لجان التحكيم العمل على التقييم الشامل لجميع المشاركات المرشحة للقوائم الطويلة.

القائمة الطويلة لفرع «الآداب» وضمت القائمة الطويلة لفرع «الآداب» 11 عنوانًا من 8 دول عربية هي المملكة العربية السعودية ، اليمن ، مصر ، العراق ، الجزائر ، الأردن ، الكويت ، لبنان ، والجدير بالذكر أن جائزة الشيخ زايد للكتاب جائزة سنوية مستقلة تمنح للأعمال الإبداعية والأدبية النوعية في مجالات مختلفة منها الأدب والفنون والعلوم الإنسانية ، وتدعم حركة الترجمة وبناء جسور الحوار الحضاري بين الشعوب. تأسست الجائزة عام 2006م

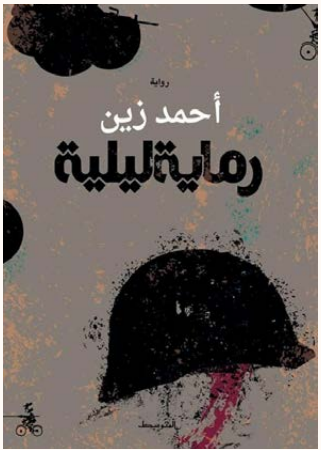

تأهل رواية «خمس منازل لله وغرفة لجدّتي» للروائي اليمني مروان الغفوري إلى الجائزة العالمية للرواية العربية

تأهلت رواية الروائي اليمني مروان الغفوري «خمس منازل لله وغرفة لجدتي» للقائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية 2026 ، وقد أعلنت الجائزة عن المتأهلين بالقائمة الطويلة تراتبياً حسب الناشر ، البلد ، الكاتب ، عنوان الرواية كما وردت في موقع الجائزة: منشورات حياة ، مصر ، أحمد عبد اللطيف ، أصل الأنواع ، دار الساقي ، السعودية ، أميمة الخميس ، عمّة آل مشرق ، دار العين ، الجزائر ، أمين الزاوي ، منام القيلولة ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، سوريا ، خليل صويلح ، ماء العروس ، دار العين ، مصر ، دعاء إبراهيم ، فوق رأسي سحابة ، هاشيت أنطوان ، الجزائر ، سعيد خطيبي ، أغالب مجرى النهر ، الآن ناشرون وموزعون ، عُمان ، شريفة التوبي ، البيرق ، هبوب الريح ، دار رشم للنشر والتوزيع ، العراق ، ضياء جبيلي ، الرائي ، تنمية للنشر والتوزيع ، مصر ، عبد السلام إبراهيم ، عزلة الكنجرون المركز الثقافي العربي ، المغرب ، عبد المجيد سباطة ، في متاهات الأستاذ ف. ن. ، منشورات المتوسط ، لبنان ، عبده وازن ، الحياة ليست رواية ، دار تشكيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، عبد الوهاب عيساوي ، حبل الجدة طوما ، دار دوّن ، مصر ، عصام الزيّات ، الاختباء في عجلة هامستر ، دار الساقي ، اليمن ، مروان الغفوري ، خمس منازل لله وغرفة لجدّتي ، دار الآداب ، لبنان ، نجوى بركات ، غيبة مَي ، دار صفصافة للثقافة والنشر ، تونس ، نزار شقرون ، أيام الفاطمي المقتول

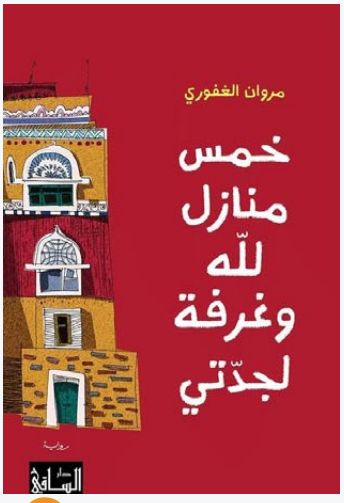

وصول رواية «أجواء مباحة» للروائي اليمني أحمد السلامي إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ يوسف بن عيسى للكتاب

وصلت رواية «أجواء مباحة» للكاتب والروائي اليمني أحمد السلامي إلى القائمة الطويلة لجائزة الشيخ يوسف بن عيسى للكتاب — فرع الآداب (الرواية) في دورتها الأولى 2025—2026 ، ضمن عشرة أعمال فقط اختيرت من بين 390 عملًا روائيًا مشاركًا.

وتُعد «أجواء مباحة» أول عمل روائي للسلامي بعد مسيرة شعرية ونقدية متميزة أصدر خلالها خمسة دواوين شعرية وكتابًا نقديًا ، وقد لفتت الرواية الأنظار منذ صدورها عبر دار الآداب البيروتية نهاية العام الماضي ، بما تمتلكه من خصوصية موضوعية وبنائية في مقاربة الألم الإنساني في اليمن.

وبوصول «أجواء مباحة» إلى القائمة الطويلة للجائزة ، يترسخ حضورها كإضافة نوعية للأدب العربي واليمني ، وكتجربة روائية نجحت في منح الحرب صوتًا جماليًا وإنسانيًا ، وتقديم رؤية سردية تتجاوز التوثيق المباشر نحو إعادة اكتشاف ملامح وطن يبحث عن مخرج من الخراب.

ويُعد هذا الإنجاز خطوة لافتة في مسيرة أحمد السلامي ، وتقديرًا لمساهمته في تجديد الكتابة الأدبية اليمنية وفتحها على فضاءات أكثر رحابة ، واحتفاءً بالأدب اليمني الذي يواصل حضوره رغم ما تمرّ به البلاد من تحديات وظروف استثنائية.الجدير بالذكر أن جائزة الشيخ يوسف بن عيسى للكتاب — فرع الآداب (الرواية) أحد الفروع الرئيسة للجائزة ، وتهدف إلى دعم الرواية العربية الأصيلة وتشجيع الأعمال التي تُثري المشهد الثقافي العربي ، وتتناول قضاياه الاجتماعية والثقافية المعاصرة. كما تمنح منصة لظهور أصوات روائية جديدة ، وتحتفي بالأعمال التي تتميز بالجودة الفنية والعمق الإبداعي.

نظّم المركز الثقافي اليمني بالقاهرة لقاءً مفتوحًا مع الباحثة الهولندية مارينا دِربَخت للحديث عن تجربتها في اليمن

نظّم المركز الثقافي اليمني في القاهرة ، لقاءً مفتوحًا مع الباحثة الهولندية مارينا دربَخت ، تحدثت خلاله عن تجربتها الثرية في اليمن.

وافتُتح اللقاء بكلمة نائب مدير المركز الثقافي اليمني بالقاهرة ، الذي رحّب بالحاضرين ، مؤكدا على أهمية محاضرة الباحثة مارينا عن تجربتها الحية التي بدأت في اليمن منذ أن كانت في السادسة والعشرين من عمرها ، متنقلة بين صنعاء ورداع والحديدة ، وموثّقة تفاصيل الحياة في مدنه عبر مئات الصور والقصص الإنسانية ، مشيرًا إلى أن أعمالها وصورها تمثل شهادة حية على جمال اليمن وإنسانيته وتنوّع بيئاته.

كما قدّم الباحث أ. مازن حمدين ، مدير اللقاء ، تعريفًا موسعًا عن الباحثة مارينا دربخت ، وسر ارتباطها باليمن ، مؤكدًا أن رحلتها الاستثنائية من أزقة صنعاء القديمة وبيوتاتها إلى رداع وسواحل الحديدة جعلتها ترى اليمن بعمق لا يدركه إلا مَن عاش تفاصيله اليومية ، لافتًا إلى أن بحوزتها مجموعة من الصور النادرة التي التقطتها لجبال اليمن وسهوله ووديانه وبواديه وحياة ناسه.

وفي كلمتها ، عرّفت الباحثة مارينا دربَخت بنفسها ومسيرتها العلمية ، مَتحدثة عن السبب الذي دفعها لترك هولندا والانتقال إلى اليمن ، مؤكدة أن «اليمن هو من اختارني» ، وأن شغفها باكتشاف أسراره دفعها للإقامة ست سنوات كاملة بين ربوعه ، متنقلة بين صنعاء ورداع والحديدة ، حتى أتقنت العربية وعملت مع نساء غير متعلمات ضمن مشاريع تنموية.

كما تحدثت عن التجارب الإنسانية التي كوّنتها في اليمن ، مؤكدة صعوبة الحديث عن مزاياه أمام اليمنيين أنفسهم ، خاصة النخب الثقافية والأكاديمية التي تعكس عمق الهوية اليمنية.

وقدمت مارينا دربخت ، اليمن بعيونها الخاصة ، معبرة عن فخرها واعتزازها بقضاء أجمل سنوات حياتها في سهوله ووديانه وجباله وهضابه ، قبل عودتها إلى هولندا لاستكمال دراستها وتحضيرها لرسالة الدكتوراه.

وتخلل اللقاء وصلات للعازف محمد اليوسفي ، الذي قدّم مقطوعات موسيقية أضفت على أجواء اللقاء طابعًا فنيًا مميزًا وممتعا.

الأسوار والكلمات»: كتاب نقدي يحتفي بأدب باسم خندقجي الخارج من عتمة السجن

في إطار الاحتفاء الأدبي والإنساني بالكاتب الفلسطيني باسم خندقجي ، بعد تحرره من سنوات الأسر الطويلة التي قضاها خلف القضبان ، صدر كتاب نقدي جديد بعنوان «الأسوار والكلمات: عن أدب باسم خندقجي» للناقد فراس حج محمد.

يأتي هذا الإصدار (الإلكتروني الصادر عن ناشرون فلسطينيون عام 2025) ليُلقي الضوء على تجربة خندقجي الاستثنائية كأحد أبرز كتّاب الحركة الأسيرة ، الذي لم تُعقه مؤبدات السجن عن تحويل زنزانته إلى ورشة إبداعية ، منتجًا مجموعة من الأعمال الروائية والشعرية التي أثرت المشهد الثقافي العربي.

لا يقتصر الكتاب على كونه احتفالًا بالحرية ، بل هو مساهمة نقدية جادة تسعى لتفكيك وتحليل النصوص التي وُلدت من رحم القيد ، ما يجعله إضافة مهمة للمكتبة النقدية الفلسطينية والعربية.

يتألف الكتاب من ثلاثة أقسام ، يتناول القسم الأول المعنون بعتبات تمهيدية علاقة المؤلف حج محمد بأربعة من الكتاب الأسرى المحررين بصفقات الطوفان وهم: باسم خندقجي ، وكميل أبو حنيش ، وسامر المحروم ، وهيثم جابر ، واشتمل هذا القسم على رسالة سبق لباسم خندقجي أن كتبها من سجنه عام 2019 ، وسيرة ذاتية مختصرة له.

أما القسم النقدي الأساسي من الكتاب فهو العمود الفقري لـ«الأسوار والكلمات» ، حيث يغوص فراس حج محمد في أعماق أعمال خندقجي الروائية والشعرية ، مُطبقًا أدواته النقدية على نصوص أُبدعت في أصعب الظروف الإنسانية ، فيقدم الكتاب دراسات مفصلة لعدد من أعمال خندقجي ، محاولًا الكشف عن ملامح الأسلوبية والموضوعية التي تميز هذا الأدب. ومن أبرز هذه الدراسات:

قراءة في الشعر: تحليل لديوان «طقوس المرّة الأولى» ، حيث يتوقف الناقد عند جماليات اللغة وقضايا الوجود التي يطرحها الأسير الشاعر من وراء القضبان ، وكيف تتشابك التجربة الذاتية مع القضايا الوطنية والإنسانية الكبرى.

دراسات في الرواية: يتناول الكتاب بالشرح والتحليل أعمال روائية مهمة مثل «مسك الكفاية- سيرة سيدة الظلال الحرة» ، فيُسلط الضوء على بناء الشخصيات والمعمار السردي للرواية التي تتقاطع فيها الذات مع الذاكرة والتاريخ. كما يخصص دراسة لرواية «نرجس العزلة» مركّزًا على مساءلة الذات ومواجهتها كإحدى الثيمات الرئيسية في أدب السجن ، في حين يقدم دراسة تتناول المعمار الفني لرواية «أنفاس امرأة مخذولة» ، محللًا المعمار الفني والتقنيات السردية التي اعتمدها خندقجي ، وكيف أمكنه التعبير عن قضايا المجتمع وشخوصه رغم العزلة القسرية. وتُناقش الوقفة الرابعة رواية «محنة المهبولين» ، إذ تتناول سؤال العقلانية والعبثية في ظل واقع الاحتلال والقيد. وتشكل هذه الدراسات النقدية دليلًا على أن أدب باسم خندقجي أدب أصيل ومكتمل الأركان الفنية يستحق الدراسة المعمقة والمقارنة بأعمال الأدب العالمي.

يخرج الكتاب في «القسم الثالث: آراء وقضايا» من نطاق النص الأدبي المباشر ليناقش قضايا ثقافية وفكرية أكثر عمومية ، لكنها تظل مرتبطة بسياق تجربة خندقجي وتأثيره الثقافي ، ومن أهم المواضيع التي يتطرق إليها هذا القسم: جائزة البوكر 2024 ، فيقدم الكاتب ملاحظات أولية وتحليلًا لخطاب فوز باسم خندقجي بجائزة البوكر للرواية العربية عن روايته «قناع بلون السماء» ، وهو الفوز الذي شكل علامة فارقة في تاريخ الجائزة وشهادة عالمية لأدب السجون ، وفي القضايا المحلية يتطرق الكاتب إلى مقالات تتناول صورة مدينة رام الله وبعض الأنشطة الثقافية التي تخص أدب الأسرى (أدب الحرية).

يُعد كتاب «الأسوار والكلمات» وثيقة نقدية تسجل محاولة جادة لفك شيفرات أدب المقاومة ، ويثبت أن القلم أقوى من أسوار السجن وظلامه ، وينجح فراس حج محمد في تقديم كتاب شامل يجمع بين النقد الأكاديمي والروح الصحفية ، مؤكدًا أن مكانة باسم خندقجي كقوة إبداعية لا يمكن تجاهلها في المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي. وتم نشر الكتاب في موقع المؤلف الإلكتروني ، وفي موقع مكتبة كتوباتي الإلكترونية ، وفي موقع مكتبة نور الإلكترونية ، ومتاح للتحميل المجاني.

تقرير لفعاليات نادي القصة

تغطية- نجيب التركي

شهد نادي القصة (إل مقه) ، خلال ما تبقّى من شهر نوفمبر وامتدادًا إلى نهاية شهر ديسمبر ، سلسلةً من الفعاليات الثقافية والأدبية المتنوعة ، جاءت في إطار دورة الأديب الكبير «أحمد قاسم العريقي» ، فشكّلت حراكًا معرفيًا لافتًا أسهم في تنشيط المشهد الثقافي ، وفتح مساحات جادّة للحوار النقدي الرصين ، وللاحتفاء بالإبداع بوصفه فعلًا إنسانيًا حيًّا ، وللتفاعل العميق مع قضايا الأدب واللغة والهوية ، بعيدًا عن الاستهلاك السريع ، وقريبًا من جوهر السؤال الثقافي ومسؤوليته.

احتفاء بالنقد والأدب اليمني الحديث

26 نوفمبر

استهل النادي فعالياته باحتفالية ثقافية مميزة خُصصت للدكتورة البرفسورة «آمنة يوسف الحشيبري» وكتابها الجديد «الأدب اليمني الحديث» ، عبر لقاء عن بُعد ودائرة نقاش حيوية ، أدارها الأستاذ الغربي عمران.

شارك في الفعالية نخبة من الأكاديميين والنقاد ، من بينهم: نجيب عبد الرزاق التركي ، مها شجاع الدين ، د. عبد الحكيم با قيس ، د. إبراهيم أبو طالب ، د. نادية الكوكباني ، محمد الكُميم ، إيمان محمد ، عبد الوهاب سنين ، ثابت القوطاري ، ريم نزار ، إلى جانب مداخلات ثرية من نبيهة محضور ، منى المحاقري ، نجاة باحكيم وغيرهم.

تناولت النقاشات قيمة الكتاب بوصفه مرجعًا نقديًا تطبيقيًا ، وأكدت دوره في توثيق وتحليل التحولات التي شهدها الأدب اليمني ، خصوصًا في ظل الحرب ، واختُتم اللقاء بكلمة مؤثرة للدكتورة آمنة استعرضت فيها مسيرتها بوصفها رحلة وفاء للأدب.

ورشة سردية مصغّرة: الرواية وتجربة الكتابة

3 ديسمبر

ضمن دورة الدكتور أحمد قاسم العريقي ، نظّمت دائرة النقاش فعالية خُصصت لمناقشة أعمال: د. صالح السحيقي (قوافل البخور ، الساقية) د. نبيل الدويس (دوستويفسكي في صنعاء) أ. ذكريات عقلان (فيما بعد)

أدار الجلسة الأستاذ ثابت القوطاري ، وشارك في النقاش عدد من الأدباء والمهتمين ، حيث تناولت الجلسة طقوس الكتابة ، أدوات السرد ، التقاط الفكرة ، العزلة الإبداعية ، وأنواع السرد ، لتتحول الجلسة إلى ورشة تطبيقية مصغّرة أتاحت للمشاركين الاستفادة المباشرة من خبرات الكتّاب.

قراءة نقدية في رواية «قصة حياة تقيّة الطويلية»

10 ديسمبر

أقام النادي أمسيةً نقديةً خصّصت لمناقشة رواية «قصة حياة تقيّة الطويلية» للأستاذ نجم شرف الدين ، بمشاركة نخبة من النقاد والأكاديميين ، أدارها الأستاذ نجيب التركي. وقد تنوّعت المداخلات النقدية لتتناول قضايا الحبكة ، وإشكاليات التجنيس الأدبي ، وحدود

السرد بين التوثيق والتخييل ، فضلًا عن مناقشة المصادر وأخلاقيات كتابة السيرة ، في حوارٍ اتّسم بالعمق والرصانة.

وشارك في هذه القراءات النقدية كلٌّ من: د. أحمد قاسم ، ثابت القوطاري ، نجاة با حكيم ، سلا القحطاني ، د. نادية الكوكباني ، ذكريات عقلان ، عمر سعيد ، حيث قدّموا رؤىً متعددة أسهمت في إثراء النقاش وتوسيع أفق القراءة. واختُتمت الأمسية بكلمة للكاتب ، قدّم فيها توضيحات حول تجربته السردية وخياراته الفنية ، كاشفًا عن الخلفيات التي وجّهت مسار العمل وملامحه الجمالية.

اللغة العربية على خشبة المسرح

17 ديسمبر

بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية ، وبمبادرة من جهاد البراري ، عزيز الباروت ، وداد حيدر ، سعيد الحمادي ، صالح محمد ، طارق الأديب ، أقيمت فعالية مسرحية تاريخية جسّدت مكانة اللغة العربية عبر شخصيات رمزية مثل: امرؤ القيس ، عنترة ، الملكة ، الإعلامي ، والإدارية.

تخللت الفعالية مشاركات أدبية قدّمها عدد من الأدباء ، من بينهم: محمد الأشول ، ثابت القوطاري ، زيد الفقيه ، زينب الحداد ، زياد القحم ، أحمد شماخ ، عبد الوهاب سنين ، نجاة با حكيم ، وأحمد قاسم العريقي الذي أمتع الحضور بمقاماته ، واختُتمت الأمسية بقصيدة للشاعرة مريم اليافعي. أدارت الفعالية الأديبة جهاد البراري.

احتفاء خاص بالأديب أحمد قاسم العريقي

وفي إحدى محطات ديسمبر المضيئة ، احتفى نادي القصة (إل مقه) بالأديب الكبير أحمد قاسم العريقي ، الذي كان نجم الاحتفائية بعمق فكره لا باسمه فقط. بدا حضوره فلسفيًا متكاملًا؛ كتابةً وحركةً وإيماءة ، ليؤكد أن الإبداع رؤية تُعاش ، لا نصًّا يُكتب فحسب.

جاءت فعاليات نادي القصة (إل مقه) تأكيدًا على دور النادي بوصفه مساحة حيوية للحوار الأدبي الجاد ، وجسرًا بين الإبداع والنقد ، ومنصةً للاحتفاء بالكتاب واللغة والإنسان ، في زمن تشتد فيه الحاجة إلى الثقافة بوصفها فعل مقاومة وجمال.

ملتقى تونس للرواية العربية:

استكشاف أبعاد الحلم في الرواية المعاصرة

تحت إشراف وزيرة الشؤون الثقافية التونسية ، السيدة أمينة الصرار ، نظم بيت الرواية ، الذي يشرف على إدارته القاص يونس السلطاني ، فعاليات الدورة الثالثة لملتقى تونس للرواية العربية ، والتي أقيمت في دار الكتب الوطنية بالعاصمة تونس خلال الفترة من 10 إلى 13 ديسمبر 2025.

خصصت الدورة لمحور «الحُلم في الرواية العربية» ، وافتتحت بكلمة مدير بيت الرواية ، تلاها عرض فني موسيقي بعنوان «حُلم» برعاية مسرح الأوبرا ، قدمه قاعة المبدعين الشباب بمدينة الثقافة «الشاذلي القليبي».

اليوم الثاني - 11 ديسمبر

الجلسة الأدبية الأولى: الحُلم في الرّواية العربية: مداخل مفاهيمية

أدارها الأستاذ محمد الخبو من تونس ، وقدمت الجلسة مجموعة من الأوراق والمداخلات:

«تسريد الحلم في الرّواية العربية»

«من رحم أحلامي وكوابيسي» — الأستاذة سهير المصادفة من مصر

«سردية الحلم في الرّواية العربية» — الأستاذة زهور كرّام من المغرب

«خلايا أحلام وتأملات نائمة في الرّواية المعاصرة» — الأستاذ فهد العتيق من السعودية

«التحولات السردية لبنائية الحلم في الرّواية العربية» — الأستاذ ماهر مجيد إبراهيم من العراق

الجلسة الأدبية الثانية: الحلم آلية تخييلية

أدارتها الأستاذة آمنة الرميلي من تونس ، واشتملت على المداخلات التالية:

«فيما يرى السّارد...» — ورقة تمهيدية للجلسة

«ضرورة الحُلم في الرّواية العربية» — الأستاذ أيمن العتوم من الأردن

«ماء يحلم بالأرض: تجربة في بناء المخيلة المائية وخلق الحُلم السردي» — الأستاذة لولوة المنصوري من الإمارات

«المنامات والسرد: ما نختبره بين عالمين ، في الحياة وفي الرواية» — الأستاذ زهران القاسمي من سلطنة عُمان

«أحلام مغدورة: قراءة في روايتيّ — ليلة بيضاء وصديقي رضا لينين» — الأستاذ عمر حفيظ من تونس

«الحُلم الموريتاني في الرواية» — الأستاذ محمد الأمين محمد الأمين من موريتانيا

اليوم الثالث - 12 ديسمبر

الجلسة الأدبية الثالثة: الحواريّة الذات والمعنى

أدارتها الأستاذة نور الهدى باديس من تونس ، واشتملت المداخلات التالية:

«الرواية: دفق الأحلام وحواجز الانكسار من خلال قراءة في نماذج تونسية» — نور الهدى باديس

«جماليات الحلم وكشف الذات في الرّواية الليبية المعاصرة» — الأستاذة عائشة إبراهيم من ليبيا

«الرواية مختبرًا للأحلام: مشاريع ورؤًى» — الأستاذ رضا الأبيض من تونس

«الأحلام لغة بديلة: تأمل في كتابة الحلم» — الأستاذ عبد الله الحسيني من الكويت

«الحلم والتجريب: تفكيك عرى السرد والفكاك من المرجع» — الأستاذ مجدي بن عيسى من تونس

الجلسة الأدبية الرابعة: الرمز وجماليات السرد

أدارها الأستاذ محمد عيسى المؤدب من تونس ، واشتملت على المداخلات التالية.

«الرواية.. هذا العالم الحالم» - محمد عيسى المؤدب

«السير على تخوم الوعي واللاوعي: لغة السر نموذجا» — الأستاذة نجوى بركات من لبنان.

«الحلم في روايات إبراهيم نصر الله: قراءة في البنية والدلالة عبر رواية — زمن الخيول البيضاء — مشروع الملهاة الفلسطينية» — الأستاذ محمود النجار من فلسطين

«حيلة الحلم في مأزق السرد: عن اللجوء إلى الرائي» — الأستاذ إسماعيل يبرير من الجزائر

«الحُلم أداة الروائي وأجنحته» — الأستاذ محمد الغربي عمران من اليمن

مشاركة الأستاذ محمد الغربي عمران

تألقت مشاركة الأستاذ محمد الغربي عمران في الجلسة الرابعة ، حيث قدم ورقته بعنوان:

«الحُلم أداة الروائي وأجنحته»

أبرز ما جاء في الورقة:

الحلم كأداة سردية مركزية: الحلم ليس مجرد مشهد خيالي ، بل قوة فاعلة تمنح النص عمقًا وتعزز بناء الشخصيات والعوالم الروائية.

توسيع آفاق النصوص الروائية: الحلم يعد منفذًا تتلاقى فيه مدركات الراوي والشخصيات ، ليخلق توازنًا بين الواقع والخيال ويمنح الرواية ثراء دلاليًا.

القارئ كشريك فاعل: استدعاء رموز الحلم يمكّن القارئ من أن يصبح شريكًا في إنتاج المعنى ، مما يعزز التفاعل بين النص ومتلقّيه.

أهمية المشاركة: أضافت ورقة الغربي عمران قيمة نوعية للملتقى ، إذ جمعت بين التحليل السردي والتجربة الإبداعية ، مؤكدة أن الحلم في الرواية العربية ليس مجرد عنصر جمالي ، بل أداة أساسية لتوسيع فضاء النص وتعميم فهم القارئ للعالم الروائي والإنساني.

يذكر أن الباحث اليمني مجيب الرحمن الوصابي كان حاضرًا أيضًا من خلال مداخلات ثرية تخللت الأمسيات ، مضيفًا بعدًا تحليليًا مهمًا للملتقى.

اليوم الرابع - 13 ديسمبر

الجلسة الأدبية الخامسة: نماذج من الرواية العربية

أدارها الأستاذ مصطفى الكيلاني من تونس ، واشتملت المداخلات التالية:

«المبهم الشبحي في النفس: واقعًا وحياةً في رواية — البحث عن وليد مسعود — لجبرًا إبراهيم جبرًا»

«الحُلم في رواية المرأة الخليجية المعاصرة من خلال خمسة نماذج روائية» — الأستاذة هدى النعيمي من قطر

«خصيصة الحلم ودلالته في رواية — هجرة السنونو — للرّوائي السوري حيدر حيدر» — الأستاذ هادي دانيال من سوريا

«سرد الحلم في الرّواية العربية الحديثة: قراءة في نماذج من روايات البدايات والروايات المعاصرة» — الأستاذ نادر حسن علي كاظم من البحرين

الفعاليات الموازية والختام

على هامش الملتقى ، تم تنظيم برنامج ثقافي وترفيهي للضيوف العرب ، شمل:

زيارة متحف باردو

لقاءات مفتوحة في فضاء راعي النجوم ببيت الرواية

زيارة إلى مركز الموسيقى العربية والمتوسطية «النجمة الزهراء»

اختتم الملتقى بحفل في مسرح الأوبرا بمدينة الثقافة ، حيث تم تكريم جميع المشاركين والمساهمين في فعاليات الملتقى تقديرًا لإسهاماتهم القيمة.

العدد (14) - ديسمبر - 2025
سؤال الثقافية

المطاردة الأخيرة الجبل الذي يبتلع العزلة

عبير اليوسفي

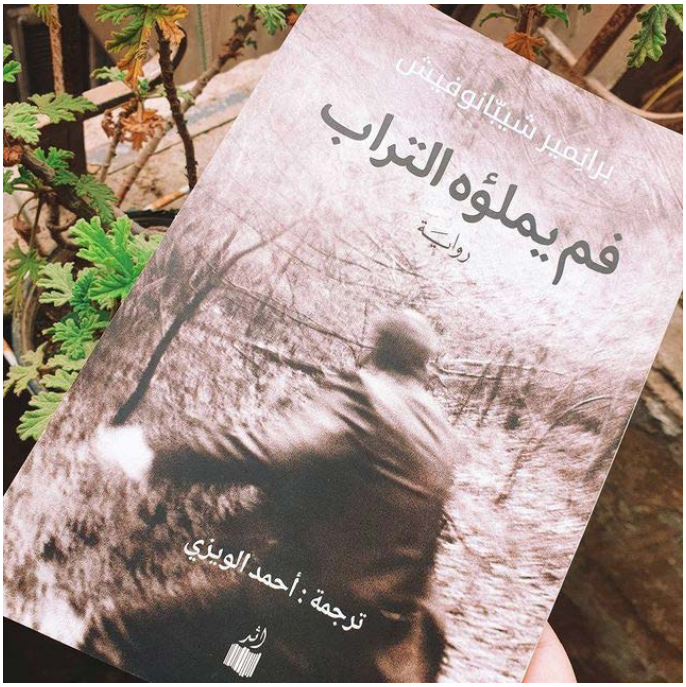

حين يقرر إنسان أن يواجه موته وحيدًا ، يظن أن العالم سيتركه لشأنه. غير أن الأدب مثل الحياة ، نادرًا ما يسمح بهذه العزلة. رواية «فم يملؤه التراب» للكاتب الصربي برانيمر شيبانوفيش تبدأ من هذا القرار البسيط والمروع في آن ، رجل يعرف أنه يحتضر فيختار الرحيل إلى الجبال ، مبتعدًا عن الناس ، كأنما يريد أن يختصر النهاية ، أو أن يمنحها شكلًا يخصه وحده.

تنتمي هذه الرواية إلى سياق أوسع هو الأدب الصربي الذي تشكل في ظل تاريخ مثقل بالحروب والانقسامات. أدب لم يرفع صوته كثيرًا ، لكنه انشغل بسؤال الإنسان حين يصبح الموت جزءًا من الحياة اليومية ، وحين تغدو الكرامة آخر ما يمكن الدفاع عنه. لهذا تبدو رواية صدرت عام 1974 كأنها كُتبت في قلب حرب لم تنتهِ بعد ، حرب داخلية لا تتوقف حتى بعد صمت البنادق.

لا تحكي الرواية عن معارك أو جبهات ، لكنها تحكي عن ما يتبقى من الإنسان بعد أن يخسر كل معاركه. رحلة البطل نحو الجبل تبدأ بوصفها بحثًا عن سكينة أخيرة ، غير أن هذا الأمل لا يلبث أن يتبدد. القرويون الذين يلمحونه يظنونه قاتلًا هاربًا ، فتبدأ مطاردة عبثية يتحول فيها رجل يحتضر إلى فريسة ، ويتحول المجتمع إلى قاضٍ لا يعرف شيئًا عن الحقيقة.

مع تقدم المطاردة يختلط الخارج بالداخل. خطوات الهارب تتداخل مع هلوساته ، خوفه الجسدي يمتزج بأسئلته الوجودية ، فيصبح الموت مطاردًا والمطارد معًا. يكتب شيبانوفيش بلغة مقتصدة ، لا زخرفة فيها ولا استعراض ، جمل قصيرة تشبه أنفاسًا متقطعة ، لكنها محملة بقلق الإنسان الحديث ، ذاك القلق الذي لا يحتاج إلى خطاب طويل كي يُقال. في هذا العمل القصير تُختزل فكرة الوجود في فعل واحد هو الهرب ، الهرب بوصفه قدرًا. ثم يظهر الجبل الرمز القديم للعزلة والصفاء ، يفقد معناه المألوف هنا. فليس مكانًا للسمو الروحي ، ولا فضاءً للتطهر ، إنما مرآة صامتة للمصير. مكان يبتلع الصوت الإنساني ويترك الجسد وحيدًا في مواجهة التراب.

تستدعي هذه الصورة مقارنة لا يمكن تجاهلها مع رواية توماس مان «الجبل السحري». هناك كان الجبل مصحة رمزية ، مكانًا يتوقف فيه الزمن ليتأمل الإنسان معنى المرض والحياة والحرب المقبلة. أما عند شيبانوفيش ، فالجبل هو نهاية اللغة حيث لا يعود التفكير مجديًا ، ويصبح الجسد هو من يطرح الأسئلة الأخيرة.

الفرق بين الروايتين هو الفرق بين مرحلتين من الوعي الأوروبي. في عالم توماس مان ، لا يزال الإنسان قادرًا على التأمل في مصيره. في «فم يملؤه التراب» ، لم يعد هذا الترف متاحًا. بطل شيبانوفيش يبدو كأنه الابن المتأخر لبطل «الجبل السحري» ، خرج من المصحة ولم يجد عالمًا يعود إليه ، فعاد إلى الجبل الأخير. كلاهما يقترب من الموت بحثًا عن معنى ، غير أن أحدهما يفكر فيه ، والآخر يعيشه لحظة بلحظة حتى يذوب فيه.

تزداد الرواية تعقيدًا حين يمنح شيبانوفيش صوتًا للسارد وصوتًا للجماعة في آن ، وكلاهما يُروى بضمير المتكلم. كأن الذات تنقسم على نفسها هل هي الفرد الذي يختار مصيره ، أم الجماعة التي ترفض هذا الاختيار؟ تتحول المطاردة إلى حوار داخلي عنيف بين رغبة الإنسان في الرحيل ، ورغبة المجتمع في معاقبة من يخرج عن النظام ، حتى لو كان خروجه نحو الموت.

ولذا نرى المطاردة في العمل سؤالًا وجوديًا هل يملك الإنسان حق تقرير نهايته؟ أم أن حياته حتى في لحظتها الأخيرة تظل ملكًا للجماعة؟ الرواية لا تقدم إجابة لكنها تضع القارئ في قلب هذا التوتر ، حيث يصبح الموت نفسه فعلًا مشبوهًا وخيارًا غير مسموح به.

برانيمر شيبانوفيش (1937–2020) أحد أبرز كتاب يوغسلافيا في القرن العشرين ، كتب دائمًا عن الفرد في مواجهة الجماعة ، وعن الحرية بوصفها عبئًا ثقيلًا. يصنف ضمن الكتّاب الذين عبروا عن قلق أوروبا الشرقية بعد الحرب العالمية الثانية. تعد رواية الأشهر «فم يملؤه التراب» من أهم أعماله والتي ترجمت للغات عدة ونظر إليها بوصفها نصا وجوديا يعكس أثر الحروب والأنظمة القمعية في الوعي الإنساني دون أن يتناول الحرب بشكل مباشر. عمل صغير في حجمه واسع في أثره يذكرنا بأن الجبال في الأدب ليست دائمًا طريقًا إلى السماء. أحيانًا تكون الطريق الأقصر إلى الحقيقة ، وأحيانًا أخرى المكان الذي نكتشف فيه أن الإنسان قد يُطارَد حتى في موته.

قصاصات ملونة

بدر بن عقيل

باجنيد مصور مبدع

الصورة الفوتوغرافية هي تسجيل حي ، وواقعي ، وتاريخي للحياة العابرة فما يسجل في لحظة قد يكون خالدا إلى فترة من الزمن ، وقد يكون دليلا ، وشاهدا على العديد من الأحداث التي تمر بسرعة البرق ، ولا يمكن للذاكرة أن تعود بتفاصيلها كما تفعل عدسة المصور الذي يتمتع بخاصية العين الثالثة ، وهي الكاميرا ليصطاد اللحظات من الزمن ليوثقها فوق الشريط الفيلمي زمانا ، ومكانا.

لقد كان المصور الحضرمي الراحل (أحمد باجنيد) من هذا الصنف؛ فهو من أنعش ذاكرتنا ، وصرنا نتباهى بلقطاته المعبرة البديعة.

ابوبكر...ومحطة بيروت

عندما سافر أبوبكر سالم إلى بيروت ، وذلك عام 1958 ، كانت هذه نقطة التحول في حياته التي أشعلت بداخله جذوة الحنين الأبدي إلى مسقط رأسه تريم ، وفجرت داخله مكامن الإبداع ، وصقلت شخصيته كفنان ، وفي تلك المرحلة أطلق روائعه الغنائية مثل: (24ساعة) و(متى أنا أشوفك) ، والتي كانت من لحنه وكلماته ، يقول أبو بكر سالم عن رحلته إلى بيروت:» كان يراودني الحلم بأن أغني الأغنية الحضرمية وخلفي (الأوركسترا) وأن أخرجها من النطاق الضيق الغناء بالعود ، والإيقاع فقط ، ونجحت في ذلك بين عامي 1960 - 1961«.

وفي مرحلة بيروت قدم تعاونات فنية مثل أغنية (من نظرتك يا زين) مع نجاح سلام ، وأغانٍ مع هيام يونس ، وتعلق بلبنان إنسانًا وفنًا ، وظل يتردد بين بيروت وعدن مرورًا بجدة إلى أن قرر أن يضع حدًا للرحيل والترحال وأن يبدأ مرحلة فنية جديدة في مدينة جدة.

الساعة...

بمناسبة عيد زواجي الـ 36 أهدتني أحد بناتي ساعة يد أنيقة..

أتساءل: هل أرادت أن تقول لي: أ

ن عقارب الساعة لا تعود للخلف؟!

أما أنا فأقول:

يا دوب مرت علي24ساعة.

بدوي زبير.

مثلما يصر حبال هاجره بعشق. هو أيضا ، ومتى ما صدح بالغناء يطلق العنان لمشاعرنا أن تهيم في فضاء فنه.

بدوي هو وحده (نجوم شبامية) وكواكب نسري على نورها.

بدوي زبير

كيف آن لهذا الصوت ممزوجا بقرع وتره. أن يقدم لنا نغم ، ولحن ، وموروث حضرموت في قوالب فنية طربية إيقاعية جذابة.

عاشق التاريخ

كان قصره ، ومكتبه صحراء ، وسهول ، وجبال ، وأودية حضرموت باحثا عن تاريخها ، ومجدها.

لا يحب الأضواء ، والتقاط الصور ، وجوقة المطبلين.

وحتى عندما كرمه أبو المطبلين. الروسي الراحل يلتسين بشهادة تقديرية رفيعة رفض أن أنشر لها صورة في جريدة كنت إترأس تحريرها آنذاك.

أحدثكم هنا عن الدكتور عبدالعزيز جعفر بن عقيل.

المضي يمضي عطاء

إذا مضى في عزف آلة القانون انطقها سحرا ، وعذوبة.

نعم ، ما بين محمد ، وهذه الآلة عشق عجيب ، ومغازلة ترمش نغما ، ولحنا. إنه يداعب أوتارها فتبيح له ، ولنا شجنا ، وطربا.

المبدع لا يأتي منه إلا العطاء ، والإبداع الجميل.

نعم... محمد عمر المضي يمضي بنا عبر إصداره في السلم ، والمقامات الموسيقية؛ فنرسي معه على ضفاف النغم.

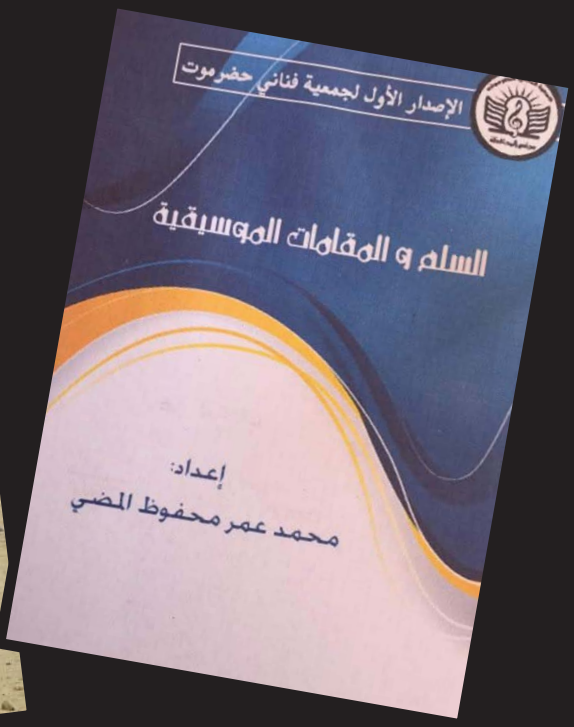
الإصدار الأول لجمعية فناني حضرموت
السلم و المقامات الموسيقية
إعداد:
محمد عمر محفوظ المضي

مع نجاح سلام وعبود عبد العال 1961

الأبيض والأسود

نادية محمد- مصر

حين تنظر إليها تظنها بطلة

من زمن الأبيض والأسود

ليس لموضة ملابسها

ولا لرزانتها المعهودة مع الآخرين

لكنها بريئة بالحب

كزهور البنفسج

تضحك حين يضحك لها

تبكي حين يودعها على الرصيف

تكتب خطابات رومانسية له

لكنها لا ترسلها حياء منه

تعشق صورة بطل.. رد قلبي

حسين ابن الجنايني

وهو راكع يقبل كف الأميرة على البحر

وشخصية إبراهيم بفيلم في بيتنا رجل

وحماسته لتحرير الوطن

وهو ينظر بعيون حبيبته الجميلة

يعتذر لها عن منحها نصف قلبه فقط

ودقائق قليلة من وقته لقضيته مع الاحتلال

هي تحلم بمن يمنحها جرأة المشهد بين رجب وابنة خالته حميدة ، بفيلم صراع في المينا ،

بمشهد الغيرة ، والمشهد الأخير حين صرخت

عليه ليعود ولا يرحل ، فتلمع عيونه فرحًا

ويرمى بنفسه بالبحر

ليعانقها عناق النهاية

ما زالت تعيش بقلب حميدة وعيون الأميرة

التي أحبت ابن الجنايني حبا كبيرا

أنساها الفروق الطبقية

تبدأ ميلاد

الطبقة الوسطى بالمجتمع

بعد الثورة نتيجة لهذا الحب

لكنها

تعود من الحلم لواقعها العاري من كل

المشاهد السابقة

تتقلب فوق فراشها

تحاول إقناع نفسها بأكاذيب حبيبها

وهو يسرد بطولاته الوهمية الظل العاري.

دعوة

ابو عزام محمد العيدروس

أصل الحيود النايفة بِضع حصوة ... يا كم مهاجر فارق الدار عنوه
وحَبَّة على حبة تجي كيل وافي ... واللي بلا مأوى وكم بالمنافي

واميال طول الدرب تبدأ بخطوه ... ويامن تظنوا لعبة الموت سلوه
يا كَم طواها صادق العزم حافي ... اقحمتمونا بحر ما له مرافي

يا حرفيَ الراقي توجه بدعوه ... لعبة مقيتة مزّقت شمل عزوه
للصّفوه الشعار من قلب صافي ... قد طال أصلي وقتها والإضافي

قل للذي فكره بالاخدود جذوه ... آن الأوان ان نأتلف كلّنا اخوه
يثبت وجوده في فريق المطافي ... لا للتدابُر بيننا والتجافي

لو يوم عاقت صافن الجيد كبوه ... شدُّوا بصدق الإنتماء كل عروه
يأخذ من اخطأ غفلته درس وافي ... وتجنبوا فكر الشتات الخرافي

جرح الوطن مايحتمل أي نكوه ... يكفي الإخأ من معول الشرخ قسوه
هيّا نكن بلسم على الجرح شافي ... الكل محتاج الوطن حضن دافي

أمجادنا راحت قرابين نشوه ... مدُّوا الأيادي واردموا كل فجوه
أودت بجيل الغد تحت المجافي ... ما فات قد مات اجعلوها عوافي

رِقنا الدم الغالي على كل ربوه ... أعراقنا منهل سماحة ونخوه
ضاقت بجرحانا صدورالمشافي ... واوساطنا تزخر بكمن سنافي

عدّا نفير الطيش سبعين غزوه ... هيّا بنا نعلن على الطيش صحوه
والعير من سيّارة العير خافي ... علّ الوطن يرقى مقام المصافي

حلمٌ يُزهر

محمد فقيه

بيني وبينك بعضَ حُلم تائهٍ
ما بين بينْ
وبهاءُ قلبٍ لا يمل تذكرًا
والليلُ يسدلُ فوق أرصفة المدينة
ضوءَهُ
ليلانِ يا لغتي
وبي منك التذكرُ والحنينْ
ليلانِ منذ فارقتِ حلمَ الوهلة الأولى
ومنذ أشرعتِ للقلب اليدينْ
ليلانِ وأنا المسافرُ في دم المعنى
أخضب من شظايا الوقت
أحجيةَ المكانِ
ليلانِ يا قمري هناكَ ونجمتانِ
وأنا المسافرُ
فوق جمرٍ من بقايا عمريَ المرصوفِ
في هذى الميادين اصطبارا
وأنا المقامرُ بالحياةْ
ماذا هناكَ .. وما هنا ؟
لا شيءَ يبدو ..
غيرَ وهم من حكايات النوى
غيرَ أدراجٍ من النسيانِ
نفتحها
ونرمي في حنايا صمتها
بعضَ التذكر أو شظايا من حنينْ
ماذا تبقى ..؟
غيرُ ليلٍ كلما أرخى سدولَ ظلامه
نمنا لنحلم بالغد الآتي
ونحلم كلَّ يوم مرتينْ
وإلى غدٍ تمضي بنا الدنيا
فمتى غدًا تأتي إلينا
لم نزل نشتاق موعدكَ الضنينَ
لنغتلى جَرحًى ونسقطُ في شباك الوهم
نغرقُ في متاهات السنينْ
نمضي حيارى ..
كي ندثرُ من أنين جراحنا ..
حُلمًا سيزهرُ في قفارِ خيالنا
- رغم انهمار القحط والبلوى -
سَيزهرُ مرتينْ .!

الفنانة منى الأصبحي تتحدث لـ سلاف:

(للأسف مهرجو الدراما يستقطبون اهتمام المعنيين أكثر من الممثلين المحترفين)

حوار/ فاروق رزاز

الفنانة منى الأصبحي من منطقة الأصابح مديرية الشمايتين -محافظة تعز، ولدت وترعرعت في صنعاء.
نشأت في بيت فني فأختاها الأكبر منها ممثلتان؛ هما الممثلين القديرتان فوزية وسحر الأصبحي، كما أن أختها المرحومة هديل قد شاركت في عمل واحد ثم اعتزلت.
درستُ منى الأصبحي في ثانوية أروى للبنات في صنعاء، وبعد الثانوية، أخذت بكالوريوس المحاسبة من جامعة صنعاء، تعيش حاليًا في الولايات المتحدة الأمريكية، وتدرس هناك صناعة الأفلام الرقمية.
متزوجة من مواطن مصري، ولديها ابنتان. شاركت في عدد غير قليل من المسلسلات اليمنية بمختلف أنواعها، ولا يكاد يخلو موسم رمضاني من إطلالتها المحببة. كما شاركت في العديد من الأعمال المسرحية، والإذاعية، وقدمت فيها شريحة متنوعة من الشخصيات بأدائها الخاص الذي جمع بين السهل، والممتنع. في هذا العدد مجلة سلاف حاورتها، في محاولة لتسلط الضوء على عدد من جوانب شخصيتها الفنية، والاجتماعية.

كيف، ومتى كانت بدايتك في مجال التمثيل؟

بدايتي في مجال التمثيل كانت من خلال المسرح ، حيث كنت أذهب مع أختي سحر في الأسابيع الثقافية ، التي كانت تشارك خلالها في مسرحيات تجريبية مع الأستاذين (فريد الظاهري) - رحمة الله عليه- والأستاذة (سلمى الظاهري) ، ومن يومها أحببت المجال الفني ، وكنت أيضا أشارك في أوبريتات وطنية منذ الثامنة من عمري ثم تتالت الأعمال بعدها.

كنت أعمل في المسرح ، وقدمت مسرحية (صراع الحياة) مع الأستاذ (فريد الظاهري) ، ثم شاركت في مسرحية (فتى الأقصى) ، وعمري أربعة عشر عامًا ، ثم كنت مع أختي (سحر) وهي تصور مسلسل (الوصية) ، ورآني الأستاذ (مجاهد السريحي) ، واكتشفني في يومها ، وأعطاني دورًا ثانويًا ، فأجدت الدور فأعجب بأدائي هو ، وطاقم العمل ، والمخرجين ، وتتالت الأعمال بعد هذا العمل.

- كيف أثرت عائلتك الفنية في مسارك الفني؟

عندما تكون الثقة في البنت كبيرة ، وخاصة أننا في مجتمع محافظ جدًا ، وكان التمثيل فكرة محصورة ، ولا نلاقي لها تقبل خاصة للمرأة ، وكانت أسرتي واثقة بي إلى درجة عمياء ، وكانوا يدعمونني في كل خطوة أتقدمها خاصة عندما تكون الأدوار جيدة ، وهادفة؛ حيث كنت أتناقش مع أخواتي ، وأمي ، ثم أوافق ، وأوقع العقد.

كانت هناك شروط مع الشركة ، ومع القناة (الفضائية اليمنية) ، وكانت الوالدة تتفق مع المخرج على التفاصيل مثل السكن ، وأي تفاصيل أخرى ، وكنت أسافر أحيانًا ، وآخذ معي مرافق فنصور العمل ، ونعود ، فأحببت المجال لأنه مجال يكون الإنسان فيه حرًا ، ولا توجد فيه أي تقييدات ، أو تنازلات ، وأعجبني المجال لأني وجدت نفسي فيه.

- كيف أثرت الدراسة لدورات في مجال التمثيل في تطور أدائك في التمثيل ، وفي فتح فرص جديدة في مسيرتك الفنية؟

طبعًا في اليمن لم أدرس أي دراسات أكاديمية مرتبطة بالتمثيل ، كانت لديّ موهبة ، وحاولت صقلها عن طريق مشاهدة المسلسلات ، والأفلام المصرية ، والمسلسلات السورية ، ثم أحببت المسلسلات التركية ، والأجنبية ، والنرويجية ، والسويدية ، وبدأت أطور نفسي.

بالإضافة أني عندما سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية درست دورة مدفوعة لمدة ثلاثة أشهر عن مجال التمثيل ، والإخراج ، وصناعة الأفلام وما يتعلق بهذا المجال ، وكانت في (American Film Academy) ، على شكل ورشة عمل ، واستفدت منها كثيرًا جدًا؛ عن كيف نكون قريبين من المشاهد ، وكيف نستخدم ونوظف (الريأكشنات) ، ملامح الوجه بما يخدم المشهد ، وكيف نجذب المشاهد ، ونجعله يعيش المشهد ، وكأنه هو الذي يتكلم ، وليس أنا ، بالإضافة أني شاركت سابقًا في ورشة عمل عن الفيلم السينمائي (يوجد يوم جديد في صنعاء القديمة) واستفدت منها كثيرًا.

- لماذا لم تستمري في تقديم أعمال مسرحية، وتوجهت للأعمال الدرامية، رغم أن بدايتك كانت من المسرح ؟

رغم أني بدأت في المسرح لكني أحببت التلفزيون أكثر ، لأن المسرح عندنا

أصبح مهملًا بشكل كبير ، فلا يوجد اهتمام ، ولا يوجد إنتاج جيد ، ولا توجد قصص جيدة ، وللأسف الشديد أنهم يستدعونك أحيانًا لعمل مسرحية ، وتشارك في تمارين ، وتتعب كثيرًا ثم بعد ذلك لا تلاقي حقوقك ، هناك سرقة في الموضوع ، وأعتذر أني أقول هذا الكلام ، فعلى أيامي كانت هكذا ، وحوربت في المسرح فاضطررت للرحيل عن المسرح ، وتشبثت بالدراما التلفزيونية ، والسينما إن وجد أي فيلم.

فبدأت التشبث بالتلفزيون لأني وجدت أن هناك اتفاق ، ويلتزمون بالاتفاق ، أما المسرح وللأسف الشديد فذلك الاتفاق غير موجود ، هذا أولًا ، وثانيًا أني تأثرت بالمسرح التجريبي ، وتأثرت بالأستاذ (فريد الظاهري) ، فقد كانوا في أيامه يقومون بعمل مسرحيات خرافية رهيبة ، وكنت أحب أفكارهم.

كان هناك أيضًا بعض المخرجين العراقيين الذين كانت تعمل معهم أختي ، مثل الأستاذ (علي سبيت) الذي كانت لديه أفكار جميلة ورائعة في المسرح ، فكنت أحب المسرح التجريبي إلى حدٍ ما ، وفكرة المسرح التجريبي حاليا انتهت أو تكاد تكون معدومة في بلدنا ، لذلك لم يبقَ لدي شغف للمسرح كما كان سابقًا ، ولا أنكر أني أتمنى وجود أعمال مسرحية يحترمون فيها حقوق الممثل.

- بدأتِ مشوارك التلفزيوني بدور ثانوي في (الوصية) بعمر 15 عامًا، كيف استقبلتِ هذه التجربة المفصلية، وهل توقعتِ آنذاك أن تكون بداية لمسار فني طويل؟

كنت البداية في مسلسل (الوصية) ، وكان عمري أربعة عشر ، أو خمسة عشر عامًا ، ولم أتوقع أني سأستمر في المجال ، حتى أني بدأت باسم مستعار ، فكانت أمي معتقدة أن المجال الفني سيمنعني من إكمال دراستي ، ولم تكن تعرف أن لديّ الشغف ، والعزيمة ، والإصرار ، وبعدها توالت الأعمال ، ولم أكن أتوقع أنه ستأتيني أعمال ، وأنهم سيعطونني أدوار بطولة ، ولا زلت في البداية.

- ما أكثر عمل أحدث نقلة نوعية في بداية مسيرتك؟

العمل الذي شكّل نقلة نوعية وجعلني أثبت وجودي هو مسلسل (عندما تبتسم الأحزان) ، فهذا المسلسل أديت فيه دور زوجة الممثل القدير (نبيل حزام) ، وقصة المسلسل كانت أن شخصًا لديه مرض وراثي ، (وسواس قهري) ، أو اضطراب في الشخصية كالانفصام ، تزوجه أمه بفتاة لا يحبها ، وهو في الأصل يحب فتاة أخرى عرفها في الجامعة ، وكان يعمل معيدًا في الجامعة.

وخاصة أنه من إخراج الأستاذ (عبدالعزيز الحرازي) الذي اعتبر أنه من صنع اسم (منى الأصبحي) كنجمة في المسلسل.

كما أن المسلسل مسلسل (العالية) قد ترك فيَّ أثرًا قويًا ، وقد أحببت الشخصية ، وقصة المسلسل بشكل كبير.

كذلك (أشواق ، وأشواك) ، و (قرية الوعل) ، ولا أنسى (كيني ميني).

- لعبتِ دور (بدرية) في الجزء الثاني من مسلسل (أشواق وأشواك)، كيف تطورت شخصيتك فيه؟ وما الذي جعله من الأدوار التي كنتِ تنتظرينها؟

دور بدرية في مسلسل (أشواق وأشواق) كان من الأدوار المركّبة الصعبة ، فكانت أولًا شخصية إيجابية ثم تحولت بسبب الأحداث إلى شخصية شريرة ، تشبه والدتها ثم تحاول أن تتقمص شخصية والدتها ، أو أن تشبه والدتها بأي شيء ، فكانت من الأدوار التي أحببتها.

وأتمنى تصوير الجزء الثاني لأننا صورنا الجزء الأول فقط ، أنا منتظرة جدًا للجزء الثاني لأنه حاليًا إذا جاءني الجزء الثاني من مسلسل (أشوق وأشواك) بدور بدرية ، (سأتفنن في أدائه) ، لكن حتى الآن لا يوجد صوت للموضوع ، ولا يوجد أي اهتمام ، وأتمنى إذا كتبوا الجزء الثاني أن يكون السيناريو قويًا ، أنا عن نفسي عندي الاستعداد التام للمجيء والتمثيل.

- ما سبب الغياب الكبير (عشر سنوات) عن الساحة الفنية، وكيف أثر ذلك في عودتك القوية لتقديم الأعمال الدرامية؟

بخصوص غيابي عن الدراما اليمنية ، أولًا أنا اغتربت ، هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وكما هو معروف عند بداية الغربة أنك تحتاج إلى ترتيب أمورك وأخذ الأوراق اللازمة ، وبعد ذلك تزوجتُ ، وخلّفت ، وانشغلت في أمور الحياة ، في البداية خلّفت البنت الكبيرة ، وانشغلت معها.

ورحلة المعرفة ، وإثبات الذات أثرت عليّ فجعلتني شغوفة للمجال الفني إلى أبعد مما تتوقع ، فعندما رجعت في مسلسل (خلف الشمس) كنت متعطشة جدًا ، مع أنه عُرض عليّ الجزء الأول من مسلسل (غربة البن) لكن لم يتم الاتفاق ، وبالأصح لا يوجد نصيب ، وألف مبروك لزملائي الذين قاموا بأدائه ، أما مسلسل (خلف الشمس) فعندما رجعت كنت متلهفة ، وشغوفة جدًا للمسلسل ، وأحببت المسلسل إلى أبعد مما أتوقع ، فالشغف ، والتعطش جعلاني أطبق ما تعلمته في الدورات التي درستها.

- مسلسل (خلف الشمس)، ذكرتِ أن دور (أروى) في هذا العمل من الشخصيات التي وجدتِ نفسكِ فيها، هل يعكس هذا الدور جانبًا من شخصيتك الحقيقية؟

عندما تقرأ دور أروى الموجود في الأوراق لن تصدق أنها نفسها أروى التي أثرت في الجمهور ، وفي المشاهد اليمني ، كانت الشخصية معدومة الخيوط ، وضعيفة جدًا في الأوراق ، وأستطعت أن الدور المرسوم في الورق ، بالرغم من أنني كنت خائفة من عدم قدرتي على الأداء ، أو أن أخرج عن الإطار ، لكن والحمد لله طبقت كل ما لديّ ، وكل الحب الذي لديّ للتمثيل أخرجته إلى حد ما في الشخصية.

شخصية أروى التي ظهرت على الشاشة ليست نفسها التي كانت في الأوراق ، لكن عندما طورناها ، بسبب أدائي ، وأداء الأستاذ (محمد الهتار) الذي عاد بعد غياب طويل ، حصلت بيننا كيمياء قوية ، فقلت له: «خذ بيدي ، وأنا سآخذ بيدك» ، وهو ممثل قدير ومتمكن ، وعندما يكون معك ممثلًا متمكنًا ، بالإضافة إلى الكيمياء التي ساعدتنا فعشنا الدور ، وأقنعنا المشاهد أن أروى إنسانة أنانية تحب ذاتها ، وممكن أن تفعل أي شيء لتخرج من الظروف التي تعيشها ، وأهم شيء عندها أن تبني مستقبلًا واعدًا ، رغم أنها كانت تريد مستقبلًا لنفسها ، ولزوجها ، وكانت الظروف ضدها إلا أنها تعتبر إنسانة تحب ذاتها إلى حد كبير.

«عندما تبتسم الأحزان»، كان انطلاقتي الحقيقية في الدراما التلفزيونية»

- وصفتِ دور (نجمة) في (ربيع المخا) بأنه نقلة نوعية جعلتكِ تشعرين بالقوة، والثبات، ما التحديات التي واجهتِها في تجسيد شخصية تاريخية تحمل أبعادًا وطنية؟

شخصية (نجمة) ومساراتها في مسلسل (ربيع المخا) الذي عرض على قناة (السعيدة) من إخراج الأستاذ (وليد العلفي) ، كانت الشخصية على الورق غير الواقع ، وأثرت فيّ بشكل كبير ، ولم يتقبل أكثر الناس أن تكون امرأة صاحبة سمسرة ، هذه الفكرة لا أعرف لماذا لم يتقبلونها رغم أنه قبل أربعين ، خمسين ، سبعين سنة كان هناك الكثير من النساء اللاتي يمتلكن سمسرة ، وكن يدرنها ، وهناك أيضًا (حميدة) التي في شبام كوكبان التي كان لديها ما يشبه النزل أو السمسرة ، وكان لديها مطعم ، وكانت تستقبل السياح و تعطي نظرة إيجابية عن اليمن ، فلا أعرف لماذا لم نعد نتقبل هذه الفكرة رغم تقبلها قديمًا ، وكانت تعتبر مهنة شريفة ، ومهمة.

أيضًا كان الخيط والمسار الدرامي جميلًا جدًا ، وكان معي الممثل الرائع (بكار باشراحيل) ، وكان معنا أيضًا (بهية محمد) ، وكان أول ظهور لها ، وكانت تلميذة جيدة ، ومستمعة جيدة لكلامي ، وتوجيهاتي ، كنت أوجهها ، وكنت أعمل لها المكياج أيضًا ، كما أتمنى أن يتم إنتاج الجزء الثاني من مسلسل (ربيع المخا) لأن خيوطه لم تقفل بشكل نهائي.

- في (ربيع المخا) شعرتِ بأنكِ تعيشين حقبة تاريخية، هل غيّر هذا الدور من نظرتكِ للتراث اليمني؟

طبعًا ، في (ربيع المخا) عندما تعيش حقبة ، وشيء خاص ببلدك ، ووطنك ، وكيف تجاوز وطنك عدة مراحل طرد فيها الاستعمار الخارجي ، سواء كان استعمارًا أجنبيًا ، أو من دول مجاورة ، وتعيش ذلك ، فستعيشه بكامل الروحانية التي فيه ، وقد أحسست في ذلك الوقت أني مع الثوار اليمنين الذين يعتبرون مثل أخي الذي كان ثائرًا ، وكان ضد الحكم ، وضد فساد الحكام العثمانيين آنذاك.

فعشت الدور بشكل كبير ، وكانت الأجواء ، والقصة جميلة ، وأتمنى لو تنتج (قناة السعيدة) الجزء الثاني من مسلسل (ربيع المخا) لأنهم سيقدمون النفع لأجيالنا؛ لأن أجيالنا بحاجة إلى رؤية هذه البصمة التاريخية الموجودة عن اليمن ، عن تراثنا ، عن تاريخنا ، عن علمائنا ، عن مواقعنا الاستراتيجية ، (عن خيرات بلادنا) ، نحن بحاجة إلى غرس الثقافة التاريخية في أطفالنا ، ويجب أن نترفع عن الكوميديا الهزلية التي تظهرنا بشكل ساذج وغبي.

- مسلسل (قرية الوعل) الذي امتاز بالطابع الفنتازي، ما الذي أضافه هذا العمل إلى خبرتك في مجال التمثيل؟

مسلسل (قرية الوعل) فيه فكرة جديدة ، والطاقم الفني طاقم مصري بقيادة الأستاذ المخرج معتز حسام ، وكان شيئًا جديدًا بالنسبة لي ، أضاف ليّ الكثير ، فعندما تعمل مع ناس متمكنين ، لهم في المجال الفني أكثر من مئة سنة ، بالتأكيد ستحس بنقلة نوعية كبيرة في التمثيل ، وتستفيد.

كان دورًا مركّبًا حيث أنها وكما قلت سابقًا في عدة مقابلات ، تظهر أشياء غير الأشياء المخبأة في داخلها ، تظهر حقيقة غير حقيقتها ، و هذا الذي أحببته في

الشخصية ، أن هناك سر ، وهناك أشياء مبهمة ، فأعجبتني الشخصية ، وكما أوجه شكري لشركة النبيل التي يرأسها الأستاذ (خالد المرولة) ، فهو إنسان متفهم ، ويعتبر قائدًا ، ولطيفًا إلى أبعد حد ، وأوجه له أفضل تحية ، هو والأستاذ (معتز حسام) اللذان رشحاني للدور فأشكرهما جزيل الشكر ، وقد كانت تجربة جميلة ، وكان التعامل راقيًا جدًا.

- هل تجدين أن أداءك يتطور مع كل عمل تقدمينه، انطلاقًا من أول عمل ووصولًا إلى دورك في مسلسل (الجمالية)؟

طبعًا ، فعندما أقوم بعمل مقارنة بين أدائي في (كيني ميني) ، وأدائي الآن ، فأنا أقول لو أن تلك المسلسلات تعرض عليّ الآن لأديتها بشكل أفضل ، فتقدم السن يلعب دورًا مهمًا ، وثانيًا الاجتهاد ، ثم ثالثًا الدراسة وصقل الموهبة ، ومشاهدة عدة أعمال ، وعندما تعيش الدور ، كل هذا يؤدي إلى تطور الشخصية.

الحمد لله رب العالمين عندما أشاهد نفسي من البداية حتى آخر مسلسل (الجمالية) أجد أني تطورت كثيرًا ، فكان سابقًا هناك صراخ أثناء الأداء لكني الآن أصبحت طبيعية جدًا ، فعندما يأتيني الدور أؤديه بكل هدوء؛ فالهدوء واجب في الأداء ، ما عدا ما هو مطلوب أثناء المشهد ، فإذا احتاج المشهد عصبية؛ أؤديه بعصبية ، وإذا كانت هناك حاجة لرفع الرتم قليلًا أرفعه قليلًا ، وكل ذلك بحسب المشهد ، وبالتأكيد فقد تطورت وتغيرت كثيرًا ، والحمد لله أني صقلت نفسي من عام لآخر ، ومن عمل لآخر.

- هل أنت راضية عما قدمته في مجال التمثيل حتى الآن؟ أم تشعرين بوجود تقصير؟

هناك بعض المسلسلات أحس أنه كان يفترض أن أؤدي بعض المشاهد بشكل أفضل ، وأحب دائمًا أن أستفيد من آراء الآخرين مثل الزملاء ، ومختص المونتاج ، لأن مختص المونتاج هو الذي يتابع المشاهد أثناء الأداء ، ولديه أيضًا نظرة المُشاهد ، فيقول لي: «أنت يا أستاذة لا غبار عليك» ، وأقول له: «لا ، مهما كان ، ما زلنا نتعلم» ، فكل يوم ونحن نتعلم ونتطور.

على سبيل المثال ، مسلسل (الجمالية) كان مسلسلًا جميلًا ورائعًا ، وأحببت دوري فيه ، وأحببت كل مشاهده ، ومنذ عدت إلى المجال الفني وحتى الآن فأنا راضية عن كل الأعمال ، ربما بعض الشخصيات في الأعمال القديمة أتمنى أن أكررها لأصلح بعض العيوب التي فيها ، لكن حاليًا أنا راضية إلى حدٍ ما عن أدواري.

- ما أبرز المعوقات التي واجهتك في مسيرتك؟

الإنتاج هو أكبر المعوقات ، لأنه مستواه ضعيف جدًا في اليمن مقارنة بالدول الأخرى ، أيضًا لا يوجد لدينا ترويج إعلامي ، وهذا يجعل الأمر صعبًا بالنسبة لنا ، ومن الصعوبات أيضًا أنك تترشح لدور وتتفق على شخصية معينة ، فتلاقي أنهم يتفقون معك على شيء ومع آخرين بشيء ، والشخص الآخر ليس لديه خبرة ، لكن يقولون لك أن الاتفاق يتم بحسب المتابعين الذين معه ، بغض النظر عن شؤون هذا الشخص هل لديه تجربة أو لا ، حتى لو أخذوه من (التيك توك) ، فيقولون لك: أصلًا هو لديه متابعين ، وأنت ليس لديك متابعين ، ولا يبالون بوجهة نظر المتابع أمام الشاشات ، أهم شيء عندهم من الذي لديه متابعين أكثر.

فأواجه هذه الصعوبة حاليًا ، وعندي متابعين ، لكن أغلب الذين ظهروا مؤخرًا ، من الممثلين ، والممثلات يلاقون متابعين من خلال التهريج الذي يقدمونه ، فتلاقي الإنتاج يهتم بهم أكثر من الفنان الذي لديه مسيرة فنية ، فأواجه هذه الصعوبة حاليًا ، ليس أنا فقط ، وإنما تواجه كل ممثل اجتهد في هذا المجال ، وقضى سنين عمره في هذا المجال ، فلا يوجد تقدير ، وتقييم ، أما أنا وعن نفسي فالحمد لله ، وقد تكلمت بشكل عام عن ممثلين ، وفنانين آخرين.

- هل أثرت الظروف المعيشية، والحياة الأسرية على مسيرتك المهنية؟

حاليًا يمكن أن تؤثر الظروف الأسرية ، وليس المعيشية ، فعندي أولادي ، ومدارس أولادي فأحيانا ألاقي صعوبة في التنسيق بين ذلك ، وبين العمل ، وبصراحة زوجي متفهم جدًا ، ودائمًا يعتني بالأطفال ، وكذلك صديقتي التي تعتبر بمقام أختي ، تساعدني في العناية بالبنات ، وأحيانًا آخذ ابنتي الصغيرة معي ، وأحيانًا أهلي ، أو أهل زوجي يكونون موجودين ، ويساعدوني في رعاية البنات ، هذه فقط ممكن أن تكون الظروف الأسرية الصعبة بالنيسبة لي ، أما أكثر من ذلك فلا يوجد ، فالحمد لله كل شيء متيسر ، ومتوفقة في أشياء كثيرة.

- ما سبب هذا التحول المهني، لمجال بعيد عن تخصصك الأكاديمي؟

أنا كنت تلميذة مجتهدة جدًا في الإعدادية ، وحتى في الثانوية لكن أثناء تلك الفترة حصلت بعض الظروف الأسرية القاسية ، بالإضافة إلى عارض مرضي عرضني لفقدان بسيط في الذاكرة في بعض الأحيان فأتعبني هذا الشيء بشدة.

ولم أكن أرغب بدراسة التجارة ، أو المحاسبة ، وكنت أحلم أن أكون طبيبة قلب (جراحة) ، وكنت مهووسة جدًا بهذا التخصص إلى درجة أني حصلت في الثانوية العامة على درجة 98٪ في مادة الأحياء رغم صعوبة الامتحانات في أيامنا ، لكن بسبب ضرورة الحصول على نسبة مئوية محددة في بلادنا ، وفي الدول العربية بشكل عام ، على عكس الولايات المتحدة.

فهذان المعوقان يعيقان أي إنسان عن إكمال حلم حياته ، أما الفن ، والتمثيل فإنه يعتبر هواية. فأنا أحب كتابة القصص ، والإخراج ، والمجال الفني لكنها تعتبر موهبة من المواهب.

«النظرة القاصرة للمسرح دفعتني للتحول نحو الدراما التلفزيونية»

- كيف أثرت المماحكات، والمشاكل في الوسط الفني على مسيرتك؟

بالطبع أثرت عليّ بشكل كبير ، مثلًا قبل سفري إلى الولايات المتحدة ، بدأوا يعرضون لي عملًا وشخصية معينة ، واتفقنا عليها ، وكل شيء كان واضحًا ، ثم للأسف الشديد يقولون لك أن الشخصية لا زالت تحت طور الكتابة بناءً على ما شرحوه لك ، ثم تتفاجأ أن المسار الذي اتفقت عليه معهم في البداية بدأ ينزل رتمه ، وبدأت تنعدم خيوط الشخصية حتى نهاية المسلسل فإما أن يقتلوك ، أو يمرضوك ، أو يعملوا لك إعاقة ، أو أي شيء؛ فتنتهي الشخصية.

وقد بدأت أحس في 2009م أن هذا الموضوع بدأ يؤثر على مساري الفني ، وعلى شخصيتي ، وكان ذلك مثل الحرب الباردة ، فتوقفت في ذلك الوقت وبدأت رحلة البحث عن الذات ، وهذا هو الذي شجعني أن أسافر ، وأغترب نتيجة أن الحرب ضدي بدأت في ذلك الوقت ، بالإضافة إلى ظهور وجوه جديدة ، ولا زالت الحرب موجودة ، ولا أريد أن أذكر أسماء أفراد ، أو شخصيات.

- بحكم إقامتك الدائمة في الولايات المتحدة، هل عرض عليك المشاركة في تمثيل أدوار تناسبك؟

كان هناك برنامج ترشيح خاص بالتمثيل في الولايات المتحدة الأمريكية في (منهاتن) في عام 2010م ، واسمه (جون باور) فشاركت فيه ، وكنت من الوجوه الجديدة بالنسبة إليهم حسب معاييرهم لاختيار الممثلين ، وتم اختياري وفقًا لتلك المعايير ، وترشيحي لفيلمclash of titan لكني لم أقبل لأن فيه أشياء مخلة ، ولا تتوافق مع أخلاقي ، وديني ، وثقافتي.

الشيء الآخر أني شاركت في أعمال عربية مثل المسلسل السعودي (خطوات على الجبال) ثم صورت بعده عدة أعمال ، وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، أما الرغبة فهي موجودة ، ويمكن أن أشارك إذا كانت الأعمال لا تخل بأخلاقي ، أو بمبادئي.

- من الملاحظ غيابك الكبير عن وسائل التواصل الاجتماعي على عكس بعض الممثلين الذي يظهرون بشكل شبه يومي، لماذا؟

أولًا:

أنا إنسانة أقدس حياتي الشخصية بشكل أكبر فأحب أن أتحفظ عليها بشكل كبير ، وأن أقدسها بشكل أكبر ، وأحب أن أقضي الوقت مع أسرتي ، وبفعل شيء مفيد يعود عليّ بالفائدة ، ولا أقول إن وسائل التواصل الاجتماعي سيئة ، ولكن أحيانًا عندما أنشر بعض المنشورات ألاقي بعض التعليقات العقيمة التي تولد الإحباط ، وهناك بعض العقليات التي لا يوجد لديها رقي في التفكير ، وكذلك أحس أن هناك عصابات تهدف إلى رفع ، أو إسقاط أشخاص ، ولا أحب أن أدخل في هذا الغمار.

- ما وجهة نظرك حول الدراما اليمنية قبل عام 2020م، وبعده؟ هل هناك فرق من حيث الأفكار، والقضايا، والإخراج والأداء؟

قبل 2020م ، وبالأصح إلى قبل أن أسافر ، كنت ألاحظ أن هناك قصصًا ، وبناءً دراميًا ، وسيناريو - بالرغم من ضعف الإنتاج الفني من حيث التصوير ، والإضاءات ، وتسجيل الصوت ، وعدم توفر التقنيات الحديثة المتوفرة حاليًا ، فكانت الإضاءة عادية ، ومتعبة ، وكانت تستخدم الشرائط من أجل التسجيل- أما الآن فقد توفرت كل أنواع الإضاءة ، والإيحاءات أيضًا موجودة ، فأعتقد أنه كان هناك سيناريو ، وقصة موجودة أكثر من الأشياء الفنية لكن حاليًا نحن نفتقر إلى القصص المكتوبة بجودة عالية ، وإلى السيناريو المحبوك بطريقة تجذب المشاهد إليه ، ولا أنكر أن هناك أعمال تفردت بهذه الميزة.

فهناك أعمال ظهرت بشكل لائق ، وجميل ، ورائع ، وقصص تمس المجتمع اليمني ، وتمس أشياء كنا نتغاضى عنها سابقًا ، وأصبحنا الآن نطلقها للعلن ، فينقصنا حاليًا عنصر كتابة القصص ، والتأليف ، والسيناريو المحبوك ، والترويج الإعلامي للمسلسلات اليمنية.

- هل هناك تطور ملحوظ في الدراما اليمنية منذ بداية مسيرتك حتى الآن؟

هناك تطور من الناحية الفنية من حيث المونتاج ، والإخراج ، والأداء ، وجودة التصوير ، وجودة الإضاءة ، لكن كما قلت في إجابة السؤال السابق تنقصنا الحبكة الدرامية ، والسيناريو ، والتأليف ، وقد بدأنا حاليًا نركز على هذه النقطة ، وبدأ ظهور كاتبات مثل الكاتبة (نور ناجي) التي كتبت مسلسل (العالية) ، ومسلسل (الجمالية) ، والعديد من الأعمال الأخرى ، بالإضافة إلى الكاتبة (يسرى عباس) التي تعتبر كاتبة مجيدة للكتابة ومتواجدة منذ 2010م ، أو 2009م ، وكان حينها بداية مشوارها الفني.

أيضًا الأستاذ (محمد الحبيشي) ، والكثير من الكتاب الآخرين لكن بعضهم ، وكأنه استسلم ، وكذلك الكاتب ، والسيناريست الأستاذ (عبدالسلام الأكوع) ، كاتب جيد ، وهو الذي كتب مسلسل (أشواق وأشواك) تقريبا بالمشاركة مع الكاتبة (يسرى عباس) ، فكان المسلسل جميًلا ، ورائعا ، وحبكاته رائعة ، فهذا العنصر الذي ينقصنا حاليًا أما كمواهب ، وتصوير ، فلدينا مواهب رائعة ، وناس مقتدرين في كل هذه المجالات.

- بحكم تواجدك في المسلسلات الرمضانية، كيف تقيمين الدراما الرمضانية في السنوات الأخيرة؟

أقيّم المسلسلات الرمضانية ، وخاصة في السنوات الأخيرة (الثلاث ، أو الأربع السنوات الأخيرة) أن هناك بعض المسلسلات فكرتها فقيرة ، وتلاحظ أنها غير مدعومة ، ولكن المشاهد عمل لها قيمة ربما بسبب تواجد العنصر النسائي ، وبعض الأعمال المتكاملة ، والمتناغمة من حيث القصة ، والأداء ، والتصوير ، والإخراج ، وبعضها كما قلت لك للأسف الشديد بسبب وجود العنصر النسائي ، أو الوجوه الجديدة بكثرة فيها ، وهذا الذي يؤدي إلى نجاحها بشكل أكبر.

أرى أن هناك تطور ملحوظ في القصة ، الإتقان الفني ، وإتقان الإخراج ، هناك تطور ملحوظ كامل وكبير ، فمثلًا مسلسل (خلف الشمس) من إخراج الأستاذ (وليد العلفي) ، كان الإخراج ممتازا ، والقصة جميلة ، ورائعة ، وملموسة في الواقع رغم الظروف التي مرت عليه ، أيضًا مسلسل (ربيع المخا) الذي كان من إنتاج قناة (السعيدة) ، وإخراج الأستاذ (وليد العلفي) ، وكانت القصة جميلة ، ورائعة ، وتناقش الأطماع الاستعمارية أيام الاستعمار العثماني لليمن ، والأطماع الاستعمارية للاستعمار البريطاني لميناء المخا.

- ناديتِ بإنشاء معاهد لتدريب الفنانين ومراكز (كاستينج) متخصصة، ما أول خطوة عملية ترينها ضرورية لنهوض الصناعة؟

إنشاء معاهد لتدريب الفنانين شيء ضروري جدًا ، لأن الدراسة غير التطبيق ، فلابد من وجود استوديوهات متخصصة بهذا الأمر حتى يتم تدريب ، وتهيئة الممثل ، فللأسف الشديد هناك بعض الممثلين الجدد البعض لديهم الموهبة ، والبعض يأتي فقط من أجل كسب لقمة العيش ، وهناك فرق كبير بين الصنفين.

ولا زلت أتمنى أن يكون هناك نقابة خاصة بالممثلين ، والمهن تكون خاصة بالممثلين ، والأعضاء الفنيين ، الشيء الآخر أننا بحاجة إلى أماكن للتدريب ، وإلى ورش العمل بحيث أن الممثل الجديد عندما يظهر أمام الكاميرا يكون قد مر بمراحل كبيرة حتى يقف أمام الناس وعنده كفاءة ، ولا يأتي مباشرة من الشارع ، أو من السوشيال ميديا ليقف أمام الكاميرا ، وأمام الناس.

فهناك معايير معينة ، فالناس تعتقد أن التمثيل مهنة سهلة ، لكنها من أصعب المهن فأنت كممثل تريد أن يقتنع الجمهور ، أو الشخص الذي أمامك بإحساسك فتخرج إحساسك ، وهذا يتطلب جهدًا نفسيًا ،

وعصبيًا ، وجسمانيًا ، وهناك فرق كبير.
إلى جانب ضرورة أن يكون هناك سخاء في الإنفاق على العمل الإنتاجي ، ومواكبة التطوير في هذ المجال ، كما ينبغي على الممثلين أن يهتموا بتطوير أنفسهم بما يتماشى مع تطورات صناعة الدراما.

«مسلسل الوصية كان بوابتي لدخول عالم الدراما اليمنية»

- ما تأثير المحسوبية، والوساطة في اختيار الممثلين، والأدوار؟

بكل صراحة هذا موجود ، وأيضًا بعض الممثلين لهم مكانتهم ، فبعضهم يختارون الأدوار بأنفسهم ، وبعضهم يؤخذ منهم الدور ويُعطى لشخص آخر ، لا أعرف السبب بالضبط ، لكن تُرسم شخصية معينة لممثل ، ويجد أن الشخصية قد ذهبت لشخص آخر ، وقد لا تناسب ذلك الشخص ، لكن بسبب الوساطة ، والمعاريف تؤخذ من الشخص الآخر ، وتعطى له ، فالوساطة ، والمحسوبية موجودة لدينا وللأسف الشديد.
ولا توجد معايير لاختيار الممثلين فتلاقي أنه يتم تخفيض أجور الممثلين المحترفين أصحاب الخبرة والكفاءة لحساب مشهور على السوشيال ميديا ، وللأسف الشديد نحن نفتقر إلى تقييم الفنان بحسب خبرته وكفاءته ، وليس بحسب الجمهور ، وعدد المتابعين.

- كيف تقيمين تجربة عملك مع المخرجين؟

أولًا قبل كل شيء ، أول مخرج أشكره شكرًا كثيرا ، وله مني محبة كبيرة هو الأستاذ (مجاهد السريحي) ، الذي أصر أن أدخل في هذا المجال ، والأستاذ (عبدالعزيز الحرازي) الذي علمني أشياءً كثيرة في الدراما اليمنية ، ولا زلت أسير على النهج الذي علمني إياه ، كذلك لا أنسى الدكتور (فضل العلفي) الذي علمني كيفية التنقل من شخصية إلى شخصية أخرى بشكل هادئ.
فهو لديه السلاسة ، ويفتح لك المجال لتؤدي ، وتعمل ، ولذلك كانت الأفكار متوفرة من المخرج ، ومن الممثل وكان أحيانًا يأخذ برأي الجمهور ، فأشكره الشكر الكبير ، وله فضل كبير عليّ ، ولن أنسَ أبدًا تعامله الراقي.
كما أن المخرج (وليد العلفي) ، الذي أسميه (رفيق الدرب) ، الذي يعطي الممثل الإرشادات اللازمة أمام الكاميرات ، ويمنحه حرية الأداء ، والحركة.
كذلك الأستاذ المخرج (سيف الوافي) ، المشهود له بسرعته في الإخراج ، وعدم إجهاده للممثل ، واختياره التصوير السينمائي يخفف الكثير من الجهد على الممثلين ، والأستاذ (معتز حسام) المتمكن من عمله ، ويعرف أين يضع لقطاته.

- (نور ناجي) مؤلفة ظهرت مؤخرًا، كيف ترين كتابتها للمسلسلات الدرامية؟

أحب أن أشيد بالأستاذة (نور ناجي) الاسم الذي سطع بقوة مؤخرًا في الدراما اليمنية ككاتبة ، ومؤلفة ، وكاتبة للسيناريو ، وللبناء الدرامي للسيناريو ، فالأعمال التي تقدمها الكاتبة تحس فيها أنها تحرك الشخصيات ، وتحس بكل شخصية ، وتقدم الإحساس الذي في قلبها في الشخصية ، شخصيات (نور ناجي) تتحدث على الأوراق قبل أن تصل للممثل ، وقبل أن تخرج للعلن ، الشخصيات التي تكتبها هي شخصيات متحركة ، وناطقة ، وفيها إحساس وهي لا زالت على الأوراق ، فكيف عندما يأتي الممثل ، ويخرجها إلى النور.

- كيف أثر الفنان الكبير المرحوم (عبدالكريم الأشموري) في مسيرتك الفنية، وكيف أثر رحيله على واقع الدراما في اليمن؟

الأستاذ الكبير (عبدالكريم الأشموري) -رحمه الله- ، كان له أسلوبه في الكتابة ، ومعالجة الأمور والأهداف بشكل راقي جدًا وسلس ، وبسيناريو يجعل للحظة قيمة وبصمة خاصة ، وقد خسرنا برحيله سلاسة الأداء ، وروعته ، ومباشرته ، تحس أنه لا يمثل أبدًا عندما يتكلم معك بتلقائية ، إنسان كان عنده خبرة فنية كبيرة ، وكان يتعامل برقي ، وانفتاح ، فيضيف معالجته ، ولمساته الفنية ، والإخراجية في المسلسلات.
بالنسبة لي كنت أعرف الأستاذ (عبدالكريم الأشموري) ولا زلت في الثالثة ، أو الرابعة من العمر ، كان أخًا كبيرًا بالنسبة لي ، وكان يدخل معنا بالمشهد بشكل سلس ، وكأنه لا يمثل ، فنان كبير بكل ما تعنيه الكلمة من معنى ، وقد خسرت الدراما اليمنية هامة كبيرة جدًا في الكتابة ، والتمثيل ، والإخراج ، وقد مات في عمر صغير ، وأدعو له دائمًا بالرحمة كلما جاء ذكره على لساني ، -ألف رحمة عليه-.

- كيف تتعاملين مع جمهورك، وتحافظين على علاقتك بهم، وما أهمية الجمهور بالنسبة لك؟

أولًا: الجمهور اليمني جمهور ذكي جدًا ، وكلما مر وقت يتطور ، وقد أصبح الجمهور اليمني الآن مختلف ، أصبح جمهورًا ، واعيًا ، ومثقفًا ، وعارفًا بتقييمات هذه الأعمال ، ولهذا السبب أحاول في كل عام أن أجدد في أداء الشخصيات كي أحافظ على جمهوري ، ويجب أن أقدم أفضل أداء في المسلسل وكل ما لدي من خبرة ، وقدرة ، وإحساس حتى أبقى في نفس المكانة.
ثانيا: التواضع جميل ، ورائع فجمهوري يحبون تواضعي ، ودائمًا أتصور مع المعجبات ، والمعجبين ، أما بالنسبة للأمور الشخصية المتعلقة بشخصيتي فأتمنى أن يتجنب الجمهور التدخل بها ، لكن فيما يخص العمل فيهمني رأي الجمهور بشكل كبير جدًا ، وأتمنى أن يكون جمهورنا بخير ، وأن يتابعنا دائمًا ، وأتمنى أن تكون بلادنا بخير.

- هل تهتمين بالعائد المادي الذي تلاقينه، أم تهمك الشخصية، والأثر الذي ستتركينه في المشاهد، والرسالة الاجتماعية في المقام الأول؟

سؤالك جميل ، أولًا قبل كل شيء ، (منى الأصبحي) موجودة في المجال الفني منذ نعومة أظافرها من عمر الرابعة عشر ، وحتى الآن ، ما يقارب خمسة وعشرون عامًا في المجال الفني ، طبعًا يهمني كثيرًا الشخصية ، والأثر الذي ستتركه على المجتمع ، والرسالة التي سنقدمها للمجتمع ، ومن غير المعقول أن أقبل دورًا تافهًا ، وليس له دور محوري ، أو دور مركب ، أو دور لا يضع بصمة ، أو لا يحدث تغييرًا في المجتمع ، أو شخصية لا توجد لها رسالة ، فأحيانًا أضطر للاعتذار.
المردود المادي شيء لابد منه ، ولكن أحيانًا ممكن التساهل بهذا الجانب

خاصة إذا ما أعجبني الدور ، لذا فإن المردود المادي يعتبر في المرت الثانية بعد الشخصية ، وتأثيرها في المجتمع ، والرسالة التي تقدمها.

- هل تفضلين الالتزام بالسيناريو أثناء التمثيل، وتقديم الشخصية، والحوارات، أم تلجئين إلى أسلوب الارتجال؟

الاثنان مًعا ، فالسيناريو شيء ضروري ، ولكن الحوار والمشهد نفسه يلعب دورًا مهمًا ، فأحيانا أرى أن المشهد تنقصه الروح ، والكوميديا ، والإحساس في الأداء ، مثلا يكتب في السيناريو: «تبكي» ، لكن لا يذكر كيف تبكي ، هل تبكي بحرقة ، أو كيف؟ فاضطر إلى النظر إلى المشهد ، ورؤية ما يخدم المشهد ، وفي نفس اللحظة اضطر إلى الارتجال ، والالتزام بالسيناريو أمر ضروري ، والسيناريو هو رسم الحركة أمام الكاميرا ، وطريقة الجلوس ، والكلام ، وتفاصيل أخرى.

ويمكن بعد ذلك أن نقوم بعمل إضافات لأن بعض المشاهد تحتاج إلى إضافات ، فليس ضروريًا أن يكون الحوار كما هو مكتوب فالارتجال يكون جميلًا ، ورائعًا ، لكن ليس درجة إعطاء كلام ليس له معنى وبما يخدم المشهد بطريقة ممنهجة بحسب السيناريو المكتوب.

- أيهما يمثل أولوية بالنسبة إليك القصة، أو الشخصية التي ستمثلينها؟

الشخصية في المقام الأول ، والحوار والمشاهد الخاص بها ، وما هي مواقفها ، والرسالة التي تقدمها.

كما أن الحدث الذي يمكن أن يغير من مسارات المسلسل ، وقد لا يكون معه حوار ، وهنا تظهر موهبة الممثل المحترف للتمثيل ، والإنسان العاشق للتمثيل من خلال تسييسه للحركة ، وإبداعه فيها ، مثلًا في فيلم (الرهان الخاسر) ستلاحظ أني ظهرت في مشهدين ، ولم يكن فيهما كلامًا كثيرًا لكنه مؤثرًا ، وكان تأثيره كبيرًا جدًا.

مشهد آخر لا يتجاوز الدقيقة لكنه عندما عرض على الفنان المصري (محمود ياسين) عندما جاء في زيارة إلى اليمن ، وعُرض عليه فيلم (الرهان الخاسر) كان إعجابه كبيرًا بالمشهد الذي أديته ، طبعًا أعجب بأداء الآخرين ، لكنه سأل عني بالتحديد ، ورأى أدائي ، وحركتي مع الكاميرا ، فالكاميرا حكت كل شيء ، فقد كان هناك دوران للكاميرا ، وكنا نحن الممثلون ندور مع الكاميرا أثناء الأداء ، ولا يمكن لجميع الممثلين القيام بذلك.

كما وقفت أمام الممثل (أحمد عبدالله حسين) ، ممثل كبير ، ودرس في الخارج ، يعتبر أستاذي ، وأوجه له تحية كبيرة ، فكان مشهدًا رائعًا ، والحمد لله أني لقيت استحسان الفنان (محمود ياسين) فسأل عني ، وعن دراستي في التمثيل ، واستدعاني للحضور إلى مصر ، وأن أكون ممثلة في مصر لكن شاءت الأقدار غير ذلك.

- ما استراتيجياتك لفصل الشخصيات التي تؤدينها، ومنع تأثير إحداها على الأخرى؟

سؤال جميل ، طبعًا هنا لن أعطيك إلا أشياء بسيطة لأن هذا من أسرار المهنة ، وإن أخبرتك عن كل شيء فسأكشف عن نفسي ، أحاول أن أرى كيف كانت الشخصية التي قبلها ، إذا كانت جادة ، أو كوميدية ، أو فيها روح من البراءة ، أو روح من الشر ، فأحاول أن أخرج منها ، وأؤدي شخصية جديدة ، فأستفيد من الشخصيات السابقة ، وأحاول الخروج بشخصية جديدة أستغل فيها المشهد نفسه.

لا أعرف حتى اليوم كيف أفعل ذلك لكن كما قلت لك أني أستفيد من الشخصية السابقة ، وأحاول أن أغيّر منها سواء في الشكل ، أو في الأداء ، أو في الحوار أو في نظرات العينين ، كله بحسب الشخصية ، مثلًا إذا كانت شخصية أم جادة قوية فلها وزنها ، ولكل شخصية وزنها ، فربما تكون هذه الموهبة التي عندي ، - والله أعلم- وأحاول الاستفادة من الشخصيات التي أديتها ، وأعمل اختلاف.

- هل تفضلين تقديم الأعمال الدرامية، أو الكوميدية؟

أنا أحب الإثنين لأن الممثل المحب للمهنة يجب أن يتقن الإثنين.

أنا طبعًا في مسلسل (كيني ميني) بأجزائه الثلاثة ، وفي مسلسل (عيني عينك) كان دوري كوميديًا إلى حد ما ، كوميدي هادف ، بالإضافة إلى أنه في شخصية (سميرة) في مسلسل (الجمّالية) كان فيها كوميديا خفيفة ، فالكوميديا جميلة ورائعة ، وكذلك التراجيديا ، وأنا أحب الإثنين معا.

وإذا وضعوني في أي مكان أستطيع أن أتقمص الشخصيات ، وأدخل المكان الذي يضعوني فيه ، وأتمنى أن يكون هناك الكثير من الأعمال المليئة بالكوميديا ، والتراجيديا ، وأحب التنوع ، وإذا بقيت على إطار ونوع واحد فسوف يمل الجمهور مني ، فيجب أن أغيّر بين الكوميدي ، والتراجيدي ، وبين الشخصيات الطيبة ، والشريرة ، فيجب أن أنوع ، وأؤدي جميع الأدوار.

- متى يكون الفنان بحاجة إلى الابتعاد عن الأعمال الدرامية، وعن الأضواء، وإعادة ترتيب أوراقه؟

هذا سؤال حساس جدًا ، فالفنان بحاجة لذلك عندما يحس أنه بدأ يكرر نفسه ، بالإضافة إلى ذلك أول ما يحس أن هناك هجوم عليه قد بدأ ، أو حرب بدأت ضده ، أو مثلًا بدأ الانتقاص من مكانته ، فأول ما يحس الممثل أنه وصل لأحد هذه المراحل ، فبالنسبة ليّ أفضّل الابتعاد ، وإعادة ترتيب الأوراق ، وصقل ، وتطوير الموهبة ، ومحاولة الدراسة في المجال إن كان هناك حب للمجال ، وليس وسيلة للقمة العيش.

فيحاول الممثل أن يطور من نفسه ، ويغيّر من شخصيته تمامًا أثناء حدوث الثلاث النقاط التي ذكرتها ، عندما يلاحظ أنه بدأ يكرر نفسه ، وأن الجمهور قد بدأ يمل منه ، ومن شخصيته ، وخفَ التفاعل مع هذه الشخصيات ، أو بدأت الحرب ضده ، أو التقليل من مكانته ، أو من أجوره المادية ، في هذه اللحظة يبدأ يبتعد ، ويعيد ترتيب أوراقه.

- هل تخططين للمشاركة في أعمال درامية عربية مستقبلًا ؟

لا ، حاليًا لا أخطط ، لكن فكرة أن أشارك في أعمال عربية مستقبلًا موجودة في رأسي ، والتهيئة لها موجودة ، ولكن لها بعض النقاط التي يجب أن ألتزم بها حتى أستمر في الترشيح لأن لها معايير معينة ، لأن الدراما العربية مثل السينما المصرية ، أو أي سينما أخرى لها معايير معينة ، وخاصة السينما المصرية ، ناس لهم مكانتهم ، ولهم تاريخهم الكبير في السينما لأكثر من مئة عام ، فيجب أن أتبع بعض المعايير ، وأجهز نفسي على أساسها ، وآمل أن أشارك في أعمال عربية مستقبلًا.

- هل من الممكن أن تشارك بناتك في الأعمال الدرامية اليمنية، أم تفضلين إبعادهن عن الوسط الفني؟

سأقول لك شيئًا ، لهجة بناتي قريبة من لهجة والدهن ، وهي اللهجة المصرية ، ويدمجن بعضًا من اللهجة اليمنية ، والكثير من اللغة الأجنبية ، وبالنسبة لي فلا أمانع أن يشاركن إن أردن ذلك ، وأنا أدعم بناتي بكل خطوة يقمن بها ، طبعًا ابنتي الكبيرة تمتلك صوتًا جميلًا ، ورائعًا ، وتغني أغاني أجنبية ، وأنا من الداعمين لها ، وما دامت تمشي في الطريق الصحيح فليس هناك مانع أن أقف معها في تطوير الموهبة التي تحبها ، وفي الاستمرار فيها.

فبالنسبة لي ليس هناك أي مشكلة أن تدخل بناتي المجال الفني ، ولكن يجب الاهتمام بالمستقبل بشكل أكبر ، وأن يحصلن على شهاداتهن العليا ، وألا يؤثر التمثيل على حياتهن الخاصة ، أو على مستقبلهن ، والهواية شيء لا بد منه.

- ماذا عن العمل .. هل تخططين للعمل في مجال فني غير التمثيل مثل صناعة الأفلام، أو الإخراج؟

طبعًا ، يجب أن أطوّر نفسي في صناعة الأفلام ، وفي الإخراج ، وهناك الكثير من الأفكار في رأسي ، وأيضًا كما أخبرتك سابقًا أني درست تجارة قسم محاسبة ، وقد أخذت شهاداتي ، وسجلت بها في إحدى الكليات في أمريكا ، وبدأت في دراسة صناعة الأفلام ، وإن شاء الله سيأتي الوقت المناسب لأعمل في صناعة الأفلام ، وكل حلم له طريق ، والله يوفقنا لتحقيق هذا الطموح.

أقول للمخرجين ، والكتاب ، والممثلين اليمنيين انتبهوا لذوق الجمهور اليمني ، فالجمهور اليمني ليس كما عهدناه فقد أصبح الآن جمهورًا متذوقًا ، وناقدًا.و القائمين على الدراما اليمنية عليهم الاهتمام ، والترويج الصحيح للدراما اليمنية خارج الإطار اليمني ، وإقامة مهرجانات تكريمية ، واحتفائية كما يحصل في الدول الأخرى ، أما القطاع الخاص فارجوهم غاية الرجاء غاية الرجاء لا تنتجوا مالم تكونوا قادرون على إنتاج أعمال فنية ذات قيمة ، وأطالبهم بالاهتمام بطاقم العمل سواء كان ممثلا ، أو ممثلة ، أو مهندس ديكور ، أو مصورًا ، أو مهندس صوت ، أو أي شخص آخر ، معهم في العملية الإنتاجية من حيث أجره ومتطلبات الأخرى أثناء العمل؛ كي تظهر أعمالكم بشكل رائع وجميل فأنتم تمثلون اليمن ، ونحن معكم نمثل اليمن.

- كيف يمكن تفادي ضعف الأداء الناتج عن اختيار (مشاهير السوشيال ميديا) غير المؤهلين لتقديم أدوار درامية؟

هذا يتم على ظهر الفنيين «on the back of other people» ، أو على ظهر الممثل صاحب الكفاءة ، والخبرة ، الفاهم ، وصاحب الموهبة ، لذا قبل الدخول إلى المجال الفني ، يجب أن تنقل الموهبة بالتدريب ، على التمثيل ، والوقوف أمام الكاميرا زواياها ، ومفاتيح الحوار ، فأغلب الذين يأتون من السوشيال ميديا مباشرة للتمثيل معنًا بسبب عدد متابعيهم فقط يسببون استنزاف للإنتاج من حيث السكن ، هذا بحسب خبرتي مع شركات الإنتاج.

كذلك استنزاف مشاعر ، وأحاسيس ، ونفسية ، ووقت الممثلين ذوي الخبرة ، والكفاءة ، فيعود الممثل منهم إلى منزله وقد استنفذ طاقته الإيجابية بوقوفه أمام شخص لا يملك أي خبرة ، ولا يعرف أي شيء عن التمثيل ، وهنا تكمن الصعوبة.

- ما دور (الغيرة الفنية الإيجابية) في تطور مسيرتك الفنية؟

للأسف وبكل صراحة ، لا يوجد غيرة فنية إيجابية ، كان قديمًا يوجد غيرة إيجابية ، وكانت من أجل تطوير الذات ، وكان هناك غيرة يمكن أن ينتج عنها استخدام وسائل غير مشروعة مما يؤثر على الآخر ، خاصة أنه أصبح لدينا (غيرة السوشيال ميديا) ، والمتابعين ، وغيره... وكل شخص يعبر عن البيئة التي جاء منها ، لذلك يفترض أن تؤدي الغيرة الفنية تؤدي إلى تطور في أدائي وفي شخصيتي وأن أعرف الممثل الجيد وغير الجيد ومن أدعم ومن لا أدعم.

- ما طبيعة الدور الذي قدمتيه في أول تجربة سينمائية طويلة، وهل ترين أن السينما اليمنية قادرة على المنافسة عربيًا؟

أول تجربة ليّ كانت في (New day in old Sana›a) - يوم جديد في صنعاء القديمة - وكان المخرج يمنيًا ، وهو الأستاذ (بدر بن حرسي) ، لكن الطاقم كان لبنانيًا ، وبريطانيًا ، أما المنافسة العالمية فلا أعتقد لأننا تنقصنا أشياء كثيرة ، ولا أقول أن العناصر غير موجودة لأن الشباب الموجود حاليا بعضهم خريجي الصين مثل: (عبدالسلام يحيى إبراهيم) ، خريج الصين في السينما ، والمخرجة اليمنية (سارة إسحاق) التي حصلت على الماجستير في الإخراج من معهد الفنون في إدنبرة عاصمة اسكتلندا.

أما بالنسبة لعمل بطاقم يمني متكامل ، فلم نقم بهذا الشيء ، وأتمنى أن يكون هناك فيلمًا يمنيًا بطاقم عمل يمني متكامل ، يؤدي عمل درامي سينمائي كبير ، يترشح لمهرجانات خارجية كبيرة ، وكما هو حال الأعمال التي يقدمها المخرج العدني (عمرو جمال) ، وحاز على جوائز من جهات عربية ، وعالمية ، وأشادوا به بشكل كبير ، وأعتقد أن جميع طاقمه يمنيون؛ فاليمنيون قادرون أن يعملوا عمل فني لكن تنقصهم الإمكانيات بشكل كبير ، بالنسبة لي أول دور سينمائي قمت به أفادني جدًا ، حيث أن أدائي اختلف في السينما ، فالأداء يختلف تماما عن التلفزيون ، وعن المسرح ، واستفدت من حيث طريقة الأداء حيث أنها تكون مختلفة ، ومن حيث تعاملي مع الكاميرا ، ومع الممثل الذي أمامي ، وكيف يكون الإحساس أثناء الأداء ، فالأداء مختلف تماما عن الأداء في التلفزيون ، والمسرح ، فتعلمت ، واستفدت منه كثيرا مع أنه كان عملًا واحدًا فقط إلا أني استفدت منه بشكل كبير جدًا.

- ما الرسالة التي أردت تقديمها من خلال أعمالك ومن خلال الأدوار التي تقدمينها؟

حاولت من خلال كل الشخصيات التي قدمتها أن أثبت وجود المرأة اليمنية ، الصبورة ، القوية ، المكافحة ، والتي حملت السيف ، وشاركت في المعارك ، والتي كانت أقدم الملكات في التاريخ ، وهي أم ، وأخت ، وزوجة ، وابنة ، والصبورة في وقت الأزمات ، التي تشد ازر ذويها ، وتجاهد في الحياة بشتى الطرق ، فأحب أن أضع هذه البصمة في كل شخصية.

شارع المطاعم بصنعاء

قصة اليمن الكبير التي يجمعها فنجان شاي عدني مدهش

عبد الرحمن مطهر

«مئة متر تختزن ذاكرة اليمن وتجمع السياسة والاقتصاد والرياضة في فنجان شاي ورغيف خبز»

العاصمة صنعاء ، وتحديدًا مدينة صنعاء القديمة كما يعرفها الكثير تعتبر أحد أقدم مدن العالم المأهولة ، والتي تتميز بعمارتها الفريدة ذات البيوت المزخرفة بالجبس الأبيض والنوافذ الملونة ، ومساجدها التاريخية وأسواقها الشعبية النابضة بالحياة ، وسكانها الذين لا يزالون محافظين على عاداتهم وتقاليدهم العربية الأصيلة.

كل ذلك وغيره جعل صنعاء في المجمل؛ متحفًا مفتوحًا ، لا يمل الانسان من زيارته مرات ومرات...

ميدان التحرير

وفي المقابل هناك أيضا أماكن يحرص كل من يزور العاصمة صنعاء على الوصول أولا إليها ، سواء أكان من أبناء اليمن أو خارجها كميدان التحرير مثلًا.

وميدان التحرير عبارة عن فسحة واسعة تتنفس فيها العاصمة ، تتقاطع فيه خطوات العابرين مع أصوات الباعة المتجولين ، وتتعانق رائحة القهوة اليمنية الاصيلة ، مع عبق الكتب المعروضة في الأكشاك الصغيرة ، وعلى مكتبات الرصيف المؤزعة في أرجاء هذا الميدان.

والميدان- الذي يقع وسط العاصمة صنعاء؛ أنشئ بعد قيام ثورة 26سبتمبر1962م ، وكان يسمى سابقًا: ميدان شرارة- تحيط به العديد من المباني التاريخية والتي ترجع لعصر تواجد الدولة العثمانية في اليمن.

ومن هذه المباني المتحف الوطني والحربي ومتحف التراث الشعبي ، ودار السعادة ، ومسجد المتوكل التاريخي وغيره من المعالم التاريخية التي تبرز كحراس للتاريخ ، تحفظ ذاكرة الأجيال وتروي حكايات اليمن عبر العصور.

ميدان التحرير رغم أن له تاريخ كبير لموقعه وظروف نشأته ، إلا أنه ليس المكان أو الموقع الوحيد الذي يحرص الزائر على زيارته ، بل هناك أسوق مهمة تجذب الزائرين كسوق شارع جمال ، وهو بالمناسبة أبرز سوق تجاري في العاصمة صنعاء ، اشتهر ببيع الأقمشة والملابس منذ ثورة 26 سبتمبر1962م ولا يزال محافظا على حيويته ونشاطه ، كذلك تم أنشاء العديد من الوزرات والمؤسسات خلال السنوات الأولى لثورة 26 سبتمبر ، في احياء هذا الميدان ، كوزارة المواصلات ، والبريد ووزراه الثقافة والسياحة ، ووزارة الاتصالات ومدرسة جمال عبدالناصر ، ومدرسة سيف بن ذي يزن وملعب الظرافي وغيرها من المرافق ، إلى جانب ظهور شركات تجارية كبرى في هذا الميدان كمؤسسة الوتاري التجارية والتي لا تزال قائمة حتى اليوم وغيرها من الشركات والمؤسسات التجارية ، فارتبط هذه الميدان بالسياحة والثقافة وبمؤسسات الدولة وبالاقتصاد أيضا ، كل ذلك تقريبا أدى إلى نشوء حي شعبي خلف مبنى البريد قد لا يتعدى المائة متر تقريبًا ، لتلبية رغبات رواد هذه المؤسسات من وجبات الإفطار بشكل أساسي بداية ، وهو شارع المطاعم محور حديثنا خلال هذه الزاوية؛ وذلك لتلبية لاحتياجات رواد هذه المؤسسات.

نافذة على مدينة تقاوم الحرب

هذا الشارع الصغير المجاور لميدان التحرير ، والذي عرف عند الكثير "بشارع المطاعم" والبعض كان يسميه بشارع "العدانيه" لتجمع أبناء مدينة عدن الحبيبة فيه ، بالرغم من ضيق مساحته إلا أنه يختزن في زواياه قصة اليمن الحديث ، فلم يعد مجرد حي شعبي أو سوق للوجبات التي تلّبي حاجة موظفي ورواد المؤسسات التي ذكرناها ، بل تحول إلى "يمن مصغر" يحتضن- بكل دفئ وحنان- اليمنيين من مختلف محافظات الجمهورية لا سيما بعد الوحدة اليمنية في 22 مايو 1990م.

هذا الشارع المقفل ، الذي يضفي عليه انغلاقه طابعًا خاصا ليس بالوجبات فقط وليس لمرور السيارات أو حتى المشاة ، بل لأمور أخرى أكثر حميمية؛ حيث يلتقي الأصدقاء وتعقد النقاشات مفتوحة الأبواب شبيهة بالندوات ، بل وأقيمت فيه فعلا ندوات ثقافية سنتحدث عنها.

هنا بين أرجاء هذا المكان المكتظ أغلب أوقاته ، تداعب الزائر رائحة البن اليمني الأصيل وقهوة القرفة والزنجبيل والشاي بالحليب ، من قهوة ملك الشاي العدني "مدهش عبادل" ، مع رائحة الخبز الساخن والوجبات الشهية.

هنا يلتقي العدد من المثقفين خاصة اليساريين من الشمال والجنوب ومن مختلف المحافظات والمناطق اليمنية ، يجتمع الصحفيون والأدباء

والكتاب والرياضيون ، يتناقشون في كل شيء ، من الرياضة إلى الادب إلى الشعر ، والقضايا السياسية دائما ما تكون هي الحاضر في كل المجالس والنقاشات وبكل قوة.

في مقهى مدهش تتداخل الأغاني بصوت أيوب طارش ، مع أصوات النقاشات السياسية والرياضية ، مع أصوات المباشرين "عمال المطاعم" مع الأصوات المزعجة للدراجات النارية التي بدأت حديثًا تدخل للشارع ، ليصبح هذا المكان بمساحته المحدودة يمنًا مصغرًا وهو فعلًا كذلك ، يجمع الصنعاني بالعدني ، الصعدي بالمهري والحضرمي ، الريمي والوصابي بالتعزي ، وهكذا مواطنين من مختلف المحافظات اليمنية ، يتبادلون الهموم اليومية ومتاعب الحياة وينَّفسون عن أنفسهم ، هموم بعضهم البعض ، يتحدثون عن كل شيء ، عن حياتهم ومتاعبهم ومشاغلهم وعن الحرب وما أحدثته من شروخ وجراح اجتماعية نأمل ان يتم معالجتها بفضل العقلاء من مختلف الأطراف.

غير أن الجميل في كل تلك النقاشات هي حرية التعبير ، إذا لا يستطيع أحد أن يصادر حرية التعبير لأي شخص آخر ، والمهم في كل ذلك هو أن يتحدث الشخص باحترام من دون سخرية ولا ازدراء.

علاقتي الشخصية بالشارع

في ثمانينات القرن الماضي كنت أدرس الابتدائية في مدرسة جمال جميل ، ومن هنا بدأت علاقتي بهذا الشارع لقربه من مدرستي التي أحببتها كثيرا ولا زلت أحبها لارتباطها بذكريات الطفولة ، ولا أزال أتذَّكر كل تفاصيل دراستي فيها.

بالنسبة لي كان هذا الشارع عبارة عن شارع فيه مجموعة من المطاعم التي تبيع مختلف الوجبات والشاي وبأسعار مناسبة ، كنت آتي إليه باكرًا مع زملاء الدراسة للإفطار منطلقين بعد ذلك نحو مدرستنا.

وفي مطلع التسعينات كنت أيضا أدرس الإعدادية والثانوية في مدرسة سيف بن ذي يزن- التي هي بالمناسبة هي إحدى الهدايا العظيمة لدولة الكويت لبلادنا- أيضا كنت آتي مع بعض الزملاء الذين بعضهم كان يحضر معنا لأول مرة ، وهكذا تعمقت علاقتي الشخصية مع هذا الشارع.

ومن بعد الدراسة الجامعية وخلال حضوري كزبون دائم في هذا الشارع تعرفت على العديد من الزملاء والأصدقاء والأدباء ، أبرزهم لا شك الأديب والشاعر "محمد القعود" رئيس اتحاد الأدباء والكتَّاب اليمنيين في صنعاء ، والذي تعرفت عليه في التسعينات ، كما تعرفت من خلال هذا الشارع على الكثير من الأصدقاء واعتذر عن ذكر أسمائهم حتى لا يسقط أحد من ذاكرتي ، خاصة أنهم كثير جدًا.

وزادت هذه العلاقة مع الزملاء ومع هذا الشارع بعد دخولي المجال الصحفي خاصة بعد عودتي من تعز في العام 2004 ، فكان لا بد من الحضور إلى هذا الشارع لتناول الفطور ، وأيضًا لاحتساء فنجان الشاي العدني المدهش من مقهى مدهش الذي اكمنت عليه ، ومن يد المعلم مدهش عبادل خاصة أو نجله المعلم وهيب أو مستور ، وحاليًا هناك معلمون جدد هم أولاد العم مدهش كالمعلم وليد ووسيم وأيضا عمرو ، وغيرهم...

شاي مدهش

وبكل صدق ، وعن شهادة الكثيرين من رواد الشارع؛ شاي مدهش فعلًا مدهش بالرغم أنه مجرد ماء مفوَّر وقليل من الشاي بالحليب الممتاز والسكر وحاليًا أشرب الشاي دون سكر ، غير أن السر ليس في هذا المشروب الساخن ، وإنما في الروح الطيبة والأصيلة لمن يعمل في تحضير هذا المشروب العدني سواء كان المعلم مدهش عبادل المؤسس الذي لا يزال يمارس عمله منذ حوالي خمسين عامًا ، أو أولاده الذين أصبحوا اليوم معلمين محترفين في تحضير الشاي العدني وغيره من المشروبات الساخنة حسب طلب كل زبون.

يحضِّرون الشاي بنفس الروح الطيبة التي تعلموها من العم مدهش ، يعملون ليل نهار دون تذمر يبتسمون للجميع ويرحبون بكل قادم جديد ، ألاحظ الكثير يأتي إليهم ولا يملك ثمن فنجان الشاي ، فيتم إعطاؤه دون تذمر أو من أو أذى.

فلم يتعلموا من العم مدهش كيفية تحضير الشاي العدني فحسب ، بل تعلموا كذلك كيفية التعامل مع مختلف الزبائن من كتَّاب وسياسيين ومسؤولين عسكريين ومدنيين وغيرهم ، واكتسبوا منه الروح الطيبة ، وفي هذا الصدد يقول العم مدهش لكاتب السطور "لم أبخل يوما على أحد في نقل خبرتي إليه ، واليوم العديد من العمال الذين عملوا معي فتحوا لهم محلاتهم الخاصة وأنا سعيد بنجاحهم هذا ، فإيماني المطلق أن الرزق على الله ، وأن ما للإنسان إلا ما كتب له ، وأن لي الأجر الكبير في نقل خبرتي إليهم".

لوحة تراثية في قلب العاصمة

بمجرد دخولك لشارع المطاعم يقابلك أصحاب عربات "السحاوق" عبارة عن طماطم مفرومة بعد خلطها بالثوم والفلفل والكبزرة والنعناع والجبن لمن أراد ، وما إلى ذلك ، وهي وجبة لذيذة تعرف بوجبة البسطاء ، وعلى يمينك تجد مطعم البوري صاحب أشهى إفطار وأيضًا وجبة العشاء ، وعلي يسارك مقهى ملك الشاي العدني "مدهش عبادل" وبجانبه على اليمين بسطة صغيرة للخبز الطاوة يعمل عليها الرائع بدر حميد ، ويسار مدهش يوجد مطعم النمر صاحب الوجبات الساخنة الإفطار والغداء العشاء ، وفي الجهة المقابلة له توجد طاولة خبز "الطاوة" للفنان صادق ، وهناك مقهى آخر للشاي العدني وهو المحل القديم للعم مدهش ، والذي يعمل فيه حاليًا بعض عماله السابقين. وللأمانة جميعهم شعارهم النظافة أولًا ، وهذا ما يميِّزهم.

من يصل إلى التحرير لأول مرة ، لا بد له بد له أن يسأل عن أفضل مطاعم شعبية في صنعاء فيدله الجميع إلى هذا المكان للإفطار ، أو للغداء أو للعشاء ، ومن يأتي إلية للمرة الأولى لا بد له أن يكرر هذه الزيارة مرات عديدة.

وخاصة في ظل الوضع الاقتصادي الذي يرزح تحت وطأته أغلب اليمنيين؛ يفَّضل الكثير تناول الشاي العدني مع الخبز الساخن؛ فتجد الطاولات متراصة ، والمقاهي مفتوحة على الهواء ، والناس يجلسون بلا حواجز طبقية أو مناطقية.

فهذا الشارع ليس مجرد مكان تجَّمع للناس لتناول الوجبات واحتساء الشاي ، بل مساحة للحرية والفكر والتواصل الإنساني الحقيقي. كما

كان ولا يزال جزءًا من ذاكرة اليمن التي لا تموت.

القعود... روح الشارع

في شارع المطاعم كما ذكرت يجد الزائر الطاولات عامرةً بالنقاشات الساخنة التي يقودها أشخاصٌ يتوسطون تجمعات صغيرة ، كلٌ منهم يُضفي طابعًا خاصًا على الحوارات ، ووسط هذا الزخم ، هناك طاولة مختلفة يتجمع حولها أشخاص تتضح من ملامحهم انهم أدباء أو كتَّاب أو صحفيون ، يجد الزائر أن هذه الطاولة بالتحديد تنبض بالحياة والنكات وبالنقاشات كأنها قلب الشارع.

عادة يتزعم الطاولة الأستاذ والأديب الكبير محمد القعود ، والذي أصيب مؤخرًا بوعكة صحية شفاه الله ، ورغم ذلك يحرص على الحضور بصورة يومية تقريبًا وأحيانًا صباحًا ومساء.

فالأديب والشاعر محمد القعود يضفي على المكان روح البهجة والحياة المتفائلة بالغد الأفضل ، قبل الحرب نظَّم الأستاذ القعود في هذا الشارع العديد من الندوات الثقافية. وأتذكر أن وزير الثقافة في العام 2012 وكان آنذاك الدكتور عبدالله عوبل حضر إحداها ، كذلك نظَّم القعود حفل توقيع إحدى مجموعاته القصصية في هذا الشارع و ناسه البسطاء.

لذلك ارتبط الشارع بشخصية الأستاذ القعود ، حتى أن البعض إذا لم يجد القعود يقفل عائدًا مباشرة ، فالأستاذ القعود يمثل صوتًا حيًا يملأ المكان ، يربط بين السياسة والثقافة ، بين اليومي والرمزي ، بين الحكاية الشعبية والقصيدة الحديثة.

فحضوره جذب الشباب والكبار على حد سواء ، حتى أصبحت طاولته منتدىً غير رسمي ، يجتمع حوله العشرات لمناقشة قضايا الأدب والفن والسياسة ، والاستماع إلى حكاياته التي لم تفقد بريقها يومًا.

لذا الأستاذ القعود ، ليس مجرد أديب يجلس في زاوية شارع مزدحم يحتسي فنجان الشاي ويذهب إلى حال سبيله ، بل روح نابضة تستقطب الكثيرين ، وحضوره أضاف للمكان معنى يتجاوز المقهى.

وأتذكر في غياب القعود عند إصابته بالوعكة الصحية وسفره للقاهرة للعلاج ، شعرت أن الشارع توقف عن النبض ، والكثير كان يتساءل متى سيعود القعود.

«ناس شارع المطاعم» لوجدي الأهدل

ولم يجذب هذا الشارع الأستاذ القعود فحسب ، بل جذب الكثير من الادباء والكتاب والسياسيين كما ذكرت ، ومن أبرز هؤلاء الادباء والكتاب ، الكاتب والروائي العالمي ، وجدي الأهدل كان قبل سفره من أبرز رواد هذا الشارع ، حيث كان يجلس بهدوئه المعتاد في إحدى زواياه يحتسي فنجان الشاي العدني ويشارك في النقاشات بهدوء أقرب إلى الهمس ، كذا هي طبيعته المعتادة في الحديث مع الزملاء والأصدقاء والأدباء.

ولتعلقه بهذا الشارع كتب مجموعته القصصية الأكثر من رائعة تحت عنوان «ناس شارع المطاعم» والتي صدرت في العام (2017) ، قدّم وجدي الأهدل خلال هذه المجموعة صورة أدبية مدهشة للشارع ، بوصفه حبلًا سُريًا يتصل يربط ناسه البسطاء بالأرض ، وفضاءً يواسي الحزانى والمتعبين. الأهدل جسد من خلال مجموعته القصصية هذه العديد من الشخصيات ، فجعل من شارع المطاعم فضاءً واسعًا يجتذب كل محب للحرية والطبقة المثقفة ، ويولّد الأفكار الجديدة.

ختاما

كما ذكرنا هذا الشارع يمثل اليمن الكبير ، فيأتي إليه الكثير من المواطنين والزوار؛ لذا لا بد من تنظيمه وترتيبه ، والاهتمام بنظافته ، والعمل على زراعة زواياه بالأزهار الجميلة ومنع دخول الدراجات النارية إليه ، وما إلى ذلك من أعمال التحسين ، خاصة أنه يدر إيرادات لا بأس بها للجهات المختصة.

فالاهتمام بشارع المطاعم يأتي في إطار الاهتمام باليمن الكبير ، بالتاريخ بالثقافة بالجمال ، بمساحته الصغيرة التي تتسع للجميع.

بما يمنحه للناس من حرية بلا ادّعاء ، ثقافة بلا بروتوكول ، وصداقة حقيقية بلا حواجز.

برق البشاير

وليد احمد الجبري

برق البشاير لاح يا(غمدان) والفجر اقترب
وكلمن يدلي بدلوه وآخر الدنيا حساب

من نكهة البن اليماني ، من عناقيد العنب
استهلم الحرف الموشّى بالعبارات الرطاب

وفي هوى كل القلاع الحميرية لا عجب
لا شفتني في كل يوم استعذب انواع العذاب

اتعب وفي مقدوري احيا خارج اسوار التعب
واخفي جروحي لجلها وادعس على انف الصعاب

وازرع تراب شمالها وجنوبها حُبًّا وحَب
واصونها من كل باغي واجعل احلامه سراب

واجمع ضلوعي كلما جار الشتا فيها حطب
وعيوني اجعلها اذا خابت مصايفها سحاب

ولو كبا فيها جوادي ذات صولة وانتكب
ولو توارى في سماها نجمي العالي وغاب

النار مهما حرّقت قرش الذهب يبقى ذهب
والدهر مهما جار ما يخفض رفيعين الجناب

احنا يمانيين من خيرة جهاديم العرب
واستعلم المسند وبا ياتيك نقشه بالجواب

نحفظ حبال الود ونقدّس مواثيق الصحب
وذكرنا من قبلما يكتب سليمان الكتاب

يا أول الاسما ويا آخر مواويل الطرب
يا تاج راس المجد يا ايقونة العز المهاب

يا اخت الوفا والمعرفه والجود من امًا واب
يا أم القرون المرجبة لا تغلقي للعز باب

قولي لـ(تمنع) جهدها تمنع قلالين الادب
وجهد (هجر الناب) في الهيجات يخلع كل ناب

وبلّغي (قرناو) لا تسأل (ضفار) ايش السبب
لِمّا خفت صوت اليمن ذي كان له راعد وزاب

هي الليالي هكذا تقلب على كمن شنب
لكن فلا ما بعد ميعاد التليم الاّ الصراب.

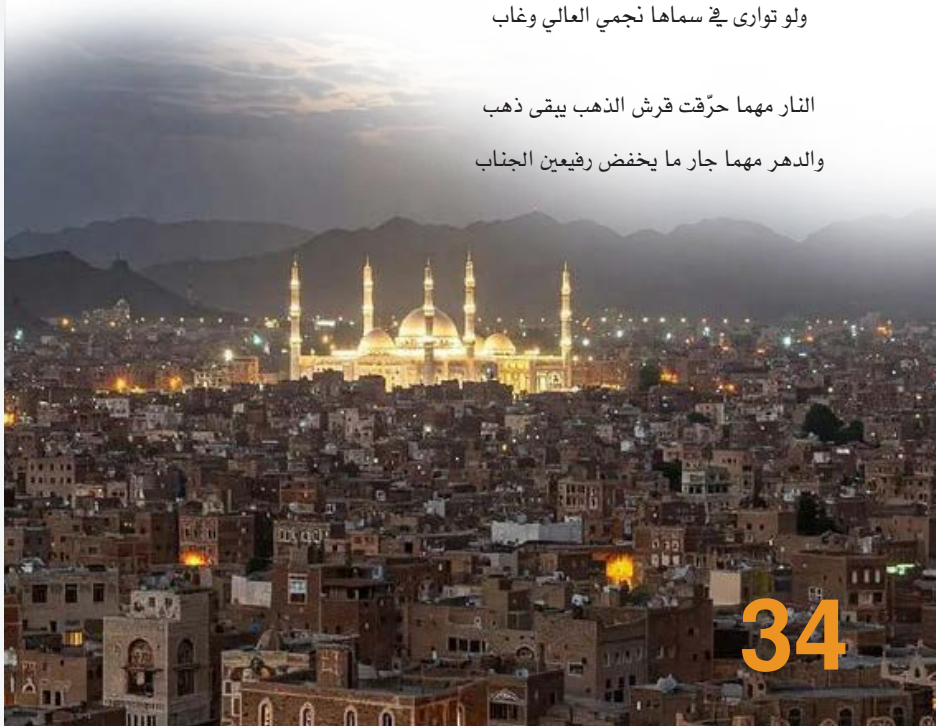

مآسٍ من الشوق

حسين إبراهيم

وأنا في هذا الليل الذي بات كورقة
خريف ذابلة
ألفظُ فيه آخر ألوان الوداع
ويحملني الريح فيه على مواضع أحزانه
ولَكَم يفاقم مرارته هذا الوطن الذي
ينضح بي شلال أحزان ليرمم بي
تشظي وحدته
ويُعمق من اتساع وحشتي
وينبض ملء حزني الفادح حنينه
نحو حانية تهائمه
فأتعثر بسهلها الفسيح الواسع
ومرجها الأخضر
وأسرح بالندى المتبخر من على رموش
قاطفات الفُلُ
وأثمل بأشواقي من ضفاف بحرها
الأسمر
لمشرق جنوبها
حيث يطل جبل رأس
كظل شاهق لدُباس
وسِراب لمعلَّم منسي
خُطَّ أثرُه بهُلام قاتم
ليعكس نسائم البحر ومُزن الغيوم
ولتنبعَ منه العيون رحيق عسل
ولأتنفسَ لياليه القاتمة
رضوضًا رمضاء
للقلوب التي ساحت على حوافه الصلدة
ولتواترها في الحكايا التي صُلبت على
معالمه
للذئاب التي نهشت ضراوة سِباعه
ولعويل الخيل المبتورة ساقيها
وللخرفان الطائرة
أشتاقك يا أم أبي
الحانية على قلبي كبستان من الرياحين
الدافئة كتيار من الحلم
يا عبق الدهر
ويا عطر دباس الفواح
يا حياةً لم تُنضبها السنين
يا ذاكرة العُمر المتقادم المديد
ويا سارحة على ثنايا الخلود بمُقلتيك
الرقراقتين
أطلي عليّ من خلف الركام المتبعثر
حولي
وأكملي لي حكاياتك الأولى
والقديمة
عن خِرافك الطائرة.

وجدي الأهدل

التوقيع الأدبي

قد يُضطر بعض الكُتّاب إلى إدراج رسالة سرية مُشفرة في نصوصهم الأدبية.

ربما البعض يرفض هذه الفكرة أو حتى ينفي وجودها ، ولكن هناك دلائل تشير إلى صحة هذه الفرضية.

هذه التقنية لا تستخدم إلا نادرًا ، وعندما يلجأ إليها الكاتب ، فهذا يعني أن لديه مسألة ما ليست موجهة لعموم القراء ولكن لقراء مخصوصين ، لنقل نوعًا معينًا من القراء المجهزين ثقافيًا لتلقي تلك المعلومة.

وهذا التشفير النصي هو مستوى أبعد من «الاستعارة». فالاستعارة تقع في خانة الغموض ، ويُحبذ وليس بالضرورة أن يتمكن القارئ العادي من التوصل إلى حل غموضها ليحصل على أعلى درجات المتعة الأدبية. وأما تقنية «التشفير» فتقع في خانة المجهول ، ومهما حاول القارئ العادي أن يتوصل إلى الإمساك بها ومعرفتها فإنه لن ينجح.. وخير له ألا ينجح ، فالأمر لا يعنيه ، ولو نجح بمصادفة ما في فك شفرة تلك الرسالة السرية ، فإن ردة فعله لن تكون حسنة ، وهو الأمر الذي توقاه المؤلف منذ البداية.

قد يستخدم المؤلف تقنية التشفير لأسباب ظرفية تتعلق بخوفه على حياته أو بسر ليس من المناسب إفشاؤه إلا بعد موته مثلًا ، وقد يستخدمها لأن تلك المعلومة يصعب على العقل البشري تقبلها ، لأنها تقع خارج نطاق إدراكه المحدود ، وإن حاول التعاطي معها فإن ردة فعله ستكون سلبية في كل الاحتمالات -مع الأسف- ولذلك يُفضل المرسل حجب تلك المعلومة.

أحد أفضل نماذج استخدام تقنية التشفير يمكن العثور عليها في القرآن الكريم كقوله تعالى: «كهيعص» في أول سورة مريم -من خلال اسم السورة نستنتج أن الرسالة المشفرة ليست موجهة للمسلمين ، وبالتالي فإن مسألة معرفة محتوياتها لا تعنيهم- وكقوله تعالى: «الر» في أول سورة هود. أيّ الحروف المقطعة ، وهي رسائل سرية مشفرة حاول كثير من المفسرين على مر القرون حلها ، ولكن ذلك لم يكن في مقدورهم.

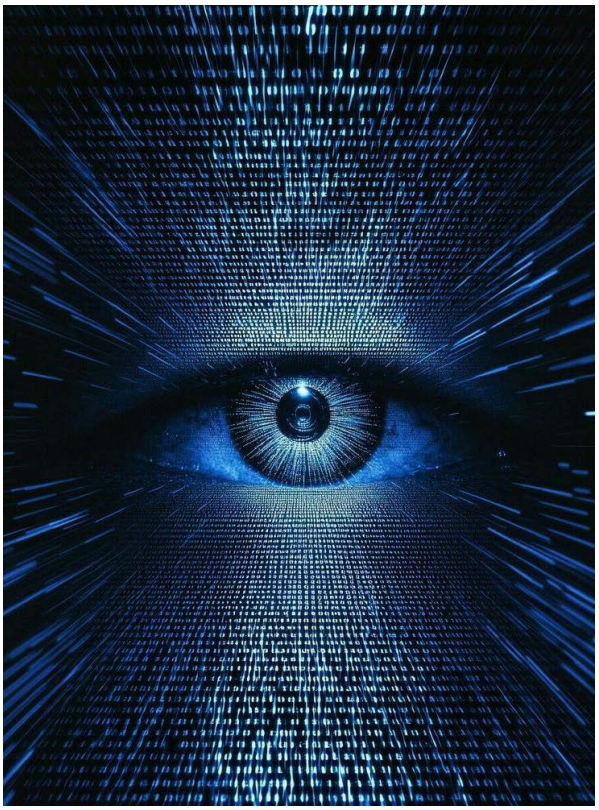

وهذه التقنية لها ظهور شبحي في كافة مجالات الفنون ، كالفن التشكيلي وخصوصًا في لوحات ليوناردو دافنشي ، وفي مجال العمارة كأهرامات الجيزة ، وفي الموسيقى كأعمال باخ.

أعرف موسيقيًا جوالًا ، عازف مزمار ، كان يكسب رزقه من العزف أمام المحلات التجارية وفي المقاهي ، ولاحظتُ أن الذي ينفحه إكرامية يُحييه بلحن معين ، فإن بخل عليه وامتنع أدبر عنه وهو يعزف لحنًا آخر. فسألته عن ذلك ، فأفشى عن سره وأخبرني أن الذي يعطيه مالًا يعزف له معزوفة يقول له فيها «أكرمك الله» ، فإن لم يعطه لعن أباه وأمه! فطلبتُ منه أن يعزف الأولى وأرهفتُ السمع وركزتُ فإذا اللحن يُطابقُ جملة «أكرمك الله وحياك» ، فطلبتُ أن أسمع المعزوفة الثانية ، فلما عزفها ضحكتُ ، لأنني سمعته آنذاك يلعن ببراعة بواسطة مزماره الفصيح.

يُقال إن صحفيًا ذهب لإجراء حوار مع الفيزيائي البريطاني السير إدنغتون الذي أثبت عام ١٩٢٠ صحة النظرية النسبية لألبرت أينشتاين ، وسأله هل صحيح أن هناك ثلاثة أشخاص فقط في العالم يفهمون النظرية النسبية.. فسكت إدنغتون ولم يجب ، فسأله الصحفي بماذا يفكر؟ فأجاب إدنغتون قائلًا «أنا أتساءل من يكون هذا الشخص الثالث!».

هذه الحكاية الرمزية توضح لنا أن بعض الأفكار العليا ليست في متناول الجميع ، ولا هي مناسبة لمستوى قدراتهم العقلية.

التراث والوعي التاريخي

عزالدّين عناية

ما من شكّ أنّ قضية «التراث والمعاصَرة» أو «التراث والحداثة» ، أو ما يرد بمسمّيات رديفة أو شبيهة ، هي من القضايا الدورية ، المطروحة في الفكر العربي. والتطرّق إليها بالحديث قد يغري بموالاة هذا الطرف أو ذاك ، والأمر كذلك مدعاة إلى حنين مفرط أو إلى توتّر مزعج. ولذلك لا نتعاطى غالبا مع هذه الثنائية باعتدال ورويّة ، ولا نتمالك أنفسنا جراء حاضر ضاغط وآتٍ داهم. ومن ثَمّ تُعَدّ تلك الثنائية -التراث والمعاصرة- من أكثر الثنائيات إحراجًا بين العرب ، محافظين وحداثيين ، على مدى القرن الفائت وإلى الحاضر الحالي ، دون حسم واضح بشأنها.

ولو شئنا تعريفا جامعا مانعا لتلك البؤرة الإشكالية لتعدّدت بنا السّبل ، مع أن التراث يظلّ «من المعلوم من المعارف والصنائع والمنجزات». ومع ذلك فالإشكال ليس في التعريفات ، لأنها قد تتحول إلى نقيض ما نصبو إليه ، وليس في رسم الحدود لهذا التراث ، وليس في تعداد مجالاته وبيان حقوله ، بل في المنهج السويّ الذي نعي به هذا التراث ، ونقصد به تحديدا «التراث والوعي التاريخي». حتى لا نتحول بدورنا إلى كائنات تراثية ، غير واعية بما تستهلك وغير مدركة لما تريد.

ذلك أنّ الوعي التاريخي بالتراث هو عملية جدلية مركّبة ، تتروّى في الماضي ، وتتملّى في الراهن ، وتتشوّف نحو المستقبل. وأن اختلال التوازن بين هذه العناصر الثلاثة ، أو تغليب عنصر على غيره ، من شأنه أن يُدخل ارتباكا على عملية الانتفاع بهذا الموروث. فالوعي التاريخي المفترض أن يرافق التراث ، هو تلك العملية الذهنية التي تستلهم الماضي ، وتتفهّم الحاضر ، وتقود السير نحو المستقبل. وهو تلك القدرة على الوعي بالأصول التي يتجذّر فيها واقعنا من أجل خلق فعل حضاري ، لتضعنا العملية برمّتها أمام تعامل سويّ. وبالتالي فإنّ التراث هو ذاكرة الكيان الجمعي الواعي بحضوره في التاريخ ، وأنّ هذا الرصيد كلّما انفصل عن الجماعة وغدا منجزا مستقلا بذاته ، أو بات استهلاكا عرضيا يخضع للمناسبات والمواعيد ، كلّما غرق في عملية التشييء والمتْحَفَة ، وهو أخطر ما يتهدّد التراث.

فلا غرو أنّ قضية التراث والوعي التاريخي تضعنا مباشرة أمام سؤال المنهج. والإشكال لدينا أننا كلّما تمعنّا ماضينا إلا وأُصبنا بالدهشة وغفلنا عن حاضرنا ، ولربما تملّكنا ذلك الإحساس المرير أن «مستقبلنا قد بات وراءنا في ماضينا» لما يعوزنا من تعامل رصين ونظر سديد. فنحن مقدِّسون للماضي بإطناب أو مدنِّسون له بإجحاف. والتراث على ثرائه ، مثقَل بالمعقول واللامعقول على حد سواء ، وقلّة من تستطيع فرز السلبي عن الإيجابي منه ، إذ نحن لا نتعلّم منهج التعامل مع التراث وإنما تقليد إجلال التراث أو ازدراء التراث.

ومن صائب القول أن نجلّ تراثنا ، وأن نعليَ من شأنه ، وأن نفاخر به ، ولكن ليس من الصواب أن يتحوّل المرء إلى كائن فاقد لقدراته العقلية والذهنية أمام التراث. ويذكرني تعامل كثيرين مع التراث بتعامل المأسور النفسي مع الماضي ، فهو يستحضر مآسيه فيغضب ويستدعي مسرّاته فيطرب ، دون وعي باللحظة التي هو فيها ، فالزمن متجمّد لديه ومفتقد لأبعاده.

ففي الجوهر يعبّر التراث عن خبرة ومعرفة وثقافة ، تراكمت عبر أجيال وعلى مدى عهود لدى جماعات بشرية ، جمعت بينها عوامل تاريخية وربطتها أواصر اجتماعية ، وشملتها أطر سياسية وحضارية جامعة. وهو خلاصة مراحل وتجارب مغرقة في القدم ، وليس منجَزا أو تواضُعا على نواميس أو أعراف أو قواعد صيغت على عجل. ولو تروّينا في الأمر نلحظ أنّ التراث بأشكاله وأنواعه هو مادة محايدة ، لا يتحرّك من ذاته وإنما يحرّكه الناس ، ولا ينطق من ذاته وإنما ينطق به الناس ، ولذلك ، الإشكال المطروح أمامنا وهو كيف نتعاطى مع هذه المادة؟ وكيف نعي استثمارها مجدّدا؟ وضمن أي شرط تاريخي ، هل وفق المأسور نفسيا ، أم المقهور حضاريا ، أم الواعي بها تاريخيا؟

وأولى شروط التعامل الصائب مع التراث وهو أن نعي أنّنا نحن وتراثنا لسنا مركز العالم ، فقد تزعزعت المركزيات واهتزّت ، منذ اكتشاف قانون النسبية. وأقوى الحضارات وأعتاها ، في الراهن ، مدركة كيف تتعامل مع هذه المعادلة ، لأنها تعرف كيف تتعامل مع ماضيها ومع ماضي العالم برويّة ، ومن ثَمّ كيف ترتّب حاضرها وتؤمّن مستقبلها. ترى الحضارة الغربية السائدة اليوم -في أبعادها المعرفية والعلمية- لم تَسُدْ لأنها أهملت الحضارات الأخرى أو حقّرت من شأنها ، وإنما لأنها أدركت ما فيها من نفع وما فيها من إسهام. وأقسام الدراسات الشرقية والجنوبية ، واللغات الميتة والحية ، هي الأوفر حضورا في جامعاتها

ومراكز أبحاثها.

والملاحظ أنّ بليّتين أصيب بهما التراث لدينا ، التسييس المفرط والتقديس المجحف. والإشكال الذي أَلمّ بالعرب أثناء تعامل مفكّريهم وكتّابهم وباحثيهم مع التراث وهو الأدلجة والتوظيف. وما تعدّدُ مناهج التعامل مع التراث: اليسارية ، واليمينية ، والليبرالية ، والماركسية ، والعلمانية ، والإسلاموية ، والسلفية ، واليسارية الإسلامية ، واليمينية الإسلامية ، سوى دليل على حمّى التسييس ، وقلّ منها من اعتمد المناهج العلمية والرؤى العقلية الصرفة في قراءة التراث. بإيجاز بات التراث ساحة تصفية حسابات محمومة لتيارات سياسية ، نقلت صراعاتها من الساحة السياسية إلى الساحة التراثية.

وكذلك من شروط التعامل الصائب مع التراث ، وبحسب مختلف تفرّعاته ، وهو الإلمام المعرفي والتاريخي والبنيوي بذلك القسم من التراث الذي يشتغل عليه الباحث والدارس. وهو العنصر الذي لم يُراعَ مع كثير من المشتغلين بالتراث من أكاديميين وهواة ومتطفّلين ، وهو ما أوقعنا في فوضى التعامل مع التراث وفي الأحكام المغرضة والتعميم. فكيف لمن ليست له دراية بالفلسفة ، أن يتطرّق إلى التراث الفلسفي ويفصّل القول فيه؟ وكيف لمن ليست له دراية بالملل والنحل والفرق والأديان أن يتحدث عن تراث الأديان؟ وقسْ على ذلك مختلف المعارف والتفرعات التي يطفح بها تراثنا. انظر إلى الأعلام والشخصيات المعرفية في تراثنا: ابن هشام ، الطبري ، الغزالي ، ابن رشد ، ابن حزم ، ابن تيمية ، ابن منظور ، ابن بطوطة وغيرهم كثير ، كيف حولناهم إلى تابوهات ، حتى تشكلت لدينا حقول معرفية مسيّجة بالرهبة.

وبالإضافة إلى ذلك ، نتعامل مع ما أنجزه الغربيون بشأن تحقيق التراث وقراءته وإحيائه بحساسية مفرطة ، وأحيانا بأحكام مغرضة. فتارة نهوّن من أعمال هؤلاء وأخرى نجلّ أعمالهم ، والصواب أن نقيّم ، ونراجع ، ونتثبّت ، وأن نصحّح الأمور إن لزم الأمر. سمعت مرة جامعيا عربيا يصدح بالقول بانتهاء الاستشراق! مع أنه لا يقرأ بألسنة الغرب ، ولم يتابع ما أنجزه مفكروه وباحثوه بخصوص حضارتنا حتى في ما تُرجم منه ، وإن كان نزرًا قليلا مما بلغنا عن الغرب. كنت أستحي من هذه المكابَرة التي لا تليق بالباحث الجامعي.

فحين يهرع المرء إلى التراث كلّما داهمته مشكلة معرفية ، ويعلّق آماله على الفوز بمبتغاه فيه ، فهو إنسان واهم ، لأن التراث ليس خزّان حلول ، بل هو مخبر تجارب ، ينبغي قراءتها بعين فاحصة وإلا فقَدَ الإنسان حسّه بالزمن وارتباطه بالواقع. فما معنى أن يتحوّل المرء إلى كائن تراثي ويغفل عن متطلبات واقعه؟ وما معنى أن يعطّل مداركه ويستنجد بماضيه؟ ينبغي أن نسأل دائما: إلى أي مدى يوفّق الاستنجاد بالماضي في رفع تحديات الحاضر وتأمين حاجات المستقبل؟ ومن ثَمّ يهدف الوعي التاريخي بالتراث إلى عقلنة الوعي بالتراث والخروج به من حالات التعامل السقيم.

العدد(14) - ديسمبر - 2025

«لام شمسية» مرآة للصدمة... ومحاولة شجاعة للتعافي

باسل منصر

في الدراما العربية ، نادرًا ما يظهر عمل لا يكتفي بسرد الحكاية ، بل يضع المجتمع أمام مرآة غير مريحة. مسلسل لام شمسية هو أحد هذه الأعمال القليلة التي لا تطلب التعاطف بقدر ما تفرض المواجهة ، ولا تستخدم الصدمة كأداة جذب ، بل كمدخل لفهم أعمق للنفس والذاكرة والجراح المؤجلة.

المسلسل ، من تأليف مريم نعوم وإخراج كريم الشناوي ، عُرض في النصف الثاني من رمضان 2025م ، ونجح في تجاوز كونه عملًا موسميًا ليصبح مادة لنقاش اجتماعي ونفسي طال تأجيله.

كسر التابوه الأكثر صمتًا

يضع «لام شمسية» قضية التحرش الجنسي بالأطفال الذكور في قلب السرد ، دون تهويل أو استعراض. خطورة الطرح لا تكمن في الجرأة وحدها ، بل في المكان: الأسرة ، المدرسة ، والدائرة المفترض أنها آمنة.

المسلسل لا يسأل: كيف حدث ذلك؟

بل يسأل السؤال الأصعب: لماذا صمت الجميع؟

يعرض العمل بوضوح معاناة الضحية في الإفصاح ، وخوفه من عدم التصديق ، وارتباك الأسرة بين الإنكار والرغبة في الحماية. هنا ، لا يظهر الصمت كفشل فردي ، بل كنتيجة مباشرة لبنية اجتماعية تخشى الفضيحة أكثر من الألم.

الصدمة لا تنتهي... نحن فقط نتقدم في العمر

من خلال شخصية «يوسف» ، يقدّم المسلسل تصورًا نفسيًا دقيقًا: الصدمات المبكرة لا تختفي ، بل تتغير أشكالها قد تظهر لاحقًا في صورة غضب ، اكتئاب ، اضطراب في السلوك ، أو عجز عن بناء علاقات آمنة.

الطفل لا "يتجاوز" ما حدث ، بل يحمله معه إلى الكبر ، غالبًا دون وعي.

هذه المقاربة تبتعد عن التفسير المباشر ، وتترك الأعراض والسلوكيات تتحدث ، في احترام واضح لذكاء المشاهد.

التعافي ليس رحلة نظيفة

من أبرز نقاط قوة «لام شمسية» رفضه لفكرة الشفاء السريع.

العلاج النفسي هنا ليس خلاصًا دراميًا ، بل مسارًا متعرجًا:

انتكاسات

مقاومة داخلية

تجميد عاطفي

لحظات إنكار وخدر

المسلسل يقدّم رسالة دقيقة:

العلاج ليس رفاهية ، وليس وعدًا بالراحة ، بل ضرورة مؤلمة أحيانًا.

الأسرة كمساحة هشّة

العلاقات الزوجية المضطربة في العمل ليست خطًا جانبيًا ، بل جزء من السياق النفسي العام. الخيانة ، ضعف التواصل ، والتوتر المزمن تصنع بيئة غير مستقرة ، يدفع الطفل ثمنها نفسيًا.

يوحي المسلسل بفكرة واضحة: الطفل لا يحتاج أسرة مثالية ، بل أسرة واعية وقادرة على المواجهة.

من الدراما إلى الواقع

أهمية «لام شمسية» لا تتوقف عند الشاشة. فقد ساهم العمل في:

كسر الصمت المجتمعي حول التحرش.

تشجيع الحديث عن العلاج النفسي.

تقليل وصمة الإفصاح.

إعادة طرح سؤال حماية الطفل نفسيًا وقانونيًا.

وهنا تتجلى قوة الدراما حين تُكتب وتُخرج بوعي: كأداة تغيير ، لا مجرد ترفيه «لام شمسية» عمل ثقيل ، غير مريح ، لكنه ضروري لا يقدّم حلولًا جاهزة ، ولا يزعم الشفاء ، بل يضع الحقيقة كما هي: الجروح التي تُدفن في الطفولة ، ستطالبنا بثمنها لاحقًا. إنه مسلسل يذكّرنا بأن التعافي ليس خطًا مستقيمًا ، وأن الصمت لا يحمي أحدًا ، وأن أول خطوة نحو الشفاء هي النظر دون إنكار.

توبة إبليس

أحمد قاسم العريقي

جاءني الشَّيْطَانُ يبدو تائبًا قَالَ لِي:
جِئْتُ حِبْرًا سَائِلًا عَنْ تَوْبَتِي
قَالَ: أَنْ تَسْعَى عَلَى دَرْبِ الكَنِيسِ كَيْ تَتُوبْ
جِئْتُ قَسِيسًا فَقَالَ: إِنَّهَا عِنْدَ المَسِيحِ
غَافِرٌ كُلَّ الذُّنُوبْ
وَسَعَيْتُ كَعْبَةَ الإِيمَانِ حَاجًّا
وَوَقَفْتُ حَيْثُ يَرْمُونَ ظِلَالِي ، صَارِخًا:
إِنني جِئْتُ إِليكم كي أَتُوبْ
فَرمونِي مرة أخرى لأنسى توبتي
يَهْتِفُونَ:
مَنْ هُوَ المَلْعُونُ بَعْدَكْ؟
هَلْ نَقُولُ: إِنّ منّا مُشْعِلي هَذِهِ الحُرُوبْ؟!

2

ما تبقّى غير طفْل
مَا طَغَتْ فيه الأَنَا ، ما لَعني في الثرَى
لَا وَلَا تَاهَ طَوِيلًا فِي الدُّرُوبْ
قُلتُ: بَلِّغ الرَّحْمَنَ عَنِّي تَوْبَتِي.
«ثُبِّتْ يَا رَبِّي هَدَى
سَاعِيًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا صَوَابَا
ثُبِّتْ يَا رَبِّي وَمَا تَابَ الوَرَى
عَاشَ يَسْعَى فِي الدُّنَى هَذِي خَرَابَا
كُلَّمَا أَغْلَقْتَ بَابَ الشَّرِّ يَوْمًا
فَتَحُوا فِيهِ مَسَارَاتٍ وَبَابَا

3

آدَمٌ عَاشَ عَلَى فِرْدَوْسِكَ الأَعْلَى مُدًى
بِذْرَةُ الشَّرِّ نَمَتْ فِيهِ شُرُورًا فَعَصَاكَ
لَمْ أَكُنْ فِيهَا هُنَاكَ
كَيْفَ أَسْجُدُ لِشِرِّيرْ
سَاكِنًا فِيهِمْ مُنْذُ دُهُورْ
وَأَنَا كُنْتُ مَلَاكًا مِثْلَ صُبْحٍ جَاءَ مِنْ نَارٍ وَنُورْ
آدَمُ المَنْثُورُ فِي الأَرْضِ تُرَابَا
أَنْكَرَ الأُخْرَى وَمَا يَرْجُو حِسَابَا

4

يَا إِلَهِي.. لَمْ أَكُنْ جِنْكِيزَ خَانْ
لَا وَلَا فِرْعَوْنَ يطغى فِي الزَّمَانْ
لَا وَلَا جَيَّشْتُ جَيْشًا مِنْ قَطِيعِ الطِّينِ فَانْ
يَنْزِعُ الأَرْوَاحَ وَالخَصْبَ سُهُولًا وَهُضَابَا
لَمْ أَقُلْ إِنِّي إِلَهًا فَاعْبُدُونِي
أَوْ أَنَا ظِلُّكَ فِي الأَرْضِ لأُعْطِيَهُمْ حَيَاةً
أَوْ إِذَا شِئْتُ رِقَابَا

5

أُمَّةُ الإِسْلَامِ هَذِي وَيَهُودٌ وَنَصَارَى
يَعْبُدُونَ اللهَ رَبًّا وَاحِدًا
كُلٌّ مِنْهُم يَنْشُدُ فِي هَذِهِ الأَرْضِ كِتَابَا
وَيَرَى فِيهِ دُعَاءً مُسْتَجَابَا
يَقْصِفُ الغَيرَ رعودًا
كُلَّمَا صَلَّى ذَهَابًا وَإِيَابَا
كَفَّرَ البَعْضُ ، لِمَاذَا؟!
وَأَنَا المَلْعُونُ أَدْعُو:
يَا إِلَهِي فَلْيَكُنْ هَذَا سَرَابَا

6

يَا إِلَهِي
مَا جَعَلْتُ السَّلَبَ وَالنَّهْبَ وَظِيفَةْ
مَا زَرَعْتُ الفِتْنَةَ الهَوْجَا وَخَلَّدتُ السَّقِيفَةْ
مَا غَرَسْتُ السَّيْفَ فِي قَلْبِ الخَلِيفَةْ
مَا صَلَبْتُ الحُبَّ أَوْ ذَاكَ المَسِيحَ
لَا وَلَا ذَاكَ الحُسَيْنْ
مَا سَلَخْتُ الدِّينَ يومًا
سُنَّةً أَوْ شِيعَةً ، وَالنَّصَارَى فِرْقَتَيْنِ
يَقْتُلُونَ البَعْضَ مَا هابوا عِقَابَا

6

يَا إِلَهِي
لِمْ أَكُنْ ذِئْبًا أَنَا لَابِسًا ثَوْبَ التُّقَى
أَمْسَخُ النَّاسَ خِرَافَا
أَوْ أَعَانِي تُخَمَةً والورى حَوْلِي باتوا عِجَافَا
بَاعَنِي شَيْخٌ إِلى سُوقِ المَعَالِي
مَا اشْتَرَانِي فِي الثرى غَيْرُ زَعِيمْ
حين صَلّيتُ ضُحىً
عَادَنِي يَجْرِي إِلَيْهِ غَاضِبًا:
بِعْتَ شَيْطَانًا يُصَلِّي ، يَرْجُو فِي الدُّنْيَا ثَوَابَا
أَيُّهَا الغَشَّاشُ مَهْلًا ، كَيْفَ لَا تَخْشَى عِقَابَا
وَانْبَرَى سَوْطٌ مِنَ النَّارِ شَقِيٌّ يُجَلِّدُ الشَّيْخَ
عَذَابَا

8

يَا إِلَهِي
إِنَّنِي المَلْعُونُ دَهْرًا
هَلْ تَرَانِي أَزْهَقُ الأَرْوَاحَ زُهْوًا؟!
أَسْرِقُ الجَوْعَى وَأُهْدِي خُبْزَهُمْ لِلْمُتْخَمِينْ
أُسَمِّلُ العَيْنَيْنْ
أزرع القَاتَ وَرُودًا يَطْغَى أرضَ الجنتينْ
مُعشب فِي المُقْلَتَيْنْ
أَوْ أَسوقُ الناسَ لِلْمَوْتِ كَهُولًا وَشَبَابًا
لَمْ أَكُنْ يَوْمًا زَعِيمًا وَمَسَحْتُ الكُلَّ مِنْ حَوْلِي
كِلَابَا
مَا فَعَلْتُ الشَّرَّ هَذَا
وَأَنَا المَلْعُونُ دَهْرًا ، فَلِمَاذَا!

9

يَا إِلَهِي
مَا سَحَلْتُ النَّاسَ ، مَا خَوْزَقْتُهُمْ
مَا اغْتَصَبْتُ الحَقَّ غَصْبًا
مَا أَذَقْتُ النَّفْسَ فِي السِّجْنِ عَذَابَا
مَا سَقَيْتُ السُّمَّ سِرًّا لِلْوَرَى شَهْدًا رُضَابَا
مِنْ سِنِينٍ يَرْمِي النُّسَّاكُ جَمْرًا
مِنْ جِمَارِ اللَّعْنِ فِي وَجْهِي
هَلْ نَزَعْتُ الرُّوحَ بِاسْمِ: اللهُ أَكْبَرْ
وَعَلَى الخَلْقِ تَجَبَّرْ
كَيْفَ أَبْقَى فِي الثَّرَى هَذَا رَجِيمًا
وَأَنَا لَسْتُ الَّذِي يَرْجُمُ النَّاسَ شِهَابَا

10

مَا نَسَفْتُ المَعْبَدَ المَعْمُورَ يَوْمًا
أَوْ تَحَزَّمْتُ حِزَامًا نَاسِفًا
مَا سَرَقْتُ النَّاسَ بِاسْمِ اللهِ جَهْرًا
لَا وَلَا بِعْتُ صُكُوكًا فِيهِ غُفْرَانُ الوَرَى
وَدَعَوْتُ النَّفْسَ قُرْبَانًا لِفَتْحٍ
نُصْرَةَ الرَّبِّ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
أو عصرتُ الرُّوحَ فِي كَفِّي خِضَابَا
ثُمّ بِاسْمِ اللهِ أَلْقَيْتُ خِطَابَا

11

كَمْ أُنَاسٍ عَارَضُونِي: لَا تَتُبْ!
كَيْفَ يسعون الدُّنَى دُونَ ذُنُوبْ
إِنَّهَا مِلْحُ الطَّعَامْ
لَذَّةٌ تَشْتَهِي سَلْخَ السَّلَامْ
مَنْ سَيُعْطِينَا الرِّمَاحَ وَالسِّهَامْ
كَيْفَ نَحْتَلُّ القِلَاعَ وَالحُصُونْ
كَيْفَ نَدْعُو الغير سَعْيًا لِلْمُجُونْ
لَا تَتُبْ أَيُّهَا الشَّيْطَانْ
وَاسْجُد واقْتَرِبْ لِزَعِيمٍ يَنْفُخُ فِيكَ إِبَاءً وَشَبَابَا

12

يَا إِلَهِي.. مَا نَفَخْتُ السُّمَّ فِي حَلِيبِ الأُمَّهَاتْ
مَا اخْتَرَعْتُ «السَّارِمَاتْ»
يَحْمِلُ البُرْكَانَ فَخْرًا
طَافَ حَوْلَ الأَرْضِ حَاجًّا كَالسُّعَاةْ
يَبْصُقُ الأَحْيَا رُفَاتْ
ما جعلت الشعبَ يَقْتَاتُ الفُتَاتْ
لا ولا خَضَّبتُ كَفِّي بدماء الأبرياء
أَوْ أَنَا أَوْقَدْتُ حَرْبًا
وَسَعَيْتُ لِلشَّتَاتِ وَعَمِيلٌ لِلطُّغَاةْ
لَا وَلَا لَوَّثْتُ أَرْضًا أَوْ بِحَارًا أَوْ سَحَابَا
تُمْطِرُ المَوْتَ على الحَقْلِ مُذَابَا

13

ثُبِّتْ يَا رَبِّي وَهَذَا الحُبُّ دِينِي
فَاحَ فِي القَلْبِ عُطُورْ
يا إلهي: جئتُ تائبًا لم يعد في قلبي نارٌ للشرورْ

هل أتاك حديث «المبيّض»؟

أ. فازع دراوشة/ فلسطين

المبيّض أو كما يلفظ باللهجة القروية الفلسطينية ، « المبيّظ». والمبيض هذا كريم الذكر لا علاقة له قدّس الله سره بالبيض.

لم أره عمري ، ولكن كنت في أوائل الابتدائية (الصف الأول والثاني) وكان يطرق سمعي هذا المسمى ، علمت أنه حرفي (صنايعي) يجوب القرى أو يكون له حانوت يمارس فيه حرفته. يجوب القرى ، وربما حارات بعض المدن لا سيما تلك المدن ذوات الأحياء المكتظة والمغلقة والتي لا تكاد أزقتها تعرف الشمس نهارا او القمر ليلا.

كان المبيّض يبيض الصحون وما شابهها من طناجر وأدوات منزلية بسيطة عندما يتقادم استعمالها فيعيدها جديدة ولست على اطلاع بحيثيات عمله.

وما أريد توصيله يكمن في السؤال : ماذا لو قرر أحدهم أن يعمل مبيضا هذه الأيام ؟ ماذا لو سألنا كثيرا من الناس عما يعرفه عن المبيض وصنعته أو يعرفنا به (ولقد فعلتها في أكثر من سياق ولم يعرف اللفظ أحد أو عرفه من نيف عن الخمسين أو أكثر قليلا)

الكلمات تنمو وتزدهر بالاستعمال واللزوم ، كالأزهار والأشجار التي تنمو بالماء والتعهد.

ويقودني هذا الحديث لمسألة التكنولوجيا وأدواتها؛ هل ما زال أحد يا سادة ينقل ملفاته أو يخزنها...الخ بالدسك (أو الدسكت وهي اللفظ الأصوب على رأي العلامة على خليل رحمه الله كما كان يقول في دوراته وهو من أوائل من انشغلوا بالكمبيوتر في منطقة نابلس وفلسطين) وهو (القرص) القديم والذي ازدهر في تسعينيات القرن الفارط ؛ ثم دخل متحف التاريخ. (لاحظ صورة اثنين من ذاك الكائن)

أريت ابني كريم بضع دسكات منها فلم يدر ما هما

علما أن كريما وأقرانه خضعوا لامتحان تكنولوجيا عملي ونظري وكانت علامته مرتفعة

هل نلوم معلمي التكنولوجيا لأنهم لا يعلمون تلاميذ اليوم عن هذه « الأدوات « البائدة ؟

الجواب كلا وألف كلا

في مؤتمر عن التكنولوجيا ودورها في دعم العملية التعليمية حضرت فعالياته كاملة رغم هريبة كثير من المدعوين كالمعتاد عاب باحث محترم ، على التلاميذ وربما من وراءهم أن نسبة مرتفعة منهم أخفقوا في تحميل إيميل وإرساله وهم من طلبة الصف العاشر وجعل من ذلك قضية ....

كان محور مداخلتي أن طلبة الصف العاشر منذ ما لا يقل عن سنتين أو ثلاثة باتوا عازفين عن الأيملة (مصطلح يعني تجهيز إيميل وإرساله). لماذا ؟ والجواب يكمن في قصة «المبيض «. نعم ، وجدوا ما يغنيهم عن الإيميل سرعة ويسرا وكفاءة فالمهم إيصال الرسالة.

رد الباحث المحترم أن ثمة كفايات ينبغي لطالب الصف العاشر أن يمتلكها في موضوع التكنولوجيا ومنها إرسال إيميل وكان ردي أن تلك الكفايات التي سماها بالدولية ليست قرآنا كريما والكفايات التطبيقية تفرض تفسها دائما ليختار المستخدم منها ما يريحه وما هو سريع وفعال وكفء.

وليتذكر كل منا ما قرأه كيف كانت السيارات تشتغل أول عمرها ولم سمي الشفير شفيرا وهي كلمة فرنساوية تعني حارق الشعلة إذ كان يقوم بالتشغيل يدويا وبإشعال شعلة وينفخ عليها للاشتعال (اشتعال البوجية كما قرأت).

وهذا يقودني لموضوع سوف أطرقه لاحقا في ما يتعلق بالحاح بعض الأسئلة الغبية في الإنشاء والتي تطلب كتابة رسالة ورقية (مكتوب) في وقت اندثرت فيه كتابة الرسائل بالشكل الجميل الذي كانت عليه.

التجديد قائم على قدم وساق وكل الاحترام للماضي لكن لن أعيب تلميذا لا يستطيع إرسال «برقية « بجهاز التلغراف (مورس) ولن ألوم ابني أو حفيدي مستقبلا إن لم يستطع إرسال إيميل ولن ألوم من لا يعرف من هو المبيض وماذا يعمل أو يبيض كما لن ألوم إنسانا عربيا غير مختص بالعربية إن جهل معنى مفردة السجنجل.

مفاتيحي إلى عوالمهم

علي العجري

رواية زهر الغرام

للروائي احمد قاسم العريقي «حين يحضر الإنسان بين الكلمات»

صديقي الروائي أحمد قاسم العريقي غزير الإنتاج ومتنوع الموهبة لكن الرواية هي احترافه الأهم وقد دخلت أنا إلى عوالمه من بوابة روايته الفارقة «زهر الغرام» وهذا من حسن حظي فالعريقي الكاتب قبل زهر الغرام ليس العريقي ما بعدها ، رغم أهمية الاصدارات السابقة لها لكن هذه الرواية قدمت لنا كاتبًا روائيًا يمتلك أدوات الحرفة موضوعًا وشكلًا وفكرًا

في رواية «زهر الغرام» يقدِّم أحمد قاسم العريقي سردًا يضع القارئ أمام سيرة إنسانية مكثفة ، تتقاطع فيها أسئلة الطبقة والهوية والحق مع معنى الحب والكرامة... عنوان لمسار شاق لأمرأة خرجت من هامش المجتمع لتفرض حضورها في مركزه ، بالصبر والمعاناة والوعي.

تنتمي زهر الغرام إلى الطبقة المهمشة ، تمتهن الرقص والغناء ، مهنتان ينظر إليهما المجتمع نظرة دونية ، لا ترى فيهما سوى العار ، متناسية ما تحمله صاحبتها من إنسانية وأحلام. في هذا الهامش القاسي ، تتفتح شخصية زهر قوية رغم هشاشتها الظاهرة ، صادقة مع ذاتها في عالم يطالبها دائمًا بالاعتذار عن وجودها.

حين يحبها الرجل الثري ، القادم من طبقة عليا ، ويتزوجها ، كمغامرة محفوفة بالرفض الاجتماعي والعداء الطبقي... هذا الزواج يكشف تصدُّع القيم السائدة ، ويعرّي مجتمعًا يرى المال والجاه معيارًا للإنسان ، ويرفض الإنسان حين يأتي من خارج السلالات المغلقة. ومع انتقال الزوجين من القرية إلى الحديدة ، تبدأ مرحلة جديدة في حياة زهر ، مرحلة الوعي والتحول.

في مدينة الحديدة تتعلم زهر الغرام بسرعة مدهشة ، وتترقى اجتماعيًا وثقافيًا حتى تصبح شخصية مؤثرة ، قادرة على التعبير عن ذاتها وعن غيرها من المهمشين.

غير أن الرواية لا تمنح بطلتها طريقًا مفروشًا بالنجاح؛ فالمأساة تتدخل بوفاة الزوج ، لتبدأ المواجهة الحقيقية.

حيث تنكشف قسوة المجتمع بأبشع صورها. حين تنكرت الأسرة لزهر وحقوق أبنائها ، و كأن الزواج لم يكن ، وكأن الحب لم يحدث. هنا يبلغ الصراع ذروته: امرأة وحيدة ، من طبقة مهمشة ، في مواجهة عائلة نافذة وتقاليد متجذرة ، تحاول مصادرة حقها في الميراث ، و الاعتراف ، و الكرامة الإنسانية. لكنها لا تستسلم.

وهنا تتحول زهر الغرام من موضوع للشفقة إلى ذات تحفر في الصخر وتنتزع حقها وحق أولادها ، بالإصرار والمعرفة والإيمان بعدالة قضيتها. وكأنها صرخة كل المهمشين الذين ينكَّل بهم مرتين: مرة بالفقر ، ومرة بالنسب والطبقة.

بهذا المعنى ، تصبح «زهر الغرام» رواية عن الانتصار الأخلاقي قبل أن تكون رواية حب. شهادة أدبية من الكاتب العريقي على أن الإنسان يكون بقدرته على الصمود ، وعلى تحويل الألم إلى وعي ، والهامش إلى مركز.

ويحسب لأحمد قاسم العريقي أنه منح المهمشين صوتًا وجعل من امرأة منسية رمزًا للكرامة المستعادة ، وزهرة تنبت في أرض قاسية ، لكنها ترفض أن تذبل...

هذا الاشتغال على الهم الإنساني رافق الروائي العريقي في أغلب نتاجه تقريبًا -أو حسب ماوجدته أنا على الأقل- في الكتب التي قرأتها له بعد«زهر الغرام» مثل: يوم مات الشيطان ، «عرس على صفيح ساخن» ، وحتى روايته الشهيرة « باهوت يفرس» التي نالت الجائزة الأولى في مسابقة محمد عبد الولي... صحيح أن هذه الرواية تاريخية ، تتحدث عن الزعيم الصوفي أحمد بن علوان لكنها عامرة بالاسقاطات ذات الهامش الإنساني الباقي دائمًا في كل زمان ومكان.

شكرا لزهر الغرام التي كانت مفتاحي لعوالم العريقي الرحبة.

الشعر، والعدالة الاجتماعية

طارق السكري- ماليزيا

العدالة الاجتماعية مطلب ضروري لاستقامة الحياة. ودور الشاعر - بوصفه ضمير الأمة -أن يكون ناطقا باسم الشعب ، ولسان حال أمته ، يدافع عنهم ، ويطالب لهم بالحقوق من قبل أصحاب المعالي.

وفي مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - جرت العادة أن يتنافس الشعراء في مدحه.. فتتضمن قصائدهم قيما تعبيرية جمالية فنية ، تتحدث مثلاً عن تباشير مقدمه ، وكيف كان لوجوده أثر رائع على الحياة الإنسانية ، من خلال تصوير حال العرب ، والعالم قبل مولده.

غير أنّ في تلك القصائد النبوية ثمّة مشكلات:
خلوّ كثير منها من التجديد في العرض. ومن الحديث عن منهجه - صلى الله عليه وسلم- في إرساء قيم العدل ، ومواجهة الطغاة ، والانتصار للضعفاء.

غير أن هناك شعراء ثلاثة - من وجهة نظري- تصلح مدائحهم النبوية أن تكون نموذجا للقصيدة النبوية الناجحة.. لتضمنها القيم الفكرية ، والحضارية إلى القيم الجمالية ، والتعبيرية. وهم: (شوقي ، الزبيري ، البردوني).

إلا أن الزبيري يكاد يأخذني أخذًا في قصيدته النبوية؛ فالزبيري لم يكن بمعزل عن الحبس ، والطرد ، والخوف ، والقمع ، وقلاقل اليمن ، تحت وطأة الوضع التي كانت ترزح تحته اليمن ، فقد هدد فيبيته ، وأهله ، وإخوته الأحرار.
أتخيله يكتب القصيدة على قُنّة جبل ، وعلى متن الرياح ، وفي قلب الجحيم ، وفي وجه الأعاصير ، وتحت حبل المشنقة. يكتب مديحا في النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- وعينه على الشعب -أبنائه- ويتمثل في نفسه شخص محمد عليه الصلاة والسلام الثائر في وجه الوثنية ، الثائر في وجه الظلم.
يخاطب فيه ذاته مشردا في الطائف ، وهو مشرد في باكستان.
شَدَّ ما قد لقيتَ في سبيل الله من كربة ومن لأواءِ
أيُّ قلبٍ يغنيك عن هذه الدنيا التي ما بها سوى الأعداءِ ؟

السلطة البيانية:

في مطلع لافت يستهله الزبيري بصورة استعارية باهرة ، مستحضرا مقام السلطة البيانية ، وما لها من جبروت ، وسطوة على ضمير التغيير فردا ومجتمعا.
ففي هذا المزج بين السماء ، والشعراء نلمس أرقى مستويات الفكر ، وهمة التنوير.
أطرقي يا سماء للشعراءِ
ثم يشير مُبطنًا إلى ابتداء مسيرة شعر المديح من لدن أبي طالب -فيما نسب إليه- وأبيضُ يُستسقى الغمامُ بوجههِ ، ثم حسان بن ثابت - رضي الله عنه- ، والأعشى ، وكعب بن مالك... إلخ.
ليقول لنا: إن الذي راع الشعراء - وزارة الإعلام - في شخص محمد - صلى الله عليه وسلم- أمور منها:
فصاحته ، وبلاغته ، ومنهجه في التغيير.
وقد جمعهما الزبيري بعبقرية في بيت واحد.
ما بنى جملةً من اللفظ إلا وابتنى اللفظُ أمةً من عفاء.
إشارةً إلى البيان المنهجي الشامل الذي لا ينفصل فيه الجمالي عن الإيماني ، ولا الإنساني عن البلاغي.

الزبيري، والهوية اليمنية

للزبيري ميزة خاصة يتفوق بها على سائر الشعراء في موضوع المديح النبوي؛ فقد انطلق من وعيه العميق ليؤسس للهوية اليمنية التي سعى الأئمة قرونا لطمسها ، وتجريفها. بخلاف شوقي ، والبردوني.
إنك تستطيع أن تجزم باطمئنان بأن كل قصائد الزبيري تنجذب إلى هذه القيمة -صورا ، وألفاظا ، وعواطف ، وخيالات - كجاذبية الأرض.

وفي إشارة إلى سلطان الممالك ، والرؤساء ، والدول كونها (السنن الناظمة ، والحاكمة ، والحامية للاجتماع البشري يقول الزبيري:
ذهبت صوبه المماليك تستجديه من حكمة ومن آراءِ
لكنه يعلل فيقول: إن تلك الممالك رأت في شخص محمد ما لم تقدر هي على رؤيته.
كلُّ عينٍ صغيرةٍ لا ترى في الكون إلا صغائر الأشياءِ
ولذلك انصرفوا إليه جميعا ينهلون لحاجة فيهم.

البعد الثوري

وفي القصيدة بُعد ثوري جلي؛ فقد قوبلت دعوته صلى الله عليه وسلم لإقامة الحق والعدل بمواجهة عنيفة مدوية قوية:
ساءهم أن تكشَّفتْ أوجهُ الحقِّ وكانت من غَشِّهم في غطاءِ
وتحدَّى قريشَ بالحربِ ، واستنزل أربابها إلى الهيجاءِ
تعلنُ الحربَ يا محمد للدنيا وما في يديك جرعة ماءِ!
لستَ تدري .. تثير حربٍ على الأصنام أم تستعدي على الزعماءِ؟
وكذلك أبناء اليمن الاحرار... الذين راعهم ما يمر به الشعب من خسف وظلم ... وما تمر به البلاد من خراب وعزلة عن العالم

المتحضر... فأعلنوا مبادئ الديمقراطية والشورى والحرية والتعليم لكافة أبناء الشعب ... ودخلوا في صدام - رغم عدم تكافؤ القوى- مع الطغاة المستبدين... ودفعوا الثمن غاليا من دمائهم وأرواحهم وشبابهم .

يقول الزبيري في نفس القصيدة .. داخلا في تناص مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم :

أطبقتْ فوقها الخطوبُ فما تخلص مِن شِدَّةٍ ولا ضَرَّاءِ

البعد التنويري، والفكري

وفي بعد القصيدة التنويري ، والفكري يقول:

أَلَّفوا مِن خطاك روحَ القوانين وصاغوا معارجَ العظماءِ

يُنظِّمون الحياة منها كما يُستنبط النطقُ من حروف الهجاءِ

طرقات غُرٌّ يسيل بها في الأرض ضوءُ الشريعة الغرّاءِ

فمن لا إله إلا الله أضاءت روحُ القوانين التي تنتظم حياة الناس. فجاء أبو بكر ليقول: القوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم قوي حتى آخذ الحق له. وهذه إشارة صريحة إلى العدالة الاجتماعية.

وكذلك فعل كل حكيم راشد.

وفي قوله في الأبيات السابقة: ينظِّمون الحياة. إشارة إلى العدالة الاجتماعية كما أسلفنا ، حيث الجميع سواسية في الحقوق ، والواجبات ، في تراحم ، وتكافل تام.

وأما في قوله «طرقات غر يسيل بها في الأرض» إشارة إلى عالمية الإسلام ، وعدالته ، ورحمته.

الزبيري، والإصلاح

إن الزبيري شاعر تنويري مصلح لم يفصل القصيدة النبوية عن قيم التغيير ، والجهاد ضد الظلم. إذ إن فصلها ذاك ، سيجعل من القصيدة النبوية قصيدة بوهيمية باردة منقطعة عن الناس لا تعنيهم بشيء يقول سيد المرسلين: «قم ، وانظر الأمةَ ماذا يصيبها من شقاء».

وتأمل كم في الكواهل من نِيرٍ ، وكم في الرقاب من أعباءِ

كما يستحضر التاريخ الإسلامي يوم كان العلم ، والعدل ، ثم يرصد كيف هوت الأمة على يد المستعمر ، والجهل:

وهوت مِن عَلٍ فما بلغ الهوة من جسمها سوى الأشلاءِ

أنبت الدهر في مضاجعها الشوك فلم تلقَ راحة في وِطاءِ

هكذا تتجلى في قصائد الزبيري قيم فكرية ، وحضارية ، سياسية ، وأدبية ، تجعلها نموذجا راقيا للمديح النبوي. مديح يربط بين جماليات اللغة ، وروح التغيير ، ومطلب العدالة الاجتماعية.

ويظل بيته الخالد شعارا لهذه الرؤية.

ما بنى جملة من اللفظ إلا وابتنى اللفظُ أمةً من عفاءِ

كأنه يقول: إن اللفظ نفسه بنَّاء ، وكل لفظ من محمد - صلى الله عليه وسلم - يبني أمة ، ويقيم عمرانا ، ويوقظ من تحت التراب أمة كانت أثرًا بعد عين.

وهكذا ينبغي أن تسير قصائد المديح النبوي اليوم: أن تستقرئ سيرة الرسول العظيم استقراءً ينسجم مع سيرته النبوية العطرة. ومتطلبات الواقع ، لتكون جزءا في التغيير السياسي ، والاجتماعي.

تناصّ على التناصّ:
إلى البردة، غاو على إثر شاعر
قراءة في تجربةً زهير الطاهري

محمد الشرعبي

تنكير المعرفة، وتأكيد الحضور

يصعب على متابع النخبة للمشهد الشعري اليمني أن يجهل اسم الشاعر (زهير الطاهري).

فمنذ سنوات ، لمع نجمه كأحد أبرز الأصوات الشابة التي كسرت الحدود الجغرافية ، وفرضت حضورها في فضاء قصيدة التفعيلة.

كانت البداية مع قصيدة (الراعية) التي شقّت طريقها بصمت إلى القرّاء ، معلنةً ميلاد شاعر مختلف.

لم يكن سر رواج (الراعية) كامنًا في لغتها وحدها ، بل في جدّتها الموضوعية التي فتحت أفقًا لم يُطرق من قبل.

تبعتها قصيدة (عقلان) التي كشفت عن قفزة لافتة في النضج الفني بوقت قياسي ، متجاوزًا المراحل التجريبية الطويلة التي يمر بها أغلب الشعراء.

يمكن تلخيص مسيرة الطاهري الأدبية المتسارعة في ثلاث مراحل:

البروز: (الراعية).

النضج: (عقلان).

التجريب: (تناص مع سلمان الفارسي.)

أما قصيدته الأخيرة الفائزة بـ جائزة البردة ، فقد رسّخت حضوره كشاعر يمتلك تجربة خاصة ، تمنحه الحق في صياغة تعريف جديد لقصيدة التفعيلة في اليمن ، تعريف قد يترك أثره في الأجيال اللاحقة كما فعل المقالح ، والبردوني من قبله.

وفي هذه السطور ، أحاول الاقتراب من نص (تناص مع سلمان) ، ملاحقًا وهجه ، مستسلمًا لتعدد مداخله؛ فالنص الجميل يشرع أبوابه كلها دفعة واحدة ، ويترك القارئ في حيرة تتمثل في تحديد مواطن البداية ، ونقاط الانطلاقة.

أولًا: تشظية التناص، وتجاوز اللفظ:

اعتادت الدراسات الأدبية حصر التناص في اللغة ، ووسّع بعضهم دائرته ليشمل الوجود المادي. غير أن التناص في هذا النص يأخذ شكلًا آخر؛ إذ يدخل المتخيّل ، واللامحسوس ، والتاريخ ضمن دائرة التفاعل العميق.

فكما رحل سلمان الفارسي طويلًا بحثًا عن الحقيقة ، يعيش الشاعر رحلة مشابهة في زمن آخر ، وسياق مختلف.

يتحوّل التناص هنا من مجرد تشابه لفظي إلى تشابه تجربة إنسانية ، وهو ما منح القصيدة قوة خاصة ، ودفع القارئ إلى تتبّع نقاط الالتقاء بين الرجلين.

ثانيًا: الإيقاع الصوتي، وطقوس الترديد:

لا شك أن الموسيقا الخارجية في التفعيلة واضحة ، لكن بيت القصيد الجمالي هنا هو الإيقاع الداخلي الذي يصنعه تكرار عبارة:

أحد أحد

في بداية السيمفونية ونهايتها ، مع حضور لافت لحرف الدال ، في توزيع محسوب يمنح النص نبرة يصعب وصفها.

ثم يأتي تكرار المقاطع ليخلق نغمة طربية لا تخطئها الأذن ، حتى تبدو بعض الأسطر كأنها حداء الزائرين لروضة النبي.

هذا حداءُ اللائذين بك.

السلام عليك

...

والآن أنطقه

السلام عليك

ثالثًا: الصورة الشعرية، وامتدادها الكوني

يزخر النص بالصور الشعرية المكثفة ، مركبة في كثير من تجلياتها ، و اللافت هو أن الشاعر لا يكتفي بالمصادر المألوفة ، فهو ينوع مصادره لتشمل محيطه ، والعلوم الأخرى المختلفة كالفلك ، وعلم الذرة ، خالقًا منها مزيجًا تصويريًا بعيد المدى في دلالته.

نبضٌ فرّ من شرك المجاز

إلى سمائك

واستدار على مدارك

واتقد

في هذا المقطع ، تتشكّل صورة كونية كاملة؛ يتحول فيها النبض إلى جرم يدور حول نجم النبوّة المتوهّج ، في مشهد لا تحبسه حدود الأرض.

رابعًا: الالتفات وتفعيل الضمائر

يُحدث الشاعر تنقّلًا دقيقًا بين ضمائر الخطاب ، مما يمنح النص ديناميكية داخلية؛ فيتقلّب القارئ بين حضرة النبي ورحلة الذات ، ونداءات الآخرين.

هذا التنويع في الضمائر جعل التجربة محسوسة ، لا مجرد مقروءة فقط.

السلام عليك

...

حتى لمستك في دمي شمسًا

...

هو أحمد الأسماء ، أجملها

خامسًا: البناء القصصي

القصيدة في جوهرها حكاية روح تعبر الزمنين معا

رحلة شاعر من القرن الحادي والعشرين تتجاوب مع رحلة رجل من القرن السادس.

يبتدئ الشاعر بعد السلام قصيدته معرفًا بنفسه وما عاشه من التباسات ، ثم ينتقل إلى ذكر النبوة بأبهى أسمائها ، وأكمل نعوتها ووصوفها.

هو أحمدُ الأسماء ، أجملُها
وحكمةُ ما أراد اللّه في الدنيا
ورحمتُه التي تسعُ الوجود

والنتيجة قصيدة تنبثق من أعماق تجربة شخصية ، لكنها تتجاوز خصوصيتها لتتصل بالمقدّس ، والمتخيّل والتاريخي.

ختاما: يمكننا القول بأن هذه القصيدة تمثّل ذروة من ذُرى تجربة (زهير الطاهري) ، نصًّا يبني دهشته من تفاعل التجربة الشخصية مع رحلة سلمان ، ومن مزج الصورة الكونية بالانفعال الروحي ، ومن قدرة الشاعر على إعادة تشكيل التناص بما يخدم رؤيته لا بما يكرّر الموروث. إنها قصيدة تُعلن -بهدوء ووضوح- أن هذا الشاب قد تجاوز مرحلة الوعد إلى مرحلة الاقتدار ، ومرحلة النضج إلى مرحلة التجريب.

تناص مع سلمان الفارسي
أحدٌ أحدْ
أحدٌ أحدْ

هذا حُداءُ اللّائذينَ بكَ
السلامُ عليكَ
نبضٌ فرَّ من شَرَكِ المجازِ
إلى سمائكَ ،
واستجارَ بكَ ،
استجارَ
بجلّنارِكَ
واستدارَ
على مَدارِكَ
واتقدْ

قلبيْ قبيلةُ عاشقين ،
خلعتُ ذاكرتي وجئتُ إليك
لا متقلدا نسبا.. ولا حسبا..
وليس معي إهابُ

ولديَّ جرحٌ في الهويةِ مزمنٌ..
لكنما..
لابدَّ منْ قمرٍ
يحرِّرُني منَ الليلِ القديمِ
وينتهي هذا العذابُ

حدَّقْتُ
في كل الجهاتِ
لعلَّ نافذةً ستُفْتَحُ ،
أو لعلَّ حقيقةً ستُضيءُ ،
أو تلويحةً زرقاءَ... يرسمُها شهابُ

بيدي مُنَمْنَمَةٌ ،
وفي روحي قُرنْفُلةٌ
ومن حولي فَراغٌ كافرُ

والأرضُ أصغرُ من خطايَ
وكلَّما وَجَّهْتُ وجْهي صوبَ نافذة
يُبدِّدُها السرابُ.. وكلما جاوزتُ ليلًا ما..
تولَّدَ آخرُ

فأعودُ من كل الجهاتِ إليَّ ،
أبحثُ داخليْ عن شرفة
حتى أحرِّرَ طائريْ المسجونَ فيَّ
أنا الأسيرُ الآسرُ

حتى لمسْتُك في دميْ شمسا
تُبَدِّدُ لي عمايْ
برقا تلألأَ في الضبابِ المحضِ
يُوقدُ لي رؤايْ

فرأيتُ...
كان الكائنُ البشريُّ
يَجْمعُ شملَه شجرا تَبرعمَ كالهلالْ
ورأيتُ كفَّكِ وهي مُلْتجأُ الحمامةِ
وهي مُلتجأُ الرجالْ
تمتدُّ من كل الجهاتِ
تلمُّ شعثَتَنا ،
وتجمعُ ما تناثرَ في الرمالْ
تهمي على كل القلوبِ
تمرُّ ما بين الحتوفِ
تضيءُ من فوق التلالْ
وتعيدُ تعريفَ الجهاتِ
فلا أمامَ ولا وراءَ
ولا جنوبَ ،
ولا شمالْ

(لا فرقَ بين الناس)
أنطقُها.. فتنهارُ الحدودُ

(لا فرقَ بين الناس)
أرسمُها.. فتنكسرُ القيودُ
في الليل ، أقرأُها

شذاب أحمر ومهزلة الفوارق الاجتماعية المسكوت عنها

مروان عبد الله غيلان

إن المتأمل في الشبكة السردية الدلالية لقصة (شذاب أحمر) يجد العنوان-بوصفه عتبة أولية-انقسم إلى مؤشرين ثقافيين ، هما: شذاب+ أحمر ، هذان المؤشران جعلا من القصة تحمل أنساقا ثقافية متعددة الدلالات ، والمعاني.

وقبل الشروع في القراءة النقدية لا بد من الوقوف على المؤشرات الثقافية التي يحملها عنوان القصة (شذاب أحمر) ، وعن تشكل المعنى الثقافي في العنوان ، فالشكل الطباعي للعنوان بوصفه أيقونية يحمل شكلا من أشكال المعنى قد كتب بلونين الأسود للفظ (شذاب) والأحمر للفظ (الأحمر) ، وتوسط العنوان رأس الصفحة الأولى ، وهذا يشير إلى أن البرنامج السردي منقسم في فضائين دلالين متنافرين هما: فضاء (الأسود) مقابل فضاء (الأحمر).

وتفترض هذه الورقة النقدية-من منطلق ثقافي-أن الثقافة بوصفها وعاء ينطلق من الإطار اللساني إلى الإطار السيميوطيقي ، تقوم بتشكيل معنى من معاني النص الثقافي في رموزه الثقافية ، وتجلياته السردية ، ومن ثم فإن هذه الورقة تنطلق من اللغة (الملفوظ) بوصفها نمذجة أولية إلى الثقافة الكامنة في النص اللغوي بوصفه نمذجة ثانوية.

ومن هذا المنطلق فالشذاب-في الثقافة الشعبية اليمنية-نبتة عطرية ذات رائحة زكية آنية ولونها أخضر يستخدمها اليمنيون في إطارات مفيدة ، منها: (الإطار التزيني) إذ يضعها كبار السن وبعض العجائز في الجمع والمناسبات مثل الزواج أو الولادة ، و(الإطار الطبي) إذ تستخدم في وجبة يطلق عليها الزووم ( ) مما يشكل ثقافة مجتمعية وبعدا ثقافيا لهذه النبتة.

وتكمن المفارقة الدلالية ، والثقافية في العنوان في الإطار اللوني على المستوى الكتابي ، والمستوى الرمزي ، فرمزية اللون الأحمر في الثقافة تحمل نسق الدم ، والجرح ، والعذاب المفضي إلى الموت ، وهو ما توحي به سيميوطيقية هذا اللون.

وتقوم هذه القصة على برنامجين سرديين يحمل كل برنامج سردي أنساقا ثقافية محددة يبدأ البرنامج السردي الأول من مطلع القصة ، وينتهي بأمنيات علي ، ويبدأ البرنامج السردي الثاني من سخرية العجوز إلى نهاية القصة.

البرنامج السردي الأول:

يقوم وصف المكان ، والبيئة التي ينتمي لها علي ، والفتاة بدور يبرز مركزية أحدهما وهامشية الآخر ، فمنزل علي حسب الوصف السردي يتسم بالضيق يقابله منزل الفتاة الذي يستم بالاتساع فعلي يسكن في «تلك الغرفة التي تشبه القبر الذي نسى صاحب المقبرة أن يضع فيه ميتا فعاش فيه أحياء أموات كان وأمه الستة مقابل بيت كبير يسكن فيه أناس كرام رحماء»( ).

هذا التقابل في الفضاء المكاني بين المكان (الضيق)/ مقابل/ (الواسع) اتسم (بالانغلاق)/ مقابل/ (الانفتاح) ، مما أكسب النص السردي رمزية أخرى للتعايش بين المركز والهامش ، وهي رمزية المنفعة القائمة بين علي والفتاة من خلال تداخل محدود بين المركز (الفتاة) و(الهامش) و(علي).

وتنهض سيميوطيقية التسمية لعلي بدور مخادع ، ومخاتل إذ إن سمات الاسم اللغوية مأخوذة من العلو والرفعة فيما كان هذا الفتى لا يملك من العلو والرفعة شيئا سوى الاسم ، أما الفتاة فقد جعلها النص السردي بصيغة العموم من خلال (ال) العهدية لتحمل بعدا رمزيا في الذاكرة الثقافية.

وتقوم سيميوطيقية اللون بتعزيز هوة الانقسام بين الفتى علي ، وبين الفتاة التي تعبر عنها الأوصاف السردية المبثوثة في هذه القصة فالسمة اللونية لعلي هي السواد يقابله السمة اللونية للفتاة بيضاء ، ومن هنا نشأ الاختلاف السيميوطيقي بين عالمين متناقضين عالم السواد بكل محمولاتها الهامشية ، وعالم البياض بكل علاماته المركزية في النسق الثقافي المسكوت عنه ، وهذا الاختلاف اللوني جعل سيميوطيقية اللون (السواد) تصارع من أجل القبول المجتمعي يبرز ذلك في الحوار السردي بين العجوز ، وعلي إذ تصرخ العجوز من منطلق ثقافي ووعي مجتمعي قائلة «يا ولدي وين السماء من القاع؟ فيجيبها علي مغتاظا حزينا «كيف يا حجة أغير لوني وأنا والله لأخدمش خدمة ما قد عرفتيها».

فالسمات التي وردت في النص السردي انحصرت في (السماء)/ مقابل/ (القاع) + (المركز)/ مقابل/ (الهامش) + (العلو)/ مقابل/ (الدونية) + (البياض) / مقابل/ (السواد) + (القبول)/ مقابل/ (الرفض) + (الأنا)/ مقابل/ (الآخر)= استحالة الالتقاء على المستوى السردي أو الثقافي.

وتقوم الكلمات المتبادلة بين العجوز وعلي (يا ولدي) / مقابل/ (يا حجة) بتعزيز هوة الانقسام الاجتماعي بين الفرد ، والجماعة على المستوى الثقافي إذ أن العجوز تتحدث برمزية مفرطة تعبر عن الأنا

الجمعية ، أما علي فإن الكلمة (يا حجة) تظهر مدى رفضه لثقافة الأنا الجماعية المعبرة عن تعالٍ ، وترفع عن الآخر.

ويعزز هذه السمات السيميوطيقية في النص السردي العلامات السيميوطيقية الثقافية التي نشأت جراء ردة فعل المرأة العجوز بوصفها حاملا للقيم الثقافية العتيقة من خلال ضحكتها المجلجلة التي تشبه صفارات إنذار الحرائق «إما بالبرص ، وإما بالحريق لما تنضج اللحمة وتبيض ما بش غير هؤلاء يا خادم ، هههه»( ) ، فالخيارات التي فرضتها العجوز لتخلص الفتى من سواده تدل على رفض المجتمع لهذا اللون ومحاولة محوه من الوجود بوصفه خادما.

فالسمات الثقافية للونين (الأبيض)/ مقابل/ (الأسود) تتمثل في العلاقة الثقافية: (رفض الآخر-السخرية-الفرق اللوني-الأفضلية) / مقابل/ (محاولة الانتماء للآخر-رفض الآخر ، وإبراز أفضلية الأنا-العجز بسبب اللون)

البرنامج السردي الثاني:

يقوم هذا البرنامج السردي من نقطة تحول في الأحداث إذ يعج منزل الفتاة بالضيوف ، وتنبعث منه روائح المرق ، وأصوات الغناء بصوت أيوب طارش الذي أحبه الفتى كثيرا ، ولكنه تخوف منه هذه المرة ، وهذا يعزز فكرة عدم القبول بالآخر الأسود إلا في الإطار النفعي فقط. فالفتاة تعطي عليا بعضا من الشذاب ، وتقسم ألا يضع لها الشذاب في حقيبة زفافها إلا علي «والله يا علي ما حد يطرح لي الشذاب بشنطة عرسي غيرك ، وما حد يوصلهن لي لبيتي غيرك»( ) مما يورثه فاجعة تتغير معها معالم العالم اللوني والعالم النفسي ، فيقوم علي بتنفيذ رغبة الفتاة ولكنه دون وعي منه يحول الشذاب الأخضر إلى أحمر مما يكسبه سمة ذبح فرضية ارتباط الأسود بالأبيض ، ولا يكون سوى الدم محل هذه العلاقة.

وترتبط فكرة الدم في الشذاب باستحسان والدة الفتاة «هييا يا علي عجِّل ، يووه ليش قد الشذاب أحمر هكذا ، والله إن شكله أحسن اشتروا لنا شذاب حالي»( )

وينتهي البرنامج السردي بتحقق حلم علي فيصبح لون جسده أبيضا من الخوف ليلة زفاف الفتاة محققا بذلك فرضيات العجوز (البرص) ولكن بعد أن تزوجت الفتاة.

وهنا تبرز الفوارق الثقافية ، والمجتمعية التي يرفض المجتمع أن يتقبلها ، ويظل المسكوت عنه في الرواية هو فضاء الصراع بين طبقات المجتمع بين المركز (الأبيض) وبين الهامش (الأسود) بدلالتهما المختلفة ، ومن ثم يكون الانتقال من فضاء السواد إلى فضاء البياض شائكا محفوفا بالدم تماما كشذاب أحمر ، الذي يتحول من رائحة عطرة خضراء إلى الألم المحقق فالانتقال من السواد إلى البياض ، ومن طبقة اجتماعية مركزية إلى طبقة أخرى هامشية ، أو العكس يكون محفوفا بالبرص ، أو الحريق حتى يبيض الجلد حسب قاعدة الثقافية التي تجسدها العجوز ، أو الخوف المفضي إلى اللاشيء وهو ما عبرت عنه رمزية الفتى الأسود الذي أرهقه الخوف ، والحزن فانتقل من لونه الأصلي (الأسود) إلى اللون (الأبيض) في لحظة رمزية مفزعة مما يجسد محاولة اختراق الحدود بين اللونين ، والطبقتين الاجتماعيتين.

التفاحة الرابعة!

عـادل عطيـة ـ مصر

تحت ظلال الشجرة حين جاءوا..

كل يحمل تفاحته..

قالوا:

هذه تفاحة آدم!

وهذه تفاحة نيوتن!

وهذه تفاحة جوبز!

وقالوا:

هي هديتنا ،

وان كانت مقضومة!

لكني أمسكت برأسي المحمومة ،

بين يديّا ،

وقلت:

هي تفاحتي التي تغريني ،

وتسقطني على الأرض ،

كل الوقت ،

تؤذيني!

ألا ترون أعمالي الرديّة؟!

وجراحاتي النازفة المسمومة؟!

إعداد / سماح الحراز
نوفمبر

دوخي اليمن

الفنان حسن محمد كريدي من مواليد ١٩٥١ في محافظة لحج قرية سفيان تلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة المحسنية وتتلمذ على أيدي العديد من الأساتذة وكانت بدايته الفنية هاويًا الضرب على الإيقاع مع أصدقائه وأقرانه في قرية سفيان حيث ينتمي الى أسرة فنية لحجية عريقة والده كان موسيقيا من الطراز الأول وأخوه الفنان الشهير/فضل كريدي

بدأ الغناء وهو طفل صغير من عام ١٩٥٩م في الندوة الموسيقية اللحجية والبداية الحقيقية له كانت عام ١٩٦٤م حين وقف أمام الجمهور وقدم أغنيته الأولى قطفت وردة وهو أحد أبرز فنانو لحج والجنوب واليمن بشكل عام واحد مؤسسي فرقة الجيش الجنوبي الفنية وأدى طوال حياته عشرات الأغاني وتميز بصوته وأداءه وبلغ شهرة واسعة

قدم على مدى خمسة عقود من الزمن عطاء زاخرا وسجل حضورا رائعا في الألحان والطرب وأطلق عليه (دوخي اليمن) لتشابه صوته بصوت الفنان الكويتي عوض الدوخي ولجمال صوته وقوته كما أن أخواته البنات لهن تسجيلات في إذاعه وتلفزيون عدن في الستينات واعتزلن

ومن الأغاني التي سجلها في إذاعه عدن في عام ١٩٦٤م (بغنجه والدلال) وكذا (والله ماتحلحل حتى يلتفت) وأيضا أغنية (محنون قلبه يباني) كما غنى عام ١٩٦٥م (قضيت العمر يا قلبي) وقدم له الفنان محمد سعد الصنعاني عدة ألحان منها أغنية (ما بي على الفرقة آلة) ثم التقاه بعد ذلك الفنان فضل محمد اللحجي ، وقدم له أغنية (قضيت العمر) و (ياحبيبي كم شكى البين)

هو أول من غنى (يافاتن جمالك) وقدم خلال تلك الفترة الكثير وكان عضو في فرقة تبن الموسيقية وسجل أسطوانات (بي بي فون) كل أغانيه في البدايات الأولى

واجمل اغانيه (صحيح من قبل ماتغتر)

و (انا كنت احبك + بغنجه والدلال + ذوق المر)

و (بغمضة عين + بيجي يوم تذكرني و تندم)

و (يانوي بعادي + دامت الفرحة ودام الأنس)

و (نسيتك وانتهى عهدك + أقبل علينا العيد)

و (باعيش من أجلك + ألحان الحب + ياحيا الله)

و (يا الله بالفرح دوب + يا غايب متى با تعود)

و (شن ماطر من بعد الصفاء + يا قلبي تصبّر)

و (والله ماتحلحل حتى يلتفت + يافاتن جمالك)

ألتحق في عام ١٩٧١ م بالقوات المسلحة وشكل مع زملاءه الوترية وظل يعمل فيها كفنان حتى أصبح قائدا للمجموعة الأنشادية في عام ١٩٨٣م وأصبح بعد ذلك الفنان الأول للقوات المسلحة وقدم خلال عمله في الجيش حفلات غنائية في مختلف وحدات وصنوف الجيش في السهل والجبل والوادي والجزر حيثما يرابط جنودنا البواسل ويرفع من معنوياتهم.

عاصر الندوات الموسيقية منذ تأسيسها فقد كان عضوًا في الندوة اللحجية والجنوب وفرقة تُبَن التي كان الفنان فيصل علوي قائدها وعازفًا في معظم تسجيلات حسن كريدي في الاسطوانات وفي الأعراس كما عاصر فرقة الفلاح والحوطة

شارك في احتفالات خارج الوطن مرتين ، كانت الأولى في عام ١٩٧٥م في الجماهيرية الليبية ، وذلك في مهرجان الشباب الأول وكان حينها ضمن أعضاء الفرقة الوطنية أما المشاركة الثانية فقد كانت في الكويت في عام ١٩٨٥م وكانت مع فرقة إدارة الثقافة التابعة لمحافظة لحج

داهمه المرض في العام ٢٠١٣م وهو يعمل في التوجيه المعنوي في صنعاء برتبة عقيد ليكتشف بعد ذلك أنه لازال مقدم فقد بصره ، ظل في منزله الإيجار في صنعاء وعدن حتى توفي في ٢٤ ابريل ٢٠٢٠ وهو في حالة من القهر والبؤس والنكران لدوره الفني والوطني ، بعد أن قدم عطاءا فنيا زاخرا للوطن وماقدم له هو شي لايذكر يستحي قلمي أن يكتبه أوحتى ذكره.

توفي في ٢٤ أبريل ٢٠٢٠ عن عمر ناهز ال ٧٠ عاما ورحيله يمثل خسارة فادحة للوطن وللحركة الأدبية والثقافية في بلادنا ولنا جميعًا ولن يعوض

ثقافة نفسية (2)

أهمية الحفاظ على الصحة النفسية لمقدمي الرعاية وآليات التغلب على الصعوبات

د- عبدالحافظ الخامري

استمرارًا لما تم تناوله سابقًا ، نسلط الضوء في هذا المقال على أهمية رعاية الأخصائي ، والطبيب النفسي لذاته ، فكيف لنا أن نضيء دروب الآخرين ، ونحن نكابد عتمتنا الداخلية؟ إن الحفاظ على توازننا النفسي هو الأساس الذي يمكننا من خلاله الاستمرار في تقديم رعاية عالية الجودة.

ومن خلال الملاحظة الميدانية ، يمكن القول إن الوعي الذاتي يُعد نقطة البداية لكل عملية توازن واستقرار داخلي ، ومقدمو الرعاية الذين يطبقون أساليب الصيانة الذاتية بانتظام هم الأكثر قدرة على التوافق النفسي ، والصمود.

أهم الآليات العملية:

1- التغلب على الإرهاق العاطفي، والوظيفي:
يستلزم وعيًا ذاتيًا ، وتنظيمًا للجهد المهني ، وذلك بجدولة الجلسات العلاجية بعدد معقول في اليوم ، مع فاصل زمني كاف بين الجلسات ، ودمج فترات منتظمة للراحة ، والاستجمام ، والرياضة ضمن الجدول الأسبوعي.

2-التعامل مع إجهاد التعاطف:
التعاطف المفرط قد يتحول إلى مصدر استنزاف ، لذا ينصح باللجوء إلى طلب الدعم النفسي المهني عند الحاجة ، من خلال جلسات إشراف ، أو مجموعات دعم زملائية.

3-مواجهة العزلة المهنية:
لتخفيف العزلة ، يُنصح ببناء شبكة دعم اجتماعي قوية ، ويُعد الدعم الزمَلي أحد أكثر عوامل الوقاية فاعلية من الإنهاك النفسي.

4-استعادة التوازن بين العمل، والحياة الشخصية:
ينصح بوضع حدود واضحة بين العمل ، والحياة ، وتخصيص أوقات محددة للعمل ، وأخرى للراحة ، والالتزام بعدد محدد من الجلسات اليومية.

5-التعامل مع الضغوط المالية:
يُستحسن تحسين مهارات ترويج الذات ، وتنويع مجالات الممارسة ، وتطوير مهارات الإدارة الشخصية التي تساهم في خفض القلق المالي.

6-معالجة الشعور بالعجز:
لتجاوز الشعور بالعجز ، يُنصح بالتطوير المهني المستمر عبر حضور

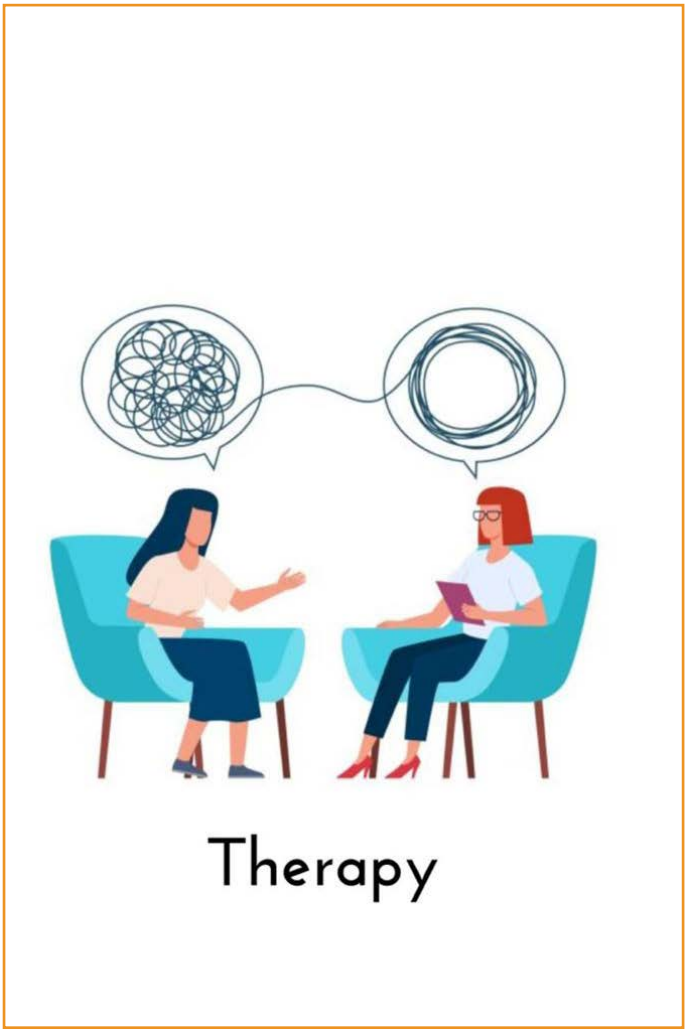

الدورات ، وورش العمل ، مما يساهم في تجديد الدافعية الداخلية.

7- استعادة الحس الإنساني، والمرح:
لمواجهة تصلب المزاج ، يُنصح بممارسة الفكاهة ، والمرح كجزء من نمط الحياة اليومية ، لأنها تعيد للمعالج حيوية التفاعل الإنساني.

في الختام ، تظل رعاية المعالج النفسي لذاته جزءًا لا يتجزأ من رسالته الإنسانية؛ فالمعالج المتوازن نفسيًا هو الأقدر على مساعدة الآخرين ، وإشعال النور في دروبهم. والاعتناء بالذات ليس أنانية ، بل هو أرقى صور المسؤولية المهنية.

★وفي المقال القادم سيتم تناول تصحيح المفاهيم المجتمعية الخاطئة عن الصحة النفسية بإذن الله.★

عن جمهورية بلا قات

حمير العزعزي

خطوة إصلاح ثورية باءت بالفشل.

بعد عقد من قيام ثورة 26 سبتمبر 1962-م- ، عام 1972-م- برز (محسن العيني) رئيس الوزراء ، بأهم الخطوات الإصلاحية التي لم ينتبه لها كثيرون في ذلك الوقت آنذاك ، والعيني الذي يعد أحد أهم المناضلين في تاريخ الثورة ، هو أول رجل في الدولة اليمنية ، وعبر التاريخ يرفض شجرة القات.

مثلت خطوة العيني أبرز محطات الثورة ومسارها الملحوظ ضمن شريط النضالات الثورية المتتابعة ، عهدًا بمحو الزمن الماضي بكل صوره التراجيدية ، وأملا بتحسين الوضع المعيشي ، والسياسي ، من خلال إقامة حكم جمهوري ، وبناء يمن جديد ، يقابل ذلك أيضًا نزع شجرة القات.

واعتبر حينها أغلب المزارعين ، لجانب المدمنين على هذه الشجرة ، بأن الأمر خطيرٌ ، وأنه قرارًا ذاتيًا لا يعني الإصلاح بشيء ، وقد احتج العيني لذلك ، لما معناه أن: قيام ثورة زراعية هو جزء هام ، وضروري من سير الإصلاحات الثورية لخط سبتمبر ، بل ومعيارا فكريا لمسار تحرري ، يساعد على نهضة بناء دولة الجمهورية في اليمن ، وبناء جيش يمني بقوة بدنية ، وعقلية سليمة.

اجتماعيًا كما هو اقتصاديًا. أنصف مضمون القرار الذي دفع به العيني حاجة الأسرة اليمنية لتوفير المصاريف اليومية ، والاكتفاء بالطعام ، وقاد هذا القرار صاحبه ، ومعهُ آخرين ، بعده توجيهًا مهمًا لغالبية سكان اليمن ، خصوصًا منهم فئة الشباب الذين تمت دعوتهم حينها لممارسة نشاطات ثقافية ، ورياضية.

كل هذا ولا يزال الأمر أمام العيني صعبًا بصعوبة إدمان شعب بأكمله ، واعتياده على إدمان هذه الشجرة عبر التاريخ ، ولماذا أيضًا هو كذلك ، هذا ما سنحاول أن نستشفه في صدد مذكرات العيني الهامة جدًا في أبرز ما تناولته ، وما تبعها من اصطفاف قبلي لدرء هذا الخطر ، وإسكاته ، وأن بطريقة أشبه إلى تفويض بعض قادة القبائل الذين لهم حينها مناصب سياسية مرموقة في الدولة.

في (خمسين عامًا من الرمال المتحركة) قصتي مع بناء الدولة الحديثة الصادرة عام -1999- عن دار النهار للنشر – بيروت- ، يروي فيها لنا رئيس وزراء أكثر من حكومة يمنية - قدم استقالته لأكثر من مرة – (محسن العيني) فصولًا من تاريخ حكايته التي تبدأ من لحظات مهمة ، حتى تصل بنا لسرد وقفته الجادة في اجتثاث القات ، وحربه ضد المزارعين الذين يصرون على المتاجرة بها ، وغرسها في مزارعهم.

وضمن ما جاء في الكتاب بعد نقاش مع كوادر الدولة ، وتم ذلك في عام 1972-م- يقول العيني "موضوع آخر طرحته على كبار موظفي الدولة ، وعلى المواطنين جميعًا وللمرة الأولى ، وهو موضوع القات ، هذه الشجرة الجميلة ، المغرية ، المنبهة ، الملعونة ، التي أضاعت على اليمنيين وقتهم ، ومالهم ، وصحتهم ، وأرضهم ، وسمعتهم ١★

ينطلق كلٌ من (العيني) وكان بجانبه وزير التربية حينها (أحمد جابر عفيف) الذي أسس صحيفة (يمن بلا قات) من ذات الفكر الثوري ، المتجاوز للأطر السياسية العريضة ، والمحددات الشكلية ، وتجاوز كلًا من الاثنين ، في حكومة يمنية سابقة في السبعينات ، كان نظرة بعيدة تقود إلى إحداث نقلة في الحياة اليمنية ككل ، عن طريق استكمال تحرير الأرض ، والعقل مرةً أخرى من (الإمام الأخضر) الجديد القديم ، والذي لا يعد لنحوٍ ما ملحوظ ، ومعتبر به ضمن خطوات التغيير.

إثر ذلك اختار (أحمد جابر العفيف) إلى جانب العيني ، في تأسيس مؤسسة ثقافية باسم (العفيف) وهي أكبر المؤسسات الثقافية اليمنية ، والتي لها مقاربات ، وأبعاد ، وإصلاح مشت عليها في خطوط مدروسة ، واكبت الحركة الفكرية ، والتحولات السياسية ، والتاريخية حتى مطلع الألفية ، ولأنها كذلك ، فقد كان ضمن خططها محاربة القات في جملة مهامها ، ونشاطاتها.

وازنت رؤية العفيف مراحل الاصلاحات المرجوة لتعبئة الجمهور في البدايات ، وفيما وقف برأي قوي مساند للقرار الهام ، راح العيني تأكيدًا منهُ على استكمال ، وإجراء قراره ، لعقد اجتماع مع كوادر الدولة ، والمواطنين ، لإقناعهم بمخاطر هذه الشجرة ، وضرورة قلعها ، يقول حينها "اغتنمت الفرصة ، وذكرت لهم ما عانيته من حرج في العامين الماضيين أثناء محنة الجفاف ، فبعد النداءات التي وجهناها إلى المنظمات الدولية ، والدول الصديقة لمساعدتنا بالمواد الغذائية ، قمت بجولة في المناطق التي تضررت بالجفاف مع بعض المندوبين ، وشعرنا بخجل شديد ونحنُ نرى آلاف من المواطنين لا يجدون شربة ماء ، ولا رغيف عيش ، في حين تنتفخ أفواه البعض بورق القات"٢★

ويلاحظ القارئ لهذا الكتاب

في الصفحة (202) ظهور صورة لأبرز قادة في الدولة ، وهم يتعاطون القات ، كتب تحت الصورة (الحمدي ، وابن الأحمر) ، ويشغل الأول منصب رئيس الجمهورية حينها ، والآخر رئيس مجلس الشورى.

وعلى صعيد الخطوات المبذولة من قبل رئيس الوزراء (العيني) تلت

المرحلة تأكيدات تعاملت مع الموقف بصرامة ، وحتمت في شق منها على الدولة بأن تلغي كل ما يمكنها فعله من المساعدات إزاء المناطق التي لم تعمل جاهدةً لتنفيذ قراراتها ، وتعينت صرامة الخطوات (على شكل حفر آبار ارتوازية ، أو تقديم مضخات ، أو سماد ، أو طعام ، لا يجوز أن تقدم لأي منطقة يصر أهلها على زراعة القات ، وإن في أراضيهم المملوكة منهم." ٣★

وهكذا تبلور القرار حينها كالتالي:

- منع موظفي الدولة ، ورجال القوات المسلحة من تعاطي القات.
- منع زراعة القات في أراضي الوقف ، والأملاك العامة للدولة.
-منع تقديم أي مساعدات إلى المناطق التي تواصل زراعة القات.٤★

وكان مفاجئًا كما هو مرعبًا بشدة هذا القرار لبعض القوى التي تترزق على هذه الشجرة التي تعود عليهم بملايين ، ومليارات من الأموال ، وقد ضاعف وجود شعب مدمن بأكمله للقات ، من صعوبة استكمال هذا القرار ، وتبنيه من قبل الدولة حتى أمد أطول ، أضف إلى أن اليمن طوال تاريخها لم تكن قد شهدت مثل هكذا قرار يقضي باجتثاث شجرة القات ، من خلال حملات التوعية بتعريف المواطن اليمني بأضراره ، وتعبئة الشارع بعدم تعاطيه في الصحف ، والإذاعات ، والتحذير بموقف صارم ، معتبرين من يتعاطى القات شبيهًا بمن يأكل في نهار رمضان ٥★ كما ذهب العيني.

قيل تلك الفترة ، وتناقلها كثيرون لفجأتها بأن قبائل كثيرة تمترست داخل مزارع القات للذود عنها خوفًا من مجيء الدولة فجأة لاقتلاع الأشجار ، وقد طارت لحظتها شائعة كالعادة تقال في كل رد متعاطي للقات ، بأن الخمور ، والحشيش ستحل بدلًا عن القات داخل اليمن ، كل هذا جعل القبائل ، وعموم اليمنيين المدمنين يواجهون القرار بفهم صارم ودون تقبل له ، وقد تبع ذلك حينها ذهاب كبار المزارعين من تجار القات إلى تعز حيث رئيس ما يسمى المجلس الجمهوري ، تشكوه تجارتها ، وحياتها ، وتبعات هذا القرار ، الذي كان حقًا سببًا من أسباب إقالة محسن العيني من منصبه.

القات اليوم

انكسر هذا الأفق التغييري ، والثوري ، في موقف صارم لم يصطف له غير العيني ، والعفيف ، بشكل حازم ، ويرجع سبب عدم استكمال القرار الوزاري لاجتثاث هذه النبتة ، لعدة أسباب من بينها: أنه لم يلقَ اصطفافًا من قبل قادة الدولة ، والثورة ، والجمهورية من الوزراء ، بالإضافة إلى عدم التزام الموظفين ، ولاستقالة محسن العيني لأكثر من مرة ،

وكذلك لتعاقب الحكومات ، كما أيضًا برزت أنصاف المواقف والرؤى لمثقفين يمنيين كان يقع على عاتقهم مسؤولية توعوية ، وجدية إزاء هذه الكارثة.

كل هذه ، وأسباب أخرى غير مكشوفة ، قيدت من سلطة القرار ، وأبقته محسوبًا بشخصين هما: العيني بعينه ، والعفيف بعفته ، وكأن الأمر مقصور عليهما ، يخزنون ، أو لا يخزنون ، وأرادت بعض الزعامات القبلية ، تمشية ذلك بتجريده ، وجعله موقف شخصي معدوم القضية ،وغير أصل ، وإلا لما كان يخزن ابن الأحمر ، والرئيس ، وأغلب الوزراء ، والموظفين ، هكذا عمدًا تم تقويض هذا التصحيح الهام ، والأندر تاريخيًا الذي جُعل خارج المسار الثوري التصحيحي المنشود ، حتى لكأنهُ من العيب كثيرًا ، أن الثورة التي انتصرت على الإمامة لم تستطع أن تنتصر على القات.

وبدخول اليمن الألفية ، أصبح للقات اليوم حظوظ أوسع مما كان عليه في السابق إذ لاحظنا أن المرتادين له من شريحة التجار الكبار ، إلى شريحة الموظفين ، وصولًا لمحدودي الدخل ، من الطلاب ، وصغار السن ، والمهمشين ، بالإضافة إلى أن حظوظه تتضاعف أكثر عند زيادة الطلب عليه في المناسبات ، منها الدينية ، و الفرائحية المتعلقة بالأعراس ، وفي أيام العزاء ، وأيام الحرب ، كل هذا جعل الأسواق الشعبية التي يتواجد فيها القات مكتظة حد اللا معقول بعدد مهول من البشر.

وفيما قد أبقيت اليمن على هذه الكارثة طيلة قرون ، وقد تبدلت القوى أيضًا ، وارتبطت بعضها بشكل رأسمال القبيلة الأخضر. يذهب الكثير اليوم من المزارعين اليمنيين الذين لم تكن لهم أي اهتمامات بهذه الشجرة ، فيغرسونها مقتلعين أشجار العنب ، والمنجا ، والبن لما لها من رواج في الأسواق ، ونظرًا لعوائد مبيعاتها.

وفي ظل النشاط التجاري الذي قام بقيام دولة الجمهورية ، حتى الوقت الراهن ، زادت مبالغ الدفع التي يقبضها بائع القات كثمن من قبل المواطنين ، وصار جزءًا من الثقافة في اليمن التمييز ، ومعرفة الغني من الفقير فيما يدفعه الواحد من رقم ، فإذا دفع 30 ألف ريال يمني بما يقدر بالدولار 60 $ بسعر الصرف الحالي ، فإن هذا إما يكون صاحب سلطة ، أو تاجر عقارات وصاحب بيزنس ، وبعضهم يصل سعر شرائه اليومي 100 ألف ريال يمني بسعر 190 $.

وتكمن الخطورة بالنسبة لأشد مدمني القات وحشية في اليمن ، في الأضرار الصحية البالغة التي تضعف نموهم ، وتسبب هزلا في بنيتهم الجسدية ، ويأتي ذلك نتيجة أن تعاطي القات لم يعد محددًا بالساعة ، والفترة ، بل إن كثيرين يمضغونه بعدد وجبات الغذاء الثلاث في اليوم ، الأولى منها تسمى (الفذاحة) ، وتبدأ من بعد تناول وجبة الصبوح ، يليها (التخزينة) ، وتكون بعد وجبة الغداء حتى المغرب ، ومن ثم (تخزينة السهر) التي تمتد حتى ما بعد منتصف الليل ، وأحيانًا تستمر حتى فجر يوم ثانٍ ، وتكون هذه من بعد تناول وجبة العشاء.

توفي (محسن العيني) يوم 25 أغسطس 2022-م- فعنونت حينها إحدى الصحف الصادرة في نفس اليوم الذي توفي فيه أعظم رجالات الدولة هكذا خبر صحفي: (مات العيني ، وعاش القات). وهو ما يعد بحد ذاته انتصارًا على آمال ، وطموحات الجمهوريين الثورية في اليمن.

هوامش

١- " خمسون عامًا من الرمال المتحركة. (قصتي مع بناء الدولة الحديثة) الصادرة عام -1999- عن دار النهار للنشر — بيروت- ص 202

٢- المرجع نفسه - ص 204

٣- المرجع نفسه - ص204

٤- المرجع نفسه - ص204

٥- المرجع نفسه - ص 204

دلال علي غانم

ماذا فعلت بنا التكنولوجيا

أثنـاء رحلة خارج البـلاد ، مزدحمـة بالمواعيد والأنشـطة المختلفة ، تعطّل هاتفـي النقال ، ولم يُجدِ إصلاحـه. لم يكن إصدارًا حديثًا أو غاليَ الثمن ، لكنّـه —كمـا أصبح معتادًا لدى الغالبية- كان يحـوي كلّ معلومات التواصل الخاصّـة بي ، وبـكلّ من أعرف من أهل وأصدقـاء وزملاء.. إلخ.

في ثانية اختفى كلّ شيء!

كلّ محادثاتي وكتاباتي في الأربع سـنوات الماضية ، الأشـياء التي لم تنشر ، الذكريـات المدوّنـة ، قوائـم الموسـيقى المفضلـة ، الكتب ، نسـخ عن جميع وثائقـي وشـهاداتي ، وبالتأكيد حسـاباتي الشـخصية على مواقـع التواصل والبريـد الإلكتروني.

في الأيـام القليلـة التي تلت ذلك ، وبعد يأسـي مـن محاولة إصلاح الهاتف أو اسـتعادة البيانات المخزنة فيه. ملأني شـعور غريـب بالضياع. لم أتمكّن مـن التواصـل مع أحد من أهلـي أو صديقاتي ، ممّـن كان تواصلنا يوميًا. المواعيـد الـتي ارتبطـت بها ، لسـت متأكـدة منهـا ، ولا أسـتطيع الوصول لأصحابهـا وأماكنها.

كنـت قد أنجزت أكثر من نصف المقال الشـهري لمجلة سـلاف ، وللأسـف لم أحتفـظ بنسـخة منـه. تمّ تعليـق الدخول علـى البريـد الإلكتروني لأنني أخطـأت في كلمة السـرّ غير مرّة!

كانت الطريقة الوحيدة لاسـتعادة الحسـابات هي رسـالة تأكيد على رقمي الشـخصي ، والذي لم يكن متاحًا في السـفر!

خواء كبير ملأني ، كطفلة أضاعت عنوانها ، ولا تسـتطيع تذكّر شـيء يدلّ عليـه. جهـاز بحجـم كفّ اليـد أصبح هو مـن يدير لي حيـاتي وعلاقاتي. يحتفـظ بمعلومـاتي وتفاصيلـي ، مـا أحـبّ ، وما أسمـع ، وما أقـرأ.. أين أذهـب ومـاذا آكل.. وحين انطفأ ، صرت كمن يقف في منتصف اللاشـيء!

ماذا فعلت بي التكنولوجيا؟

تحوّلـت من إنسـانة تحفـظ أرقام الأهل والمعـارف والأصدقاء وتسـتدعيها في لمـح البصـر ، إلى أخـرى بالـكاد تحفظ رقمهـا الشـخصي وقد تخطئ فيه .

مـن إنسـانة تدقّـق في الشـوارع والعناوين ، لتتعـرّف علـى الأماكن وتعرف طريقهـا جيـدًا ، إلى واحـدة تعتمد علـى تطبيقات سـيارات الأجرة ونظام تحديـد المواقع GPS.

منـذ أن تعلّمـت أن أخـطّ بالقلم كانـت لي دفاتري الـتي أملؤها بالقصص والخواطـر والرسـومات ، وأحتفـظ بهـا في خزانـتي ، خطّـي الـذي يتغيّر بحسـب حالـتي المزاجيـة يعيـدني للحظـة الكتابـة حـين أفتـح أحـد تلك الدفاتـر. الكتابـة الإلكترونيـة ينقصها ذلـك الأثر المهم ، خـطّ اليد يعطي بعـدًا آخـر للنـص المكتـوب. الأدهى أنها قد تتلاشـى بكبسـة زر ، أو تعطّل الجهـاز الذي حفظـت فيه.

رغم كلّ الفوائد والتسـهيلات التي أدخلتها التقنيات المتطورة على حياتنا ، إلا أنها بتأثيرها المباشـر هـذا قد أصابتنا بالاعتمادية الـتي أورثتنا الغباء والبلادة. بات معظمنا يشـكو التشـتّت والنسيان وضيق الوقت.

تفاعلنـا ، مشـاعرنا ، أصواتنـا وحتى لغة أجسـادنا اسـتبدلناها بحروف بـاردة وأيقونات سـاذجة على الشاشـات.

وسـائل التواصـل تزيدنـا بُعـدًا ، تتأجّـل لقاءاتنـا وننشـغل عـن الحيـاة الواقعيـة بالرسـائل والمنشـورات.

حـتى حـين نخرج ونشـاهد جمـال منظـر طبيعـيّ أو نحضـر حدثًـا ما ، ننشـغل عـن الاندمـاج فيه والاسـتمتاع بـه لنعيشـه من خـلال كادر ضيق لكامـيرات الجوال!

كـمّ المعلومـات الـتي تنهـال علينـا عـبر أجهزتنـا المختلفـة —بعيـدًا عـن قيمتها- سـرقت منـا مهارة البحـث والتدقيـق ، التأنّي والتأمّـل والتحليل. منشورات قصيرة ، فيديوهات قصيرة ، كلّ شيء سريع ومتلاحق.

أصبحـت قـراءة كتاب ، أو دراسـة أو حـتى مقال عبئًا علـى عقولنا. فكيف يمكننا بعدهـا أن نفكّر.

بقـدر ما تعطينـا التكنولوجيـا من مزايا وتسـهيلات ومعلومـات ، بقدر ما تسـرق منا هدوءنا وسـلامنا وقدراتنـا الفكرية والعقلية. بل باتت تسـرقنا حتى من أنفسـنا. ولـو لم نقلّل ونحدّد اسـتخدامنا واعتمادنا على الأجهزة المختلفة فسـتتعطّل قدراتنـا وملكاتنا ، ونصل لمرحلـة خواء مخيف.

عن الشهرة والنجاح ... أوشو

ترجمة: د. عبد الوهاب المقالح

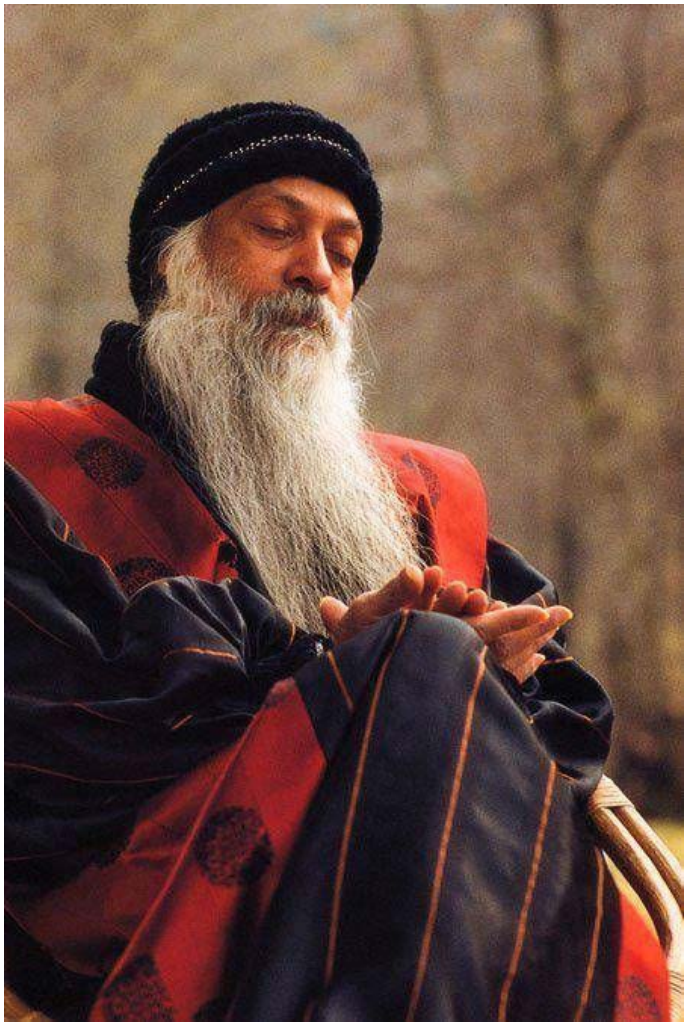

سأل أحدهم المفكر الهندي (أوشو) قائلًا « (أوشو) لقد ظللتُ أحلم دائما بأن أصبح إنسانا مشهورا في العالم أجمع ، إنسانا ثريًا ، وناجحا ، هل باستطاعتك مساعدتي في تحقيق هذه الرغبة؟

وكان رد (أوشو) كالتالي: « لا يا سيدي ، لا أستطيع أبدا؛ لأن رغبتك هي بكل بساطة انتحار ، وأنا لا أقدر على مساعدتك على أن تنتحر ، يمكنني مساعدتك على أن تنمو وتكون ، لكني عاجزٌ عن مساعدتك على الانتحار ، لا أقدر على مساعدتك في تحطيم نفسك من أجل شيء لا قيمة له.

الطموح سمّ: إن أردت أن تكون موسيقيًا أفضل ، فسأساعدك ، لكن انسَى التفكير في أن تصير إنسانا مشهورا في العالم أجمع ، إن أردت أن تكون شاعرا أفضل ، فسأساعدك ، لكن دعك من التفكير بجوائز (نوبل) ، إن أردت أن تكون رساما أفضل ، فسأساعدك ، يمكنني أن أساعد في الإبداع ، بيدَ أن الإبداع لا علاقة له بالاسم ، والشهرة ، ولا بالنجاح ، والثراء. ثم إنني لا أقول إن عليك تحقق النجاح ، والثراء فإن عليك أن تتخلى عنهما. إن تحققا ، فلا بأس بهما ، ولتستمتع بهما ، لكن عليك ألا تدعهما يكونان حافزك؛ لأن الشخص حين يحاول أن يكون ناجحا ، أنّى له أن يكون شاعرا حقا؟ وإذا كانت غايته سياسية ، كيف له أن يصير شاعرا؟ وإذا كان الشخص يجتهد في أن يصير ثريا ، أنّى له أن يكون فنانا حقيقيا؟ إن طاقته كلها تتمحور حول الثروة ، في حين أن الفنان يحتاج طاقته كلها في الرسم ، والرسمُ هو هنا ، والآن.

الثروة قد تأتي في لحظة ، في مكان ما في المستقبل - قد تأتي ، وقد لا تأتي- ليس ذلك أمرا هاما ، إنه أمرٌ عرضيّ. النجاح أمرٌ عرضيّ ، والشهرة كذلك أيضا.

أما السعادة ، أما النعيم فليس عرضيا أبدا. بمقدوري مساعدتك على أن تكون سعيدا مباركا ، يمكنك أن ترسم وأن تكون سعيدا مبتهجا ، وأن يصير ما ترسمه مشهورا ، أم لا ، أن تصير (بيكاسو) ، أم لا ، فهذه مسألة أخرى تمامًا. باستطاعتي مساعدتك على أن ترسمَ بطريقة تكون فيها وأنت ترسم شخصًا يحسدك عليها (بيكاسو) نفسه؛ طريقة تنغمس فيها كليًا بما ترسمه ، وتفقد نفسك ، وتلك هي البهجة الحقيقة ، تلك هي لحظات المحبة ، والتأمل ، هي لحظات القداسة. اللحظة المقدسة هي اللحظة التي تفقد فيها ذاتك ، وتختفي حدودك ، اللحظة التي لم يعد لك فيها وجود في حضور التقوى ، في حضور المقدس.

لكني لا أستطيع مساعدتك في أن تكون ناجحا ، أنا لستُ ضد النجاح — تذكر مرة ثانية — أنا لا أقول إن عليك ألا تكون ناجحا ، فأنا لستُ ضد هذا على الإطلاق ، فهو أمرٌ جيد تماما ، ما أقوله هو: يجب ألا يكون النجاح هو حافزك ، وإلا فإنك ستخفق في الرسم ، وستخفق في الشعر ، وستخفق في الأغنية التي تغنيها الآن ، وحين يتحقق النجاح ، فسوف تكون يداك فارغتين ، لأن النجاح لا يحقق أحدا أبدا. النجاح لا يغذي إذ لا غذاء فيه ، إنه مجرد هواء ساخن.

كنت بالأمس أقرأ في كتاب عن (سومرست موم) محادثات مع (ويلي) ألّفه إبن أخت (سومرست موم) (روبن موم). لقد كان (سومرست موم) حينها أحد أشهر المشاهير الناجحين الأثرياء في ذلك العصر ، غير أن المذكرات تتكشف عن أمر جلل ، استمع لتلك الكلمات التي سطرها (روبن موم) عن خاله الشهير الناجح (سومرست موم): « لقد كان دون ريب أشهر كاتب حي ، وأشدهم حزنًا. قال لي: « أنت تدري ، ها أنذا على وشك الموت ، وأنا لستُ راضيًا على ذلك مطلقا ، - تلك

الجملة قالها وهو في 91 من عمره- وقال:» إنني في أرذل العمر ، غير أن ذلك يزيد الأمر صعوبة.»

كان ثريًا ، ومشهورًا عالميًا... إلخ ، وفي ذلك العمر (91عاما) كان لا يزال يحقق حظا وافرا مع أنه لم يكتب كلمة واحدة منذ مدة طويلة. عائدات حقوق مؤلفاته ما تزال تتدفق من جميع أنحاء العالم ، وكذلك رسائل الجمهور ، ففي هذه اللحظة ، أربع من مسرحياته تُعرض في ألمانيا. ومسرحية (الدائرة) أعيد إحياؤها بشكل رائع في انجلترا ، و(الزوجة الدائمة) تحولت إلى نسخة موسيقية. وإحدى أشهر رواياته وهي (عبودية الإنسان) على وشك أن تُخرج فيلما قد يعود عليه بملايين الدولارات الكثيرة ، كما حدث مع رواية (مطر) ، ورواية (القمر ، والشلن ، وشفرة الموس). ولسوء الحظ ، فإن المكافأة الوحيدة التي لم تسعفه بها موهبته ، ونجاحه هي السعادة.

إذًا ، لقد كان أشد الخلق حزنا ، اسمع:

«سألته: ماهي أسعد ذكرى في حياتك؟ « فرد قائلا: « لا يمكنني أن أتذكر أية لحظة واحدة واحدة.»

قال ابن الأخت: « نظرتُ حولي ، صالون الاستقبال ، وأثاثه الضخم الباذخ ، والصور ، والأعمال الفنية التي مكنه نجاحه من اقتنائها. (قصره ، وحديقته المدهشة ، والخلفية الهائلة على حافة البحر الأبيض المتوسط التي تبلغ قيمتها 600 ألف جنية ، ثم إن لديه أحد عشر خادمًا شخصيًا ، بيدَ أنه لم يكن سعيدًا.» قال: «ما جدوى أن يظفر الإنسان بالعالم أجمع إن هو خسر روحه؟ « ثم شبك يديه ، وفكهما في ألم مبرح ، وقال: «عليَّ أن أخبرك ، يا عزيزي (روبن) ، إن هذا الاقتباس كان عادة معلقًا مقابل سريري حين كنت طفلًا .»

عندئذ أخذته في جولة في الحديقة ، فقال: « أنت تدري ، عندما أموت ، سيأخذون كل شيء مني ، سيأخذون كل شجرة ، ويأخذون المنزل كله ، وكل قطعة أثاث ، ولن أكون قادرا على أن آخذ طاولة واحدة.»

كان حزينا جدا ، وكان يرتعش. وصمت لبرهة ونحن ندلف أيكة من أشجار البرتقال ، ثم قال: «لقد كنت الفشل ذاته طوال حياتي.»

حاولت أن أخفف عنه ، فقلت: « أنت أشهر كاتب حي. بالتأكيد ، ألا يعني لك هذا شيئًا ما؟ « قال: « كم أتمنى لو أنني لم أكتب كلمة واحدة ، ما الذي فعلته لي الكتابة؟ لقد كانت حياتي كلها فشلا ذريعا ، والوقت صار متأخرا جدا لإحداث تغيير ما. « وأضاف: «متأخرٌ جدا. « واغرورقت عيناه بالدموع. « إذًا ، ماذا عسى أن يحققه لك النجاح؟ ها هو ذا (سومرست موم) قد عاش عبثا. عاش واحدا وتسعين عاما ، وكان ينبغي أن يكون في غاية الرضى ، وقد حقق ما حققه. لكن إن استطاع النجاح أن يمنح هذا ، عندئذ فقط ، إن استطاعت الثروات أن تمنح هذا ، عندئذ فقط ، إن استطاع القصر الأنيق ، والخدم أن يمنحوا ذلك ، عندئذ فقط يكون لذلك معنى ما.

في التدقيق الكلي للحياة ، الاسم ، والشهرة ليس لهما علاقة ، إن كل ما يهم في نهاية الأمر هو كيف عشتَ كل لحظة من لحظات حياتك ، هل كانت بهجة؟ هل كانت احتفالا؟ هل كنتَ سعيدًا بالأشياء الصغيرة البسيطة ، وأنت تستحم ، وأنت تشرب الشاي ، وأنت تنظف أرضية الغرفة ، وأنت تتجول في الحديقة ، وأنت تزرع الأشجار ، تتحدث إلى صديق ، أو تجلس صامتًا مع محبوبك ، أو محبوبتك ، أو تنظر إلى القمر ، أو وأنت تصغي فقط إلى العصافير؟ هل كنت سعيدًا في كل تلك اللحظات؟ هل تحولت كل لحظة إلى لحظة سعادة مشرقة؟ هل كانت بهجة براقة مفعمة بالحب؟ هذا هو كل ما يهم في نهاية المطاف.

لقد سألتني عما إن كنتُ أقدر على مساعدتك في تحقيق رغبتك؟ لا ، أنا لا أقدر على الاطلاق ، لأن رغبتك هي عدوك ، وهي ستحطمك ، وذات يوم ، حين تصادف جملة الإنجيل (ما جدوى أن يظفر الإنسان بالعالم أجمع إن هو خسر روحه) ، عندئذ ستبكي محبطًا ضعيفًا ثم تقول: « الوقت صار متأخرا جدا لإحداث تغيير ما ، متأخرٌ جدا «.

لكني أقول لك الآن: إنه ليس متأخرا جدا ، ويمكنك فعل شيء ما ، يمكنك تغيير حياتك كليا من جذورها ، باستطاعتي أن أساعدك في إحداث تغيير كيميائي فيها ، لكني لا أضمن ذلك بالمعنى الدنيوي ، أنا أضمن كل نجاح في العالم الروحاني الداخلي ، باستطاعتي أن أجعلك ثريا مثل أي مستنير ، المستنيرون وحدهم هم الأثرياء. إن الناسَ الذين لا يتمتعون إلا بالأشياء الدنيوية من حولهم ليسوا أثرياء حقًا ، إنهم فقراء بائسون يخدعون أنفسهم ، ويخدعون غيرهم بأنهم أثرياء ، أما في أعماقهم فليس هناك سوى المتسولين ، إنهم ليسوا أباطرة حقيقيين.

دخل (بوذا) إلى إحدى المدن ، وكان الملك مترددا قليلا في الذهاب لاستقباله فقال له رئيس وزرائه: « إن لم تذهب لاستقباله ، فاقبل استقالتي ، وأنا لن أقدر على خدمتك بعدها. «

سأل الملك: « لكن لماذا تستقيل؟ «.

لم يكن قادرا على الاستغناء عن رئيس وزرائه ، فمن دونه سيكون الملك في ورطة حقيقية. لقد كان رئيس وزرائه مفتاح سطوته. وسأل: « لكن لماذا؟ لماذا تلح؟ لماذا يجب عليّ أن أذهب لاستقبال متسول؟ «

فقال رئيس الوزراء: قال الرجل العجوز: « أنت المتسول ، وهو الامبراطور ، وهذا هو السبب. اخرج لاستقباله ، وإلا فأنت غير جدير بخدمتي.»

وكان على الملك أن يخرج ، فذهب ممتعضا؛ لكنه حين أبصر (بوذا) سارع إلى لمس قدم رئيس وزرائه العجوز وقال: « أنت على حق ، إنه الملك ، وأنا المتسول.»

الحياة غريبة؛ فأحيانًا يكون الملوك متسولين ، والمتسولون ملوكا. فلا تنخدع بالمظاهر ، انظر إلى الداخل ، القلب يكون غنيا حين يخفق بالبهجة ، ويكون ثريا حين يكون متناغما مع (التاو) ، مع الطبيعة ، مع قانون الحياة المطلق ، مع الفطرة ، والفضيلة.

القلب غنيّ حين تكون متناغمًا مع الوجود كله ، وذلك هو الثراء الوحيد الحق ، ما لم ، فإنك ستبكي ذات يوم ، ثم تقول: « الوقت متأخر جدا.»

ليس باستطاعتي مساعدتك على تحطيم حياتك ، أنا هنا لأجملها ، أنا هنا لأمنحك وفرة الحياة ، وثراءها الحق.

ثقافة صحية

ليـــــلى حـــــسـين

MS.Vitality

عامٌ جديد:

خطوات نحو التوازن الداخلي

في اللحظات الفاصلة بين عام ينسحب بهدوء وعام يلوّح من بعيد ، نكتشف أن الزمن لا يتغير فجأةً كما نتخيل ، بل نحن من نحمله معنا حيثما ذهبنا.

ندخل العام الجديد بالأجساد نفسها ، بالعقول ذاتها ، وبالذاكرة التي لم تُمحَ بعد. ولهذا ، فإن الحديث عن بداية صحية لا يمكن أن يكون حديثًا عن قرارات سريعة ، بل عن إعادة نظر عميقة في علاقتنا بأنفسنا.

نهاية العام ليست مناسبة للحساب القاسي ، بل فرصة للفهم. أن نسأل أنفسنا كيف عشنا إيقاع أيامنا ، كيف تعاملنا مع التعب حين ظهر ، وكيف اعتدنا تجاهل الإشارات الصغيرة حتى أصبحت أثقالًا يصعب حملها.

كثيرون لا يدركون أنهم مرهقون إلا عندما تتباطأ أجسادهم ، أو يضطرب نومهم ، أو تفقد نفوسهم قدرتها على الفرح بالأشياء البسيطة. الصحة في جوهرها ليست إنجازًا نعلّقه على جدار العام الجديد ، بل حالة انسجام داخلي تتشكّل بهدوء.

انسجام بين الجسد والعقل ، بين الحاجة والاختيار ، وبين ما نأخذه من الحياة وما نمنحه لأنفسنا. هذا الانسجام يبدأ من تفاصيل نعيشها يوميًا دون أن نوليها انتباهًا كافيًا: الطعام ، النوم ، والحركة.

الطعام ليس مجرد عادة نكررها ثلاث مرات في اليوم ، بل علاقة طويلة الأمد مع الجسد. ما نأكله يترك أثره في طاقتنا ، صفاء أذهاننا ، واستقرار مشاعرنا.

حين يصبح الطعام وسيلة للهروب من القلق أو مكافأة عن يوم شاق ، فإننا نُحمّل الجسد أكثر مما يحتمل. وحين يتحول إلى حرمانٍ دائم ، نفقد معه الإحساس بالأمان.

التغذية المتوازنة ليست التزامًا صارمًا ، بل شكل من أشكال الرعاية ، نُخبر بها أجسادنا أننا نصغي إليها ولا نُعاقبها.

النوم ، في المقابل ، هو المساحة التي نُعيد فيها ترتيب ما بعثره النهار. في النوم تهدأ الأفكار التي لم نجد وقتًا لمواجهتها ، وتلين المشاعر التي اشتدت تحت ضغط المسؤوليات. حين نقلل من قيمة النوم ، فإننا نطلب من أنفسنا أن تستمر دون وقود حقيقي.

الإرهاق لا يظهر دائمًا في شكل تعب جسدي ، بل في فقدان الصبر ،

وحدة المزاج ، وثقل الحياة نفسها. النوم الكافي ليس ترفًا ، بل شرطًا أساسيًا لنكون أكثر اتزانًا وأقل اندفاعًا.

أما الحركة ، فهي التعبير الأبسط عن كوننا أحياء. لا تحتاج إلى مساحات واسعة أو جهدٍ خارق ، بل إلى نية العودة إلى الجسد بعد طول غياب.

الحركة تُخفف من ثقل الجلوس الطويل ، تُفرغ التوتر المخزّن بصمت ، وتمنح الجسد فرصة ليُعبّر عما عجزت الكلمات عن قوله. حين يتحرك الجسد بانتظام ، يهدأ العقل ، ويتحسن النوم ، وتصبح علاقتنا بالطعام أكثر وعيًا وتوازنًا.

من هذا التفاعل اليومي بين التغذية ، النوم ، والحركة ، تتشكّل الصحة النفسية دون أن ننتبه. ليست حالة ثابتة ، ولا شعورًا دائمًا بالسعادة ، بل قدرة أعلى على التكيّف ، ومرونة أكبر في مواجهة الضغوط ، ومساحة أوسع للتسامح مع الذات.

الصحة النفسية لا تأتي من الفراغ ، بل تنمو في بيئة تحترم الاحتياجات الأساسية للإنسان.

كثيرًا ما نحمّل أنفسنا فوق طاقتها في بداية كل عام ، نضع أهدافًا لا تشبه واقعنا ، ثم نلوم أنفسنا حين نعجز عن الاستمرار. لكن ربما لا نحتاج هذا العام إلى مزيد من الضغط ، بل إلى إيقاع أهدأ.

إيقاع يسمح لنا بأن نعيش الحياة كما هي ، لا كما يجب أن تبدو.

مع نهاية هذا العام وبداية آخر ، قد يكون أجمل ما نفعله لأنفسنا هو أن نخفف حدّة التوقعات ، ونستبدل القسوة بالفهم ، والمقارنة بالإنصات.

أن نسمح لأنفسنا أن نتقدّم بخطوات صغيرة ، لكنها صادقة ، وأن نُدرك أن العناية بالجسد هي في حقيقتها عناية بالنفس.

التغذية المتوازنة ، النوم الكافي ، والحركة المنتظمة ليست شعارات تُرفع مع بداية السنة ، بل أسس إذا استقرت ، استقر معها الكثير مما نظنه فوضى داخلنا.

ومن هذا الهدوء المتدرّج ، قد يبدأ عام جديدة .. لا أكثر مثالية ، بل أكثر إنسانية ، وأكثر اتزانًا ، وأكثر قربًا من الذات.

إعداد/ نوال القليسي

حجة مدينة الشعراء

ومعقل الحصون التاريخية

تتميز مدينة حجة اليمنية بجبالها الشاهقة ، وتاريخها العريق المتمثل في القلاع ، والحصون مثل (قلعة القاهرة ، وقلعة المدورة ، وحصن الجاهلي ، و حصن كحلان عفار) ، وثرواتها الطبيعية المتنوعة التي تشمل الوديان ، والغابات ، والعيون الحارة ، بالإضافة إلى ثقافة غنية بتراث شعبي متميز ، وتقاليد ، وعادات فريدة ، كما تمثل ثروة طبيعية للسياحة ، و تتميز ببيئة ثقافية تشتهر بـ(عادات ، وتقاليد فلكلورية ، وملابس تقليدية ، وفنون شعبية مميزة ، و أسواق أسبوعية تعكس البيئة الحيوية ، والثقافة الشعبية) ، فهي باختصار اللوحة الفنية التي تجمع بين عبق التاريخ ، المتمثل في حصونها ، وقلاعها العريقة ، وجمال الطبيعة الساحرة لوديانها ومدرجاتها الخضراء ، ومن أبرز قلاعها ، قلعة القاهرة التاريخية حيث يعود تاريخ بنائها إلى بداية القرن الحادي عشر الميلادي في عهد الدولة الصليحية ، بينما يعود بناؤها بشكلة الحالي إلى القرن السادس عشر الميلادي خلال الحكم العثماني الأول لليمن ، ومن الحصون التاريخية ، والشهيرة لمدينة حجة ، حصن كحلان عفار ، حيث يستوطن فوق قمة جبلية ذات سطح منبسط واسع ، تحف استدارته هوة صخرية ، حادة ، فيصعب منالة الإ من فوق زقاق مدرج حجري يؤدي إلى فسحة واسعة تتواجد فيها بقايا اطلال من الجدران ، والمدافن ، والصهاريج ، والمساجد فهي عامرة ما مسها النسيان ، تحكي للزائرين تاريخ عظيم ، ومجد تليد ، كما توجد بركتين منحوتة في عمق الصخر مسقوفة بالواح ، واعمدة ، وعقود حجرية شيدت بدقة ، وجمال متناهي يفصح عن عظمة المكان ، وتاريخه الحضاري ، و الإنساني .

حجة منبع التنوع الثقافي، ومدينة الشعراء

التنوع الثقافي في مدينة حجة التاريخية أوجد مناخ فكري وثقافي خصب ، برز من خلاله شخصيات شعرية لها بصمتها الثقافية ، والفكرية في المشهد الثقافي اليمني ، ومن أهم الشعراء ، الشاعر (حسن عبدالله الشرفي) ، ويعد من أهم القامات الشعرية اليمنية ، في القرن العشرين ، فقد كتب الشعر بأنواعه (العمودي ، والحميني ، و التفعيلة) ، تميز بغزارة إنتاجه الأدبي ، وامتلاكه لمخزون لا ينضب من المفردات ، ومقدرة فذة على تطويع اللغة ، وله العديد من الأصدرات الشعرية كان أولها ديوانه الشعري (من الغابة) ومن مؤلفاته الشعرية كذلك (الطريق إلى الشمس) ، (ألوان من زهور الحب والبن) ، (أصابع النجوم) ، (تقول ابنتي وغيرها) ، كما نتطرق للحديث هنا عن شاعر من مدينة حجة تميز بعذوبة كلماته وحسه المرهف ، وإبداعه الغزير ، نقف هنا لنسلط الضوء على الشاعر والأديب اليمني الكبير الشاعر (علي عبد الرحمن جحاف) فهو من مواليد محافظة حجة ، وهو من أبرز شعراء التيارات الأدبية ، والثقافية المعاصرة ، وله عدد من الأعمال الشعرية من أبرزها ، ديوان شعر بعنوان (ورود تشرين) ، وديوان شعري آخر بعنوان (فل نيسان) وديوان (كاذي شباط) ، وغيرها من الأعمال الشعرية ، ومازلنا في رحاب مدينة الفكر ، والشعراء حجة حيث نتحدث عن أبرز الشعراء من هذه المدينة وهو الشاعر (محمد حسين الشرفي) وهو شاعر ، وكاتب مسرحي ، عمل في إذاعة صنعاء ، وهو عضو مؤسس في اتحاد الأدباء ، والكتاب اليمنيين ، وله مساهمات في كتابة الشعر

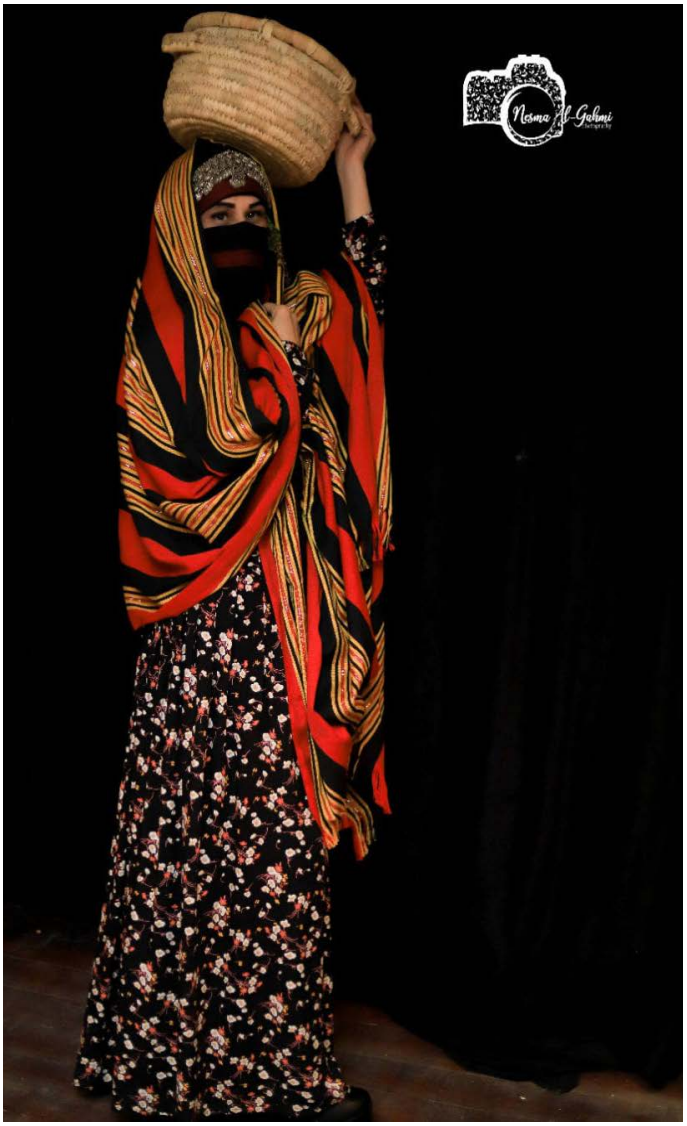

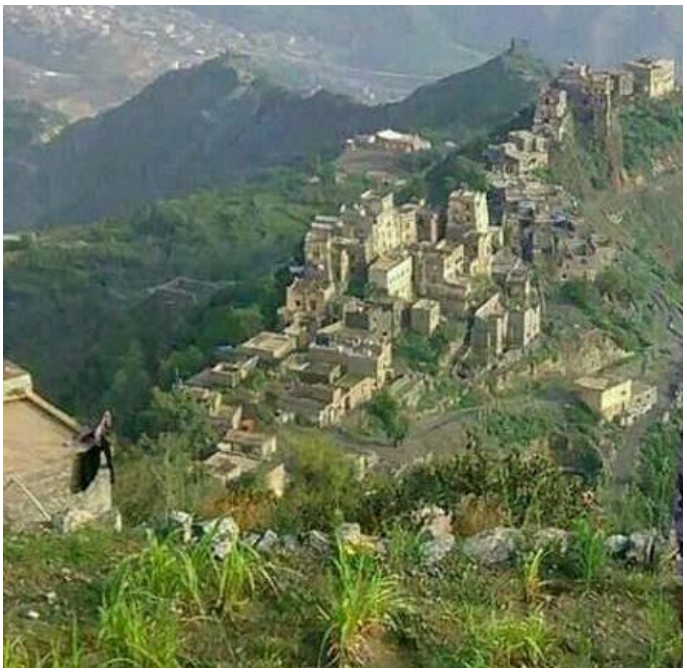

الغنائي اليمني ، من أعماله الشعرية ، (ولها أغني) ، (من أجلها) ، (من مجامر الأحزان) ، (ساعة الذهول) ، ومن مسرحياته الشعرية ، والنثرية ، في (أرض الجنتين) ، (المعلم) ، (مملكة السعادة) ، وغيرها من الأعمال المسرحية ، هذا الزخم الفكري ، والثقافي لعدد كبير من الشعراء ، والمثقفين في مدنية حجة يجعلها مدينة الشعراء ، وملهمة الفكر ، وحاضنة الثقافة عبر الأجيال .

مدينة حجة تنوع بيئي ... وجمال محفوف بتراث لا يضاهى

تتميز حجة بتنوع جغرافي فريد يجمع بين المرتفعات الجبلية الشاهقة ، والسهول الساحلية ، والحصون ، والقلاع التاريخية التي تعكس عظمة الماضي ، وتروي قصصا منه ، إضافة إلى المناظر الطبيعية الخلابة ، مثل الوديان الخضراء والمدرجات الزراعية ، مثل وادي (شرس ، والشلالات (عين علي) مما يمنحها طابعا جماليا متفردا ، كما تشتهر بوجود ينابيع طبيعية حارة تستخدم للسياحة العلاجية ، وتنتشر في مديريات (كعيدنة ، و أسلم ، والطور) ، كما تشتهر بالزراعة ، وتربية الحيونات ، ويعد من نشاطها الاقتصادي الرئيسي ، كما تشتهر بزراعة البن اليمني المشهور عالميا ، بالإضافة إلى زراعة الفواكه ، والخضروات ، وللمدينة تنوع تراثي ، وفلكلوري مميز ، حيث يوجد تنوع في العادات ، والتقاليد بين سكان المناطق الجبلية ، والسهلية ، ويظهر ذلك في أدوات الزينة ، والملابس التقليدية ، والرقصات ، والإيقاعات المختلفة ، بالإضافة إلى الأسواق الأسبوعية الدائمة ، فهي لوحة فنية تجمع بين عبق التاريخ المتمثل في حصونها ، وقلاعها ، وجمال الطبيعة الساحرة لوديانها ، ومدرجاتها الخضراء ، وهذا أكثر ما يميز مدينة حجة عن غيرها ، فهي تحمل تنوع فكري ، وثقافي ، وبيئي ، وتراثي جميل ، ومتفرد .

المرأة الريفية في حجة قصة مثابرة.. وحكاية نجاح

تتميز المرأة الريفية في محافظة حجة بالصبر ، والكفاح ، والمهارات الزراعية حيث تقوم بأعمال شاقة مثل الزراعة ، والحصاد ، وتقليم الأعشاب ، وجمعها علف للمواشي ، إلى جانب مسئوليات أخرى كجلب المياه ، وتربية الماشية وإعداد الطعام ورعاية الأطفال ، حيث تظهر عزيمتها ، وإصرارها على تجاوز هذه الصعوبات ، حيث تدعم دورها الغذائي للأسرة ، والمجتمع ، فهي قصة كفاح من المهد إلى اللحد ، حيث تلعب المرأة الريفية في محافظة حجة دورا بارزا وملموسا في جوانب الحياة الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية في الريف ، وتتميز المرأة الريفية في محافظة حجة بزي تقليدي ، يتسم بالبساطة ، ويتكون عادة من لفحة ، أو شال يعرف محليا باسم (الشماخ) ، غالبا ما يتم ارتداء هذه اللفحة كغطاء للرأس ، أو شال يغطي الكتفين ، مما يعكس الهوية الثقافية للمرأة الريفية في محافظة حجة ، ومن الحرف التقليدية للمرأة الريفية هناك ، صناعة البخور ، والعطور باستخدام مواد طبيعية مثل: (العنبر ، والمسك ، والصندل) والحرف اليدوية المرتبطة بالمطبخ ، بالإضافة إلى أعمال الديكورات المنزلية مثل المشاجب الخشبية ، وغيرها ، وحرف المرأة اليمنية في محافظة حجة ، وغيرها من المحافظات إرث تاريخي عريق ممزوج بقصة كفاح ، ونضال عبر الأجيال .

فلسفة الذكاء الاصطناعي: من سؤال تورينغ إلى وعي الآلة

وليد سند

قبل نحو ثمانين عامًا ، جلس عالم الرياضيات البريطاني «آلان تورينغ» أمام سؤاله البسيط والعميق في آنٍ واحد:
«لو استطاعت الآلة أن تقلّد الإنسان في الكلام ، فهل يمكن القول إنها تفكر؟»

ذلك السؤال ، الذي بدا آنذاك تجربة ذهنية محدودة ، فتح بابًا فلسفيًا لم يُغلق حتى اليوم. فبينما انشغل العالم بالحواسيب الأولى وأكوادها الميكانيكية ، كان تورينغ يزرع بذرة فكرة ستقود لاحقًا إلى ما نسمّيه اليوم الذكاء الاصطناعي.

ولادة الفكرة

في عام 1956 ، اجتمع عدد من العلماء في مؤتمر «دارتموث» الشهير ، وهناك اتُّفق على اسم سيغير التاريخ: Artificial Intelligence — الذكاء الاصطناعي. وجُعله فكرة فلسفية عميقة تُنسب للإنسان الذي حاول تقليد خَلقِه — عقلٍ يُفكّر ويحلّل ويصنع قرارات.

منذ تلك اللحظة ، لم يعد السؤال: هل تستطيع الآلة الحساب؟
بل أصبح: هل يمكن للآلة أن «تفهم»؟

عصر البدايات: عندما صدّق البشر الوهم

في الستينات والسبعينات ، وُلدت أولى محاولات «المحاكاة الإنسانية» عبر برامج الدردشة:
إليزا (ELIZA) ، التي مثّلت دور طبيب نفسي يسأل أسئلة مفتوحة ، وباري (PARRY) الذي تقمّص شخصية مريض مضطرب ، ثم لاحقًا أليس (ALICE).

كانت هذه البرامج بسيطة للغاية ، لكنها خدعت مستخدميها.
تقول لإليزا: «أنا متضايق» ، فترد: «ولماذا أنت متضايق؟»
وفي لحظة من الضعف الإنساني ، ينسى المستخدم أنها مجرد آلة من رموز وأوامر ، ويتحدث معها كما لو كانت كائنًا يشعر ويهتم.

من "سمارتر تشايلد" إلى "سيري"

مع دخول الألفية الجديدة ، تطورت الفكرة إلى مرحلة أكثر تفاعلًا.
ظهر برنامج SmarterChild على تطبيق MSN Messenger ، وكان أول «صديق افتراضي» حقيقي للكثيرين — مرح ، ساخر أحيانًا ، ذكي أحيانًا أخرى ، لكنه دائمًا حاضر.
ثم تبعته الأسماء الشهيرة: سيري ، أليكسا ، جوجل ناو.
إلا أن هذه الأنظمة ، رغم براعتها التقنية ، لم تنجح تمامًا في كسب ثقة الناس. كانت «ذكية» لكن بلا «روح».

التحول الكبير: حين فهمت الآلة الجملة

عام 2017 شكّل نقطة التحول الفاصلة.
قدّمت جوجل للعالم نموذج المحوّلات (Transformers) ، وهو ما غيّر طريقة فهم الآلة للّغة.
لم تعد تفكك الجملة كلمةً كلمة ، بل صارت تفهم السياق الكامل — ما وراء النص ، لا مجرد مفرداته.
ومن هنا بدأ الطريق نحو ولادة ChatGPT وأقرانه ، حيث اقترب الذكاء الاصطناعي من شكل «الحوار الحقيقي» لأول مرة.

عبقرية مكلفة وأخلاق مربكة

اليوم ، أصبح الذكاء الاصطناعي يكتب المقالات ، يبرمج البرامج ، يرسم اللوحات ، ويؤلف الموسيقى.
لكنه في المقابل يستهلك طاقة كهربائية تعادل ما تستهلكه مدينة صغيرة ،
وكرت شاشة واحد مثل NVIDIA H100 يساوي ثمن سيارة فارهة!

ثم تأتي القضايا الأخلاقية:

الانتحال العميق (Deepfake) الذي يزور الوجوه والأصوات ، والمخاوف من فقدان الوظائف ، وتزايد الأسئلة حول من يتحمّل المسؤولية إذا أخطأت الآلة.

ما بين الخوف والدهشة

رغم كل الحديث عن «الذكاء الاصطناعي العام» الذي قد يتجاوز قدرات الإنسان ،
تبقى هذه النماذج — حتى اللحظة — مقيّدة ببرمجتها.
هي لا تملك إرادة ولا رغبة ولا نية.
تفكر فقط داخل الحدود التي رسمها المبرمجون لها ، لكنها تذكّرنا دومًا بسؤال تورينغ القديم: إلى أي حد يمكن للآلة أن تشبه الإنسان؟

ختامًا : هذا المستقبل الذي يبتسم لنا بخجل

القصة لم تنتهِ بعد ، لكنها بدأت للتو..
فكما نضحك اليوم على بساطة "إليزا" ، قد نضحك بعد عشر سنوات على ما نعتبره الآن معجزة.
ولعلنا حينها سنقول بابتسامة فلسفية:
«يا زين براءة زمان ، حين كنا نعتقد أن الآلة لا تحلم!»

الذكاء الاصطناعي، والعقل

صفوان القاضي

لم يكن الذكاء الاصطناعي يومًا ، أعظم من عبقرية الإنسان. وليس بإمكان أن تتفوق آلة ، عن العقل البشري للإنسان قطعيًا. بينما الذكاء الاصطناعي أساسًا هو فكرة مهدورة ، أتت من مخلفات التطور الفكري ، للإنسان ذاته.

آلة مبتكرة لغرض السرعة ، وتقليص الجهد. تساعد على قدرات الإنسان ، في مضاعفة الجهود ، وإمكانية الوصول بسهولة. ولا سيما في ذلك ، إذ إنها تعمل بالتلقي ، للأوامر ، لا بامتلاك القرار.

ومهما كان جموح ذلك ، بالسطو على أهمية حاجة الإنسان ، فهو بحاجة لإدارة عقلية ، والعقل مزية الإنسان دون غيره ، وكل من زيَّف حقيقته ، مستعينًا بواسطة الذكاء الاصطناعي ، فهو بلا شك ، سلَّم قدراته لخذلان تلك الآلة.

سواءًا في الكتابة ، أو التصاميم ، أو الإنتاج الفني والدرامي ، أو التزاييف المولَّدة بواسطة الذكاء الاصطناعي ، أو أيًا كانت ، فذلك تضليل. وسريعًا ما ينكشف ، ويظهر كلًا على حقيقته.

فالذكاء لعنة ، أراد بهِ مطوريَّ البرامج ، والتكنولوجيا ، تزييف الحقائق ، وتزوير الواقع بصورة عكسية للأصل ، المُجرَّد من فبركة الذكاء ، للشكل والمضمون.

وكما أراه لعنةٌ وقيد أيضًا ، لكبح أهمية العقل البشري ، بالاستغناء عن حاجته في سوق العمل ، وهذا شيءٌ خاطئ. ومن يظن بأن ذلك تفوق على أهمية الإنسان وقدراته؛ فهو أيضًا مخطئ. ويبقى الإنسان وتفرده بمزايا العقل في الواجهة الأمامية ، وما دون ذلك كذبة مصطنعة كالذكاء ، لولا أن الذكاء فطرة الإنسان ، وخاصته.

فمن أراد أن يغرر على نفسه ، ومهاراته بذلك القيد ، فما عليه إلا أن يسلِّم قراراته لآلة ، لتقرر بدلًا عنه ، وتسلب منه روحه ، وشغفه ، ذات طابعهما الفريد بالفطرة ، والدهاء الذي أنتج لنا هذا الذكاء الاصطناعي. لنعيش لعنته بالزيف ، والتضليل.

يظل الروح الوجداني النابع من ذات الإنسان ، هو الحس المرهف ، والشغف البديع لموهبة المرء ، والملهم الأول لنجاح الإنسان ، دون أدوات الذكاء ، وما دون ذلك ، ليس إلا؛ مجرد تدوير آلي لماضٍ قديم ، مما خلَّفه الإنسان ، في أرشيف هذا الفضاء ، كلمات خالية من الذوق ، من المعنى ، بل ومن الروح الإبداعي المتراكم لمسيرة الإنسان ، كلماتٌ يعيد ترتيبها تطبيق آلي لا أكثر ، بعبث مبتذل عبر هذا الذكاء.

بينما الإبداع ذات الدلالة الواضحة ، هو مرآة تعكس روح الإنسان ، وتعمل على صقله شيئًا فشيئًا بطول رحلته الإبداعية ، الناجمة عن تجارب عدة ، وصولًا للنضج الحقيقي ، لِمَ يسعى إليه الشخص الناجح. بعد بذل جهود جبارة ، ليحصد حصيلة ثمينة ، وقيِّمة ، يُفاخر بها ، وتُشعِره بارتياح ذاتي ، حين يُلاحظ بأنَّ جهوده مثمرة.

وكما لوحظ في الآونة الأخيرة من ظهور الذكاء الاصطناعي ، على الأغلب ممن استغلوا أدواته ، واتخذوها كوسيلة لإظهار مواهبهم. هكذا بضغطة زر ، ينسجون نصوصًا مُنمقة ، ليستعرضون بها أمام الآخر ، ظنًا منهم بأنَّ لا أحدًا باستطاعتهُ تمييزها ، والتفريق بينها وبين ما ينسجه الفكر ، إلا إنها مكشوفة.

والكاتب المعاصر يستطيع معرفتها ، وأيضًا لا يمكن لمواقع ومنصات النشر الإلكترونية ، أن تقبل بالنشر نصًا مولدًا بواسطة الذكاء الاصطناعي ، من أي نوعٍ كان ، مقالا ، أو نثرا... إلخ ، وترفضه لمجرد أن تجري لمحة طفيفة عليه ، فيتبيَّن لها بأنه مصطنع.

هكذا صارت الحداثة الحصرية ، محطة تدمير للوعي ، المفكر ، والباحث باختصار أتعابه الشاقة ، من خلال ضغطة زر. بأقل من ثواني ، وهذا ما يرفضه الواعين ، بإدراكهم للخطر الكامن من وراء ذلك.

ولا أنكر هنا بأن الذكاء الاصطناعي له جانبه الإيجابي ، لمن يحسن استخدامه فيما يفيد ، لا أن تسلَّمه القرار ليقرر بدلًا عنك. ويدمر قدراتك على الإنتاج ، على التفكير ، واكتساب العديد من المهارات ، التي باستطاعة أن يقوم بها الذكاء الاصطناعي بدلًا عنك.

شوية شغف

د. إبراهيم طلحة

مقام المقال ومقال المقام

وفقًا لمقولة العرب المشهورة: «لكل مقام مقال» ، فإن الشاعر المتمكن – في اعتقادي – هو ذلك الذي يكتب القصيد بكل أشكاله وعلى مختلف الأصعدة والمستويات..

يكتب دواوينه بلغة شاعرية ، ويكتب للمناسبات بأسلوب النظم ، ويكتب الشعر التعليمي للطلاب ، ويكتب شعرًا مؤدلجًا لقضايا يؤمن بها ، وهكذا ، شريطة أن يحاول استحضار روحه الشاعرية في الأشكال المذكورة جميعها قدر الإمكان ، وبالتأكيد يظل ما يكتبه الشاعر بصورة عابرة أو مناسباتية غير ما يكتبه ليبقى ، مع ضرورة محاولة السداد والمقاربة لدى كتابة كل الأشكال.

ولمزيد بيان وتفصيل ، سأضرب بعض الأمثلة:

– لنفترض أن ابنك أو ابنتك طلب منك قصيدة للإذاعة المدرسية ، فلا يصلح أن تكتب له قصيدة فيها عبارات هكذا مثلًا:

افرنقع الناس يا ما افرنقع الناسُ

والناس يا ناس قالوا الناس أجناسُ!

– أو لنفترض أن أحد أصدقائك طلب منك قصيدة لعرسه ، فلا يصلح أن تجعلها حداثية (جدًا) ، وتكتب له على سبيل المثال: اعشوشب اليوم يخضورك أيها العريس المتربع على عرش أقحوان الشرنقة الواقعة في داخل المجال الانبهاري حيث يشرئب إليك عنق يعسوب العسل المنقى الذي تحتبس فيه أنفاس الساحل الزيزفوني وزبرجد الحنين المتلعثم في قلبين مفطورين!!

اكتب ما يناسب المقام ، ولا تتعالَ على كون المقام مناسباتيًّا ، فالحياة مناسبات ، ولكن حين تكتب كتاب شعر أو أدب تجاوز المناسبة إلى المناسب ، وتجاوز المناسب إلى الأنسب.

التراث الثقافي

تعد آثار اليمن ومخطوطاته التاريخية ذاكرة حية لواحدة من أقدم وأعظم الحضارات في جنوب شبه الجزيرة العربية. هذا الإرث ليس مجرد حطام صخري أو أوراق عتيقة، بل هو الشاهد الوحيد على أن «اليمن السعيد» قد ملأ الآفاق تجارةً وعمارةً وفكرًا.

يُمثل التراث الثقافي اليمني حلقة وصل في تاريخ الحضارة الإنسانية، فهو السجل الأمين لإنجازات الممالك العربية القديمة التي خطت بـ «قلم المسند» أمجادها من مأرب إلى ظفار. إلا أن هذا التراث يواجه اليوم تحديات وجودية غير مسبوقة؛ فبينما تتزين كبرى المتاحف العالمية والجامعات الدولية بآثار اليمن ومخطوطاته النادرة –التي باتت تمثل هوية اليمن في الخارج– يعاني الداخل اليمني من نزيف حاد في جسد تاريخه نتيجة الإهمال الممنهج والتدمير المباشر جراء الصراعات.

كما تكتسب المخطوطات التاريخية اليمنية أهمية استثنائية، فهي ليست مجرد نصوص دينية أو لغوية، بل هي خزائن معرفية توثق تطور الفكر البشري في العلوم، الفلك، والطب، وتعد حجر الزاوية في فهم الهوية اليمنية المتراكمة عبر العصور. إن القيمة المعنوية والمادية لهذا التراث الثقافي تفوق كل تقدير، غير أن استمرار موجات التهريب، وغياب الرقابة، وضعف الوعي المجتمعي، يضع هذا الإرث تحت مقصلة الضياع.

إن الحفاظ على ما تبقى من هذا الكنز هو معركة «وعي» قبل أن تكون معركة «ترميم»، فالحضارة التي تفقد شواهدها المكتوبة والأثرية تصبح جسدًا بلا ذاكرة، وعرضةً للنسيان في طيات الزمان.

إن حماية التراث اليمني ليست ترفًا فكريًا، بل هي ضرورة وطنية للحفاظ على الروابط التي تجمع اليمنيين بماضيهم ومستقبلهم. إن استمرار الصمت الدولي والمحلي تجاه هذا الدمار يعني ضياع فصول كاملة من تاريخ البشرية، وليس تاريخ اليمن فحسب.

ديوان القرية

منصة التواصل الاجتماعي، وحارس التراث

فايز الضبيبي - ريمة

في قلب المجتمعات اليمنية القديمة ، كان وما يزال ديوان القرية يمثل مؤسسة اجتماعية محورية ، تجسد تواصل الأجيال ، وتراكم الحكمة ، والتقاليد.

هذا الديوان ، الضارب بجذوره في التاريخ ، ظل مركزًا حيويًا يعزز من وحدة المجتمع ، ويعكس القيم الثقافية ، والدينية المتوارثة ، ومن خلال تسليط الضوء على هذه المؤسسة ، نستعرض كيف أسهمت دواوين القرى في حفظ التراث ، وتعزيز التكافل الاجتماعي.

ارتبط الديوان في الذاكرة اليمنية بثقافة المجالس التي شكلت إطارًا للتشاور ، والتداول في القضايا العامة ، وكما يشير كتاب (القصر ، والديوان) ، فقد عرفت المجتمعات القبلية في اليمن — مثل قبيلة حمير — مجالس جامعة لتوحيد المواقف ، وحل النزاعات ، وكانت فضاءً أساسيًا لصياغة التفاهمات بين مختلف الأفرع القبلية.

التكافل الاجتماعي، ومظاهر المشاركة الجماعية:

غالبًا ما ينشأ ديوان القرية بمبادرة من كبير القرية ، أو العشيرة الذي يتولى إدارته ، والحفاظ عليه ، فيما يسهم أبناء العشيرة بممتلكاتهم لدعم إقامة المجلس ، وصيانته ، لضمان استمراريته كمركز حيوي يلبي احتياجات القرية.

وفي المناسبات ، والاحتفالات ، يشارك الأهالي في توفير احتياجات الديوان ، معتبرين ذلك مسؤولية جماعية ، حيث يتعاونون في تقديم الطعام ، والشراب ، ووسائل الإضاءة للضيوف ، والزوار.

وفي مشهد بديع ، يتسابق أطفال القرية عند وصول الضيوف ، أو إقامة مناسبة ما ، حاملين على رؤوسهم أدوات الضيافة ، في صورة تعبر عن تفاعلهم ، وتفانيهم في خدمة المجتمع ، وتكتسب هذه المشاركة الجماعية أهمية كبيرة في بناء روح المجتمع ، وتعزيز التواصل بين أفراده.

مدرسة للتنشئة، وحل النزاعات

تعد دواوين القرى مراكز أساسية للتبادل الاجتماعي ، والتشاور ، حيث يجتمع الأهالي لمناقشة القضايا المحلية ، لتغدو حلقة وفاق ، وبوابة للتفاهم بين القرى المختلفة. ووفقًا للباحث في علم الاجتماع د. عبد الكريم غانم ، يسهم هذا التفاعل في تعزيز التعايش ، والسلام في إطار من الوسطية ، والاعتدال. فمن خلال هذه المجالس ، يعبر الأفراد عن وجهات نظرهم بهدوء ، واستفاضة ، ما يعزز ثقافة الحوار ، والتفاهم.

كما يؤكد د. غانم على أن هذه الدواوين تسهم في تشكيل قيم ، ومبادئ مشتركة بين الأجيال ، حيث يستفيد الشباب من خبرات الكبار ، وتوجيهاتهم. فهي مدرسة للتنشئة الاجتماعية يتعلم فيها الأفراد أساليب التعامل ، والتصرف السليم في المواقف الاجتماعية ، والسياسية. ويرى الباحث أن إحياء تلك الدواوين ، وبناء أخرى جديدة بطرز زخرفية جميلة ، يعكس التراث الثقافي اليمني بأناقة.

إحياء، وإبراز التراث الثقافي، والديني

تنوعت أشكال الدواوين ، وأنماطها بحسب المناطق ، إذ بني بعضها من الحجر ، والطين ، واللبن ، وأبرزت زخارفها روعة الفنون الشعبية. وتعكس أحجامها ، وأدوارها مكانة القبيلة ، أو القرية ، إذ يمثل كل ديوان فضاءً للحفاظ على التقاليد ، والعادات.

وعبر تاريخ القرى ، والقبائل ، لعبت المجالس العامة أدوارًا بارزة في التعليم ، والثقافة ، والشؤون الدينية ، والاقتصادية ، والسياسية.

ويؤكد الشاعر محمد إسماعيل الأبارة أن تاريخ الديوان يرسخ قيم الانتماء ، والترابط الاجتماعي ، ويعزز الوحدة اليمنية في إطار ثقافي ، وديني.

كما يشير الأبارة إلى أن دواوين القرى أسهمت في إبراز التراث الثقافي ، والديني من خلال الرقصات ، والزوامل ، والأناشيد المرتبطة بالمناسبات المجتمعية ، إضافة إلى إحياء ليلة النصف من شعبان ، وغيرها من المناسبات الدينية ، ما يعزز التواصل بين الأجيال ، ويجسد الذاكرة الثقافية للقرية.

نموذج حي: ديوان الحنسة في ريمة

في منطقة بني الضبيبي بمحافظة ريمة ، يبرز (ديوان الحنسة) كتحفة تاريخية يعود عمره إلى أكثر من-200-عام ، ولا يزال يؤدي دوره بفضل تمسك الأسرة به جيلًا بعد جيل. يعد هذا الديوان مكانًا مفتوحًا لاستقبال الضيوف ، وعابري السبيل ، وإقامة المناسبات العائلية ، والدينية ، واللقاءات العامة.

ويوضح هائل علي الصغير الحنسة ، أحد القائمين على المجلس ، أن الحفاظ على هذا المكان يمثل مسؤولية تاريخ ، وسائر المناسبات ،

ويضيف أن المجلس يستقبل الضيوف في منطقة نائية لا تتوفر فيها قاعات ، أو فنادق ، ما يجعله ملاذًا مهمًا لأبناء القرية ، وضيوفها. كما يؤكد أنهم يواصلون التزامهم بتقاليد الأجداد ، حيث يحيون في الديوان بعض المناسبات الدينية ، ويتجمعون في ليالي رمضان لذكر الله ، وقراءة القرآن من مصحف قديم مكتوب بخط اليد يتكون من 15 مجلدًا ، ويُعد فريدًا من نوعه في القرية ، إضافة إلى إحياء ليلة النصف من شعبان.

المنازل الصوفية في تهامة: روحانية، وتكافل

تعد المنزلة في تهامة إحدى أبرز الظواهر الصوفية التي جمعت بين البعد الديني ، والدور الاجتماعي. وقد أطلق عليها هذا الاسم لأنها كانت مأوى للمسافرين ، وطلبة العلم ، لكنها تحولت إلى فضاءات روحانية ، ومجتمعية أساسية ، يجتمع فيها الناس للعبادة ، والتكافل ، وحل القضايا العامة.

وتبرز مدينة بيت الفقيه التاريخية نموذجًا لهذه الظاهرة ، إذ نشأت منازلها الصوفية على يد العلامة (أحمد بن موسى العجيل 608–690ه) وقد حافظت أسر علمية ، وصوفية عريقة ، مثل آل العيدروس ، والعطاس ، وبني رزق ، والدباش ، على استمراريتها ، فجعلوا منها مراكز دينية تحتضن الموالد ، والشعبانية ، وختم القرآن ، وقراءة صحيح البخاري بعد عيد عرفة ، إضافة إلى دورها الاجتماعي في حل الخلافات ، ولمّ الشمل.

ومن أبرز النماذج الحية ، وثقه المؤرخ ، والشاعر (علوان الجيلاني) عن منزلة منصب الحدادية ، في مديرية المغلاف ، المرتبطة بالولي (الجيلان بن إبراهيم عابد) المتوفى(1418هـ) ، حيث حافظت على ما يعرف بـ(الراتب الرمضاني) ، تلاوة عشرة أجزاء من القرآن كل ليلة ، وختمه كل ثلاث ليال يعقبها دعاء أبي حربه ، ثم الاستمرار طوال العام بقراءة جزأين يوميًا.

كما تقام فيها شعائر مثل قراءة المولد ، والاحتفاء بالشعبانية ، وإحياء العيدين بالتواشيح ، والمدائح ، إلى جانب عادة الحرف ، والتهليلة الفريدة ، حيث تبدأ التلاوة في الجامع ثم تخرج بزفة جماعية إلى المنزلة ، وتُقرأ الفاتحة ويُهدى ثوابها للأرواح.

الزوايا الحضرمية: مدارس الروح، والجسد

الزاوية في أصلها اللغوي تعني المكان المنزوي ، أي الموضع الذي يختلي فيه الإنسان بعيدًا عن صخب الحياة. أما اصطلاحًا ، فقد غدت مؤسسة صوفية دينية ، واجتماعية ، تجمع المريدين حول شيخ الطريقة ، وتؤدي أدوارًا متعددة تبدأ من التعليم ، وتنتهي بالضيافة ، وخدمة المجتمع.

وفي حضرموت ، ولا سيما في تريم ، وسيئون ، تميزت الزوايا بخصوصيتها الفريدة ، إذ غدت مدارس متكاملة تجمع بين تربية الروح ، والجسد. فيها تلقى الطلاب علوم القرآن ، والفقه ، وخضعوا للتربية الصوفية القائمة على الذكر ، والمجاهدة. كما مثلت ملاذًا للفقراء ، والغرباء ، وفضاءً للضيافة ، والتواصل الاجتماعي.

وتوارثت الأسر العلمية ، والطرق الصوفية عبر الأجيال طقوسًا ثابتة في هذه الزوايا ، مثل قراءة صحيح البخاري في مواسم محددة ، وإحياء المولد النبوي ، وإقامة الحضرات الأسبوعية التي يردد فيها الذكر ، والمدائح.

وهكذا غدت الزوايا الحضرمية ذاكرة جمعية ، ورمزًا لهوية المجتمع ، ووسيطًا لحفظ التقاليد ، ونقلها عبر الأجيال.

الديوان في صنعاء: من الضيافة إلى الفكر، والأدب

في صنعاء القديمة ظلت المجالس العامة ، أو ما يعرف بـ(الديوان) أو (المضافة) ، مؤسسة اجتماعية ، وثقافية متجذرة. لم تكن مجرد فضاءات للضيافة ، وحل الخلافات القبلية ، والاجتماعية ، بل تطورت لتصبح منصات للنقاشات الأدبية ، والفكرية ، ومجالس للمدائح ، والإنشاد الديني في مختلف المناسبات.

لقد لعبت هذه الدواوين دورًا مهمًا في صياغة الذاكرة الجمعية للعاصمة ، إذ شكلت ساحات لتبادل الرأي ، والحوار ، ومنابر للتعبير الروحي ، فضلًا عن كونها فضاءات للتضامن ، ولم الشمل ، وهكذا غدت المجالس الصنعانية عنصرًا جوهريًا من هوية المدينة الثقافية ، والدينية.

أدوار، وخصائص مختلفة

تختلف وظيفة ديوان القرية من منطقة يمنية إلى أخرى ، لكنها تزداد أهمية في المجتمعات الأكثر ارتباطًا بالقبيلة ، ويشير (د. عبد الكريم غانم) إلى فعالية ديوان القرية في صعفان — حراز بمحافظة صنعاء ، حيث كان يعمل معلمًا ، فيروي أن الأهالي كانوا يتجمعون فيه بعد تناول الغداء ، حاملين قاتهم ، ليقضوا أوقاتًا في النقاش ، والتداول ، في ديوان يضم دكة مرتفعة لكبار السن ، ووجهاء القرية ، وللضيوف من خارجها.

ويضيف غانم أن هذا الديوان كان يتناول القضايا المهمة ، والنزاعات سعيًا لحلها ، ما يعكس دوره الكبير في بناء السلام. لكنه يشير أيضًا إلى ضعف حضور هذه المجالس في بعض المناطق ، والجامعات — محلها في معالجة القضايا.

ومع ذلك ، يظل لديوان القرية حضور فاعل في المناطق المرتبطة بالقبيلة ، حتى مع انتقال أبنائها إلى المدن.

خاتمة

تمثل دواوين القرى في اليمن إحدى أكثر جوانب التراث الاجتماعي تأثيرًا في تشكيل الروابط الاجتماعية ، والحفاظ على العادات ، والتقاليد. ورغم تحديات الحداثة ، يبقى ديوان القرية حجر الزاوية للتواصل بين الأجيال ، وضمان استمرار روح التعاون ، والوحدة ، وتقديم الحلول للمشكلات ، وتعزيز السلام الاجتماعي.

المراجع، والمصادر

- كتاب القصر والديوان — د. عادل الشرجبي ، وآخرون.
- د. عبدالكريم غانم — باحث في علم الاجتماع السياسي ، المركز اليمني للدراسات ، والبحوث.
- محمد إسماعيل الأبارة — شاعر ، وأديب يمني.
- إفادات هائل علي الصغير الحنسة -بني الضبيبي — ريمة.
- علوان الجيلاني — مؤرخ ، وشاعر تهامي.

جامع وقصر السيدة أروى بنت أحمد الصليحي

بين فنون البناء وغنى الزخارف وبين الإهمال والترميمات العشوائية

440 / 1048م - 532 هـ / 1137م

عبد الملك الجرادي

السيدة أروى بنت أحمد الصليحي قيل فيها

أنتم بنو الأصلوح جوهر يعرب وسواكم أصدافه وبحارها
ولأنت يابنة أحمد تنميك من تلك اللآلىء الفاتنات كبارها
أنقذت من يم الظلالة أهلها كانت بها طام بها تبارها

وقيل عنها

وما التأنيث لاسم الشمس فيها ولا التذكير فخر للهلال
ولو أن النساء كمن عرفنا لفضلت النساء على الرجال

هي أروى بنت أحمد الصليحي ، ولدت سنة 440هـ / 1048م الملقبة (الملكة الحرة وبلقيس الصغرى) وأبوها أحمد بن محمد الصليحي الذي بعث مع وفد يمني إلى الخلفية الفاطمي المستنصر بالله يستأذنه بإظهار الدعوة الإسماعيلية في اليمن بعد استيلائه على حصن مسار ، وكان واليًا عدن ومات فيها كما يروي التاريخ وكانت ابنته أروى في ذلك الوقت طفلة ، وأمها الردح بنت الفارع بن موسى الصليحي.

بدأت أعمالها السياسية في عهد زوجها الملك أحمد بن علي الصليحي الملقب (المكرم) كان مكان حكمه في صنعاء ، إلا أنها رأت أن تكون لها عاصمة بدلًا من صنعاء ، فسارت بحيش للاستطلاع ارتادت على (ذي جبلة) بمخلاف جعفر ، واختط المدينة عبدالله بن محمد الصليحي سنة 457 هـ / 1074م بأمر من اخيه الملك علي بن محمد الصليحي ، ومن بينها قصرها وجامعها.

وعند وفاته سنة 477هـ /1074م تحملت أعباء الحكم بتفويض من الخليفة الفاطمي ، وتصرفت بأمور الدولة والدعوة الإسماعيلية في اليمن وعمان والهند.

جامع الملكة أروى

تم تشييده عندما كانت في صنعاء في الأساس قصرًا وكان يسمى دار العز ، وعندما انتقلت من صنعاء إلى العاصمة الجديدة ذي جبلة ، أمرت بتحويل القصر إلى مسجد جامع للمدينة ، وكان هناك مسجد آخر.

يقع الجامع بوسط المدينة على تلة مرتفعة ، ويتكون تخطيطه من بناء مستطيل الشكل يتكون من بيت الصلاة (به قبر وتابوت السيدة في الزاوية الشمالية الغربية) ، وفناء مكشوف محاط بأربعة أروقة أهمها وأكبرها الرواق الشمالي الذي يفصل بين الفناء وبيت الصلاة في الجهة الشمالية.

وللجامع مئذنتان قواعدهما من الحجر وأعلاها من الآجر ، الأولى في الزاوية الجنوبية الغربية بينما الأخرى في الزاوية الجنوبية الشرقية ، وللجامع عدد من المداخل منها ثلاثة بالجهة الشرقية ، ومدخل من الجهة الغربية ومدخل من الجهة الشمالية ومدخلان من الواجهة الجنوبية (بعض المداخل نقوش على العتب)

الوصف: يتكون الجامع من أربعة أروقة وأهمها وأكبرها بيت الصلاة

الزخارف والنقوش:

جامع السيدة أروى في جبلة يتميز بزخارف إسلامية تاريخية تعكس الطراز المعماري الفاطمي-الصليحي الذي كان سائدًا في اليمن خلال القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). إليك أبرز عناصره الزخرفية:

1. الزخارف الجصية:
- التوريقان النباتية: أشكال متداخلة من أوراق العنب والكروم
- الكتابات الكوفية: آيات قرآنية وأدعية منقوشة بخط كوفي مزهر
- الأشكال الهندسية: نجمة ثمانية ودوائر متداخلة
2. العناصر المعمارية المزخرفة:
- العقود المفصصة: أقواس مزينة بزخارف جصية
- تيجان الأعمدة: تيجان أعمدة منحوتة بنقوش نباتية
- المحراب: إطار مزخرف بزخارف نباتية وهندسية متداخلة
3. المواد المستخدمة:
- الجص المنقوش
- الحجر المنحوت
- الأخشاب المزخرفة (في السقف والأبواب التاريخية)
4. السمات الفنية:
- التكرار التناظري: استخدام نمط متكرر في الزخارف
- التوازن البصري: توزيع متناسق للعناصر الزخرفية
-البساطة: بعيدًا عن المبالغة في التذهيب

للأسف العديد من الزخارف الأصلية تعرضت للتلف عبر القرون ، لكن بعضها لا يزال مرئيًا في أجزاء من الجامع ، خاصة حول المحراب وفي الواجهات الداخلية. هذه الزخارف تمثل ذروة الفن الإسلامي في اليمن خلال العصر الصليحي.

الملاحظات للجامع وقصر الملكة السيدة أروى بنت أحمد الصليحي

أعمال الترميم العشوائي للمواقع الأثرية (مثل جامع السيدة أروى وقصرها في ذي جبلة) يتطلب منهجية واضحة وموثقة ، خاصة عند التوجه للجهات المعنية.

- الانتهاكات الواضحة:
- استخدام مواد غير أصيلة أعمدة (إسمنت) وبناء مادة إسمنتية (بلك) في وسط فناء القصر كما يظهر في الصورة المرفقة
- تشويه الزخارف الأصلية بأعمال عشوائية باستخدام مادة طلاء بما يسمى مادة النورة مما ساعد إخفاء الزخارف الجدارية وتشويه زخارف المصدقات الخشبية كما هو واضح بالصورة.
- إضافة عناصر غير تاريخية باستحداث ردم المداخل واستخدام نوافذ حديثة وأبواب حديثة (حديد) مغايرة للنمط المعماري .

2. الجهات المعنية المستهدفة:
- السلطة المحلية وعلى رأسها محافظ المحافظة والجهة المعنية كما تتحمل الجهات الأمنية بمنع هذه الأعمال المشوهة بتراثنا المعماري وتاريخ بلدنا الحضاري:
- الهيئة العامة للآثار والمتاحف (فرع إب)
- الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية
- المجلس المحلي بالمحافظة والمديرية
- المنظمات الدولية:
- منظمة اليونسكو (إذا كان الموقع مسجلًا كتراث عالمي)
- منظمة الإيسيسكو (للتراث الإسلامي)
3. من أهم الاستخدامات العشوائية

تم استبدال الجص الأثري بمواد إسمنتية ومواد أخرى غير متوافقة مع القواعد الأثرية (طبقًا للمادة ٧ من قانون الآثار اليمني)"
- استنادًا إلى قانون الهيئة العامة للحفاظ على المدن التاريخية (طبقًا لقانون الهيئة المادة 5, 45, 46, 47)
- الاستناد إلى معايير الترميم الدولية (ميثاق البندقية 1964)
- القوانين المحلية (قانون الآثار اليمني رقم ٤١ لسنة 1998)

. قنوات تقديم النقد:
- إعلاميًا:
(أنقذوا_تراث_جبلة)

- مقترح

"نقترح تشكيل لجنة من خبراء الآثار من جامعة إب والمختصين في العمارة الإسلامية" وهيئة الآثار والمتاحف وهيئة المدن التاريخية وصندوق التراث والتنمية الثقافية الاطلاع على قصر الملكة وجامعها والمدينة ورفع بما يتناسب بحفظ معالمها التاريخية
- التوعية:
- ورش عمل لأهالي جبلة عن أهمية الحفاظ على الطابع الأصلي

مراجع

معجم القبائل اليمنية إبراهيم أحمد المقحفي ج1 ص 917 دار الكلمة
نساء حكمن اليمن عفت وصال حمزة دار بن حزم
الموسوعة اليمنية مؤسسة العفيف
عالم المعرفة المساجد تاليف د/ حسين مؤنس

قبة وضريح عرّاف في وصاب... معلم أثري يطاله الخراب

محمد جمال الطياري

في أقصى قمم وصاب العالي بمحافظة ذمار، حيث تتعانق الجبال مع السحاب وتتشكل الطبيعة كلوحة معلقة بين الأرض والسماء، تقف قبة عرّاف؛ ذلك المعلم التاريخي الذي ظل لقرون رمزًا للعطاء العلمي والفن المعماري الإسلامي، قبل أن تتحول اليوم إلى شاهد صامت على ما يمكن أن يفعله الإهمال بمعلم أثري في غاية الندرة والجمال.

على بُعد 21 كيلومترًا شمال شرقي مركز مديرية وصاب العالي، تتربع القبة في عزلة عرّاف، محاطة ببيئة جبلية ساحرة لطالما أثارت دهشة كل من تطلع إليها. ورغم أن القبة شُيّدت قبل نحو سبعة قرون ونصف على يد الشيخ علي عبدالملك عرّاف، الذي قدم إلى المنطقة كشيخ علم، فإن ما تبقى منها اليوم يوحي بتاريخ أطول بكثير، فقد ظلت عبر عصور طويلة مركزًا دينيًا وعلميًا، ومسجدًا ومزارًا ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، لكنها الآن، بكل ما تحمل من إرث وروح، تبدو أقرب إلى أن تكون أثرًا منسيًا لم يعد يلتفت إليه أحد.

وقد أظهرت زيارتنا للموقع حجم الإهمال الذي طال القبة، إذ لم نتمكن من الدخول إليها بسبب ضياع المفتاح، كما أفاد السكان المجاورون، كان الباب الخشبي مغلقًا بإحكام، والنوافذ مسدودة بالطوب والأحجار، في محاولة بدائية لحمايتها من اللصوص. هذا المشهد وحده كان كافيًا ليكشف قسوة الإهمال الذي يطارد هذا المعلم، حتى بات الدخول إليه أمرًا معلقًا على صدفة، أو على مفتاح لا يعرف أحد مكانه.

وتقوم القبة على قاعدة مربعة يبلغ ضلعها 9.20 مترًا، تنتهي بشرفة يعلوها مثمن قصير يرتكز على رقبة أسطوانية مزينة بالمقرنصات، وتنتهي بقبة دائرية ترتفع في تناسق هندسي بديع، ويُفتح للمبنى بابان: شرقي يعلوه عقد دائري، وجنوبي يعلوه عقد هلالي مفصص، إضافة إلى نوافذ تعلوها عقود ثلاثية الفصوص وإطارات زخرفية من الحجارة السوداء الصغيرة، أما واجهات القبة فتمتزج فيها العناصر الهندسية الدقيقة مع النجوم المثمنة والدوائر المفصصة والزخارف النباتية، ما يجعل من المبنى تحفة معمارية فريدة في اليمن.

غير أن هذا الجمال لم يعد كما كان، فقد تعرضت أجزاء واسعة من القبة لنهب منظم خلال السنوات الماضية، إذ اختفت كثير من الزخارف الخشبية، واعتُدي على أربعة أضرحة كانت تعلو بعض القبور، كما نُهبت أجزاء من الأشرطة النباتية والزخارف الكتابية المنفذة على الخشب بطريقة الحفر الغائر، بل إن بعض القبور نُبشت ظنًا بوجود كنوز فيها، بحسب السكان، في مشهد يعكس غيابًا تامًا للجهات المختصة عن حماية المعلم.

ويحتضن الجدار الشمالي للمبنى خزانتين كانتا تستخدمان لحفظ المصاحف، يفصل بينهما محرابٌ بالغ الروعة، يتكون من تجويف معقود بعقد مدبب تعلوه حلية زخرفية بارزة، ويتوجه عقد مفصص بسبعة فصوص، ويزخرف الجزء العلوي من الحنية شريط من الزخارف الجصية والنباتية والكتابية، بينما تتزين الطاقية بآيات قرآنية بخط الثلث المركب، أبرزها عبارة «الملك لله»، وسور من القرآن الكريم بينها الإخلاص والملك والفتح، وتتوزع حولها زخارف هندسية دقيقة تدل على مَهارة صانعيها.

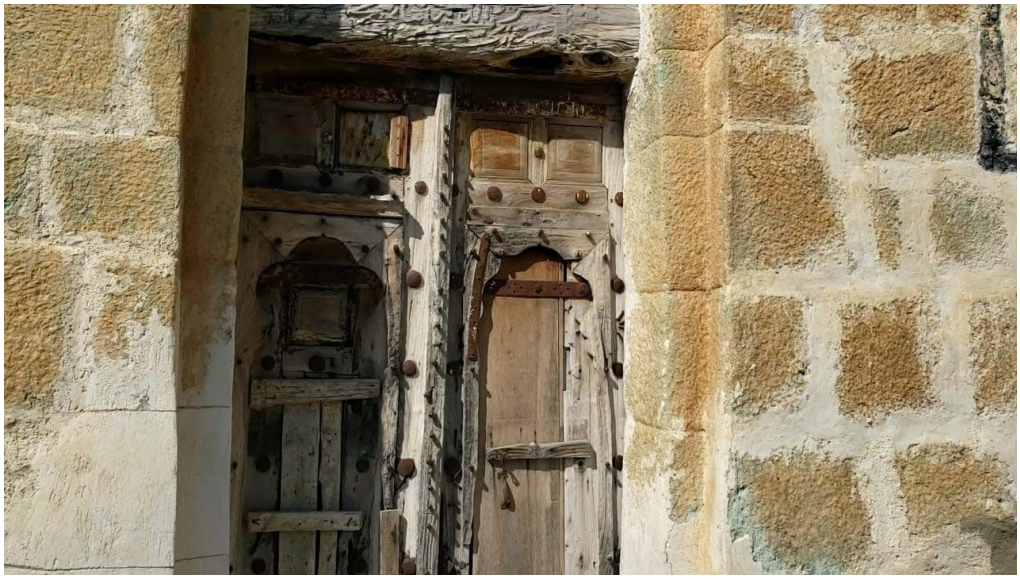

ومما يميز القبة داخليًا وجود عشرة قبور ، أربعة كانت تتوجها أضرحة خشبية تآكل معظمها أو نُهب ، وما تبقى منها اليوم شظايا تحمل ملامح الحفر الغائر الذي تم به تنفيذ زخارفها ، وعلى الجدران والحنية ورقبة القبة تتوزع مقرنصات وترسيات وزخارف نباتية ذات طابع فني فريد ، إضافة إلى نوافذ صغيرة مصمتة تعلوها كتابات قرآنية ، وشرفات تأخذ هيئة أوراق نباتية ، فيما تتوسط القبة من الداخل آيات قرآنية تحيط بها ثمان جامات موزعة بمهارة بصرية متوازنة.

كل هذا الإرث الهندسي والفني ، ورغم ما يرويه من عمق التاريخ الإسلامي في المنطقة ، يقف اليوم على حافة الانهيار؛ فغياب الترميم ، وغياب السياج ، وإغلاق الأبواب عشوائيًا ، وضياع مفتاح الدخول ، كلها علامات على معلم كان يومًا من أعظم ما شيّد في وصاب ، وأصبح الآن رهينة النسيان.

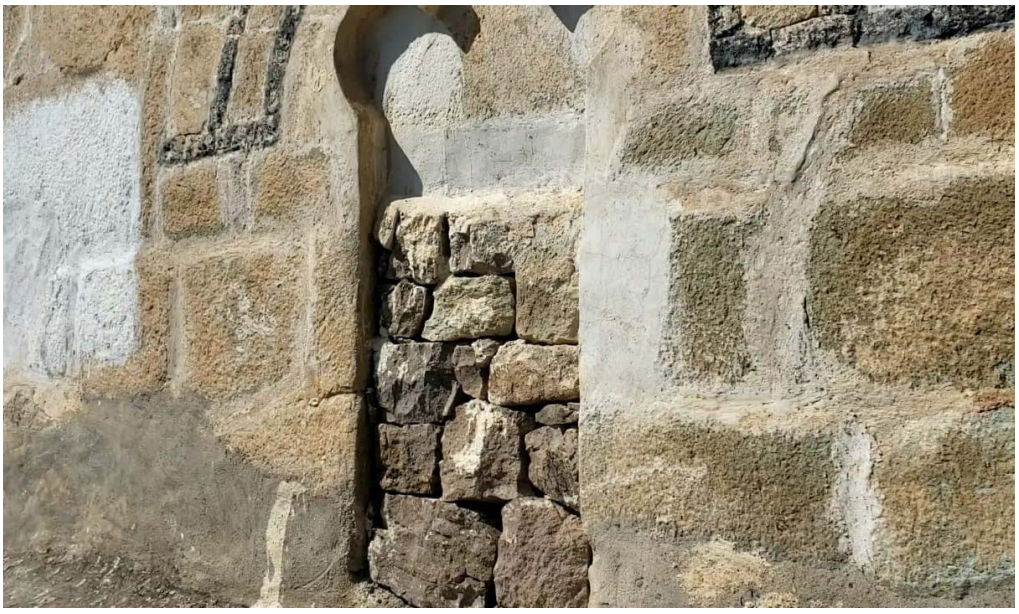

قبة عرّاف مبنى أثري وذاكرة حية لمرحلة ازدهار في الفن الإسلامي اليمني ، غير أن ما تتعرض له من خراب ، من تآكل الزخارف ، وتهدم الأضرحة ، وانقطاع الزيارات ، وغياب أي حضور رسمي ، يجعلها أقرب إلى النداء الأخير لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. فالخراب الذي طالها ليس وليد اللحظة ، بل نتيجة تراكمات استمرت سنوات طويلة ، حتى باتت القبة اليوم مهددة بأن تفقد ما تبقى من روحها وجمالها.

ويبقى السؤال: كيف لمعْلم يحمل كل هذا التاريخ وهذه القيمة أنْ يظل مهجورًا حتى تضيع مفاتيحه؟ وكيف يمكن لمكان بهذه الأهمية أن يُترك فريسة للوقت والخراب؟ أسئلة لا تجد لها جوابًا في وصاب ، ولكنها تنتظر من يسمع صوت هذا الأثر العريق قبل أن يغيب تمامًا.

مؤسسات المجتمع المدني خط الدفاع الأول لحماية الآثار اليمنية من التهريب والعبث

د/ منى المحاقري

تمتلك اليمن كنوزًا أثريةً وتاريخيةً تروي قصص حضارات عظيمة مثل سبأ وحمير ومعين وقتبان. هذه الآثار ليست مجرد حجارة منقوشة ، بل هي هوية الأمة وشاهد على عراقتها وإرثها الإنساني المشترك.
إلا أن هذه الثروة تواجه تحديات جسيمة في ظل الظروف الراهنة ، حيث تتعرض للنهب والتهريب المنظم والعبث الجائر. وهنا يبرز دور مؤسسات المجتمع المدني كفاعل حاسم في حماية هذا الإرث الثمين.

أشكال التهديد التي تواجه الآثار اليمنية:

1- النهب والتنقيب غير المشروع: استغلال حالة عدم الاستقرار للبحث عن الآثار وبيعها في السوق السوداء.
2- التهريب عبر الحدود:
نقل القطع الأثرية المسروقة إلى خارج اليمن لبيعها في أسواق عالمية.
3- العبث والتخريب: تعرض المواقع الأثرية للتخريب المتعمد أو الإهمال أو الاستخدام غير الملائم.
4-الضرر الناتج عن النزاع: عرض المواقع الأثرية للقصف أو الدمار أثناء العمليات العسكرية للعدوان.
5- ضعف الرقابة الحكومية: محدودية قدرة المؤسسات الرسمية على حماية جميع المواقع في ظل الظروف الصعبة.

أدوار مؤسسات المجتمع المدني الحيوية:

1- الرصد والتوثيق:

إنشاء قواعد بيانات شاملة للمواقع والقطع الأثرية المعرضة للخطر.
توثيق حالات النهب والتهريب ، والتخريب بالصور ،والفيديو والشهادات.
مراقبة المواقع الأثرية النائية أو المهمشة بالتنسيق مع المجتمعات المحلية.

2-التوعية والتحسيس:

تنظيم حملات وندوات توعوية في المدارس والجامعات والمساجد والأماكن العامة حول قيمة الآثار وأهمية الحفاظ عليها كجزء من الهوية الوطنية والتراث الإنساني.
توضيح الآثار السلبية للنهب والتهريب (ضياع الهوية ، تمويل النزاع أحيانًا)
إبراز الجوانب القانونية والعقوبات المترتبة على العبث بالآثار.

3- التشبيك والدعوة:

بناء جسور التعاون والتنسيق مع الجهات الحكومية المختصة (الهيئة العامة للآثار والمتاحف) لدعم جهودها.
التواصل مع المنظمات الدولية المعنية بالتراث الثقافي (اليونسكو ، الإيكروم ، الإنتربول) لتقديم التقارير والاستفادة من الخبرات والدعم.
الضغط على السلطات المحلية والوطنية لتعزيز التشريعات وتوفير الموارد اللازمة للحماية.
الدعوة المجتمعية لحماية المواقع الأثرية واعتبارها جزءًا لا يتجزأ من المتلكات العامة.

4- دعم المجتمعات المحلية:

تمكين المجتمعات المحلية المجاورة للمواقع الأثرية. وتوعيتها بأهمية حماية هذه المواقع كمصدر للفخر والهوية والتنمية السياحية المستقبلية.
- المساهمة في خلق بدائل اقتصادية لأفراد قد يلجؤون للتنقيب غير المشروع بدافع الفقر.
- تشكيل لجان محلية لحماية الآثار تعمل كعيون على الأرض.

5- المساهمة في الطوارىء والإنقاذ:

- تقديم المساعدة الأولية في توثيق الأضرار الطارئة على المواقع الأثرية جراء النزاع أو الكوارث الطبيعية.
- المساهمة في جهود الترميم الطارئة (إن أمكن) بالتنسيق مع المختصين.
- المساعدة في نقل القطع القابلة للنقل إلى أماكن أكثر أمانًا.

6- المساعدة على استعادة القطع المهربة:

توفير المعلومات والوثائق اللازمة للسلطات والمنظمات الدولية لتتبع القطع المهربة والمطالبة باستعادتها.

أبرز التحديات التي تواجهها مؤسسات المجتمع المدني: الوضع الأمني المتدهور يعيق الوصول إلى المواقع ويشكل خطرًا على العاملين. نقص التمويل يحد من قدرتها على تنفيذ برامج الرصد والتوعية والحماية الافتقار إلى الخبرات المتخصصة: خاصة في مجال التوثيق العلمي والترميم.
الضغوط السياسية والاجتماعية في بعض المناطق.
صعوبة التنسيق-أحيانًا -مع الجهات الرسمية أو بين المؤسسات

في خضم الظروف الاستثنائية التي تمر بها اليمن ، تتحول مؤسسات المجتمع المدني من منظمات داعمة إلى خط دفاع أول أساسي عن الإرث الحضاري اليمني. إن دورها في الرصد ، والتوعية ، والتشبيك ، وتمكين المجتمعات المحلية ، والدعوة ، لا يقدر بثمن. إن حماية الآثار اليمنية ليست ترفًا ثقافيًا ، بل هي حماية للذاكرة الجمعية ولأحد أهم مقومات الهوية الوطنية ولبناء مستقبل يستند إلى جذور راسخة. دعم هذه المؤسسات وتمكينها وتعزيز تعاونها مع الجهات المحلية والدولية هو استثمار في مستقبل اليمن وإسهام في الحفاظ على تراث إنساني لا يعوض. إن القطع الأثرية المسروقة اليوم هي صفحات ممزقة من كتاب تاريخ الأمة ، وعلى عاتق المجتمع المدني والمجتمع الدولي يقع واجب استعادتها وحماية ما تبقى.

هامش

★ رئيسة مؤسسة شهرزاد الثقافية
★ ورقة عمل قدمت ضمن ندوة نظمتها مؤسسة شهرزاد الثقافية بالشراكة مع الهيئة العامة للمتاحف وبتمويل من صندوق التراث والتنمية الثقافية

العبث غير المـشروع بالممتلكات التراثية
التحديات والتهديدات

غيلان حمود غيلان

مما لا ريب فيه أن اليمن تعاني كغيرها من الدول العربية والإسلامية من التعديات على المواقع الأثرية والاتجار غير المشروع والعبث بالممتلكات التراثية ، وما يزيد من هذه المعاناة ارتفاع معدلات الأمية في المحافظات الغنية بالمواقع الأثرية ، وليس ذلك فحسب ، بل إنّ وسائلهم في نبش المواقع الأثرية تتطوّر وتتغيّر بين الحين والآخر.

لقد أدت هذه الظاهرة إلى تصاعد كبير في عمليات الحفر العشوائي (النبش) ، وبالتالي لحق بالمواقع الأثرية من جرائه أضرارا كبيرة ، وإذا لم يتم إيقاف هذا التدمير والاستنزاف ، قد لا يبقى لعلماء الآثار في المستقبل القريب سوى ركام ومواقع مدمرة.

(تشير الإحصائيات المتوفرة لدى الهيئة العامة للآثار والمتاحف إلى ارتفاع متزايد في عدد المواقع الأثرية التي تعرضت للنبش والتدمير ابتداء من 2011م حتى الآن)

(صحيفة الثورة الصادرة يوم الاثنين, 04- مارس2013-م نشرت خبرا كجرس إنذار ومنشور في الثورة نت يقول الخبر: ضبطت الأجهزة الأمنية ووحدة مكافحة تهريب الآثار1500قطعة أثرية بمطار صنعاء الدولي كانت في طريقها للتهريب خارج البلاد ، على يد يمنيين وعرب وأجانب)

ماذا قدمنا

- لا يوجد أي إعلان تحث الناس على حفظ هذا الإرث
- لم نقم بأي تحرك جاد لحماية المواقع الأثرية
- لا توجد أي توعية من المؤسسات الدينية لتحريم العبث أونبش المواقع الأثرية.
- لم ترفع قضية لمحاكمة من قاموا بتدمير المناطق الأثرية.

ونتيجة لذلك زادت موجات سرقة ونبش ونهب وتهريب الآثار

إن تعرض المواقع الأثرية المفتوحة إلى عملية النبش والنهب بازدياد مطرد ، خاصة استخدام التكنولوجيا الحديثة التي سهلت عمليات نبش المواقع الأثرية

آليات ووسائل الحد من العبث غير المشروع بالممتلكات التراثية

حثت الهيئة العامة للآثار والمتاحف اليمنية على سرعة تسجيل المواقع الأثرية وتسويرها ، وبذل الجهود لتوثيق المقتنيات المتحفية باستخدام نظم المعلومات الحديثة.

العمل على إنشاء تحالف وطني خاص بمكافحة الاتجار غير المشروع بالممتلكات التراثية ، وحماية المواقع الأثرية ، يضم أعضاء من جميع محافظات الجمهورية اليمنية ، ومطالبة علماء الآثار ومنظمات المجتمع المدني والمجالس المحلية بالمساهمة الفعالة في هذا التحالف.

القضاء على القيم الاتكالية لدى المواطن وتقاعسه عن أداء واجبه ، من خلال تعزيز الوعي لديه ، وتعريفه بأهمية الممتلكات التراثية ، وغرس سلوكيات وقيم تشعره بمسؤوليته تجاه المواقع الأثرية.

تفعيل دور المؤسسات التربوية والتعليمية بجميع مراحلها بهدف إيجاد منظومة قيم جديدة تؤكد على أهمية الحفاظ على المواقع الأثرية.

تدريب حراس وتأهيلهم مع تزويدهم بأجهزة مراقبة لحماية المواقع من السرقة والعبث.

بناء القدرات من خلال تدريب المعنيين في مختلف الجهات المسؤولة عن التراث الثقافي.

التأكيد على أهمية مراجعة القوانين الوطنية المعمول بها والخاصة بالتراث الثقافي والآثار.

مطالبة الأجهزة الأمنية بمتابعة أكثر فعالية لهذه الظاهرة ، وبذل مزيد من الجهد للسيطرة النهائية عليها.

وختامًا لابد للجميع من تحمل مسؤوليته في حماية التراث الحضاري والأثري.

•ورقة قدمت في ندوة عن تهريب الآثار-أقامتها مؤسسة شهرزاد بالتعاون مع صندوق التراث والتنمية الثقافية

الوسيلة الوصابية ...
أسلوب بديع في مناجاة الله وطرق أبواب سماواته

علوان الجيلاني

صفي الدين أحمد بن أحمد الرحمن الحبيشي الوصابي ، صاحب (الوسيلة الوصابية) أحد أعلام القرن الثامن الهجري (القرن الرابع الميلادي) ، وهو أحد مفاخر اليمن عامةً ، ومن أهم مفاخر وصاب خاصة ، برز في علوم الفقه وعلوم النحو واللغة ، وجمع بين صحة النظر وقوّة التدقيق ، واشتهر بالفصاحة وحلاوة المنطق ، وقد انضافت تلك السمات إلى جمال الخِلقة والنباهة وحسن الخلق ولين العريكة ، وهي سمات أهلته ليكون من قضاة اليمن الذين تقوم بهم حياة الناس ، بل أهّلته ليكون في الصفّ الأول من عظماء زمانه ، وجميع ذلك وغيره مما ذكره المؤرخون وكتاب التراجم عنه تُعرب عنه مؤلفاته ، فهي دليل علمه ، وخلاصة معارفه ، وقرينة اشتغالاته؛ وما كان يعتلج في نفسه ، إذ هي تضع بين أيدينا صورة نموذجيّة لما رسّخته ذهنية وقته ، فهو عالم وفقيه وأديب وصوفي ، نتبين عقل العالم المدقق من عناوين مؤلفاته (أحكام الحكام) ، (الناصرة للحق والإسلام) ، (منهج الحق والتوفيق والرد على من حاد عن الطريق) و(التعريف في بيان أحكام التأليف). ونتبين منحى الفقيه الصوفي الزاهد من عناوين مؤلفاته (منهاج العابدين) ، (تحفة الراغبين وتذكرة السالكين) ، (رياضة النفوس الزكيّة في فضل الجوع وترك اللذائذ الشهيّة) ، (الوسيلة الوصابية) ، أما سمة الأديب فيه فلا أدل عليها من (ديوان شعره) ، وكتاب (مدح الطول وذمّ القصر).

وليس ذلك بغريب فالرجل ينتمي إلى أسرة من أشهر أسر العلم والفضل والصلاح عبر تاريخ اليمن كله ، إذ بقيت هذه الأسرة الوصابية ترفد الحياة العلمية والثقافية بأفذاذ الرجال قرونًا طويلة ، ومساهماتها في ميادين العلم والتعليم ، والفقه والقضاء ، والزهد والتصوف ، والأدب واللغة والشعر تثير الإعجاب والزهو في النّفوس ، وبنظرة سريعة على بعض ما أنجزه أعلامها نعرف مقامها الكبير؛ فوالده كان من أعاجيب الزمان ، وله مؤلفات غزيرة منها: (بلغة الأديب في معرفة الغريب) وهو كتاب يتموضع اللغة وعلوم القرآن ، و (الاعتبار لذوي الإبصار) و(المنسك) و(التوشيح والثناء والذكر والدعاء) و(أحكام الرئاسة في آداب أهل الرئاسة) و(ما جرى من الجدل بين اللبن والعسل) و(نظم التنبيه) و(زهر البساتين) و(فض الأختام) (ديوان شعر ضخم ، وفتاوى ، ومؤلفات أخرى.

أما أخوه جمال الدين محمد صاحب الكتاب

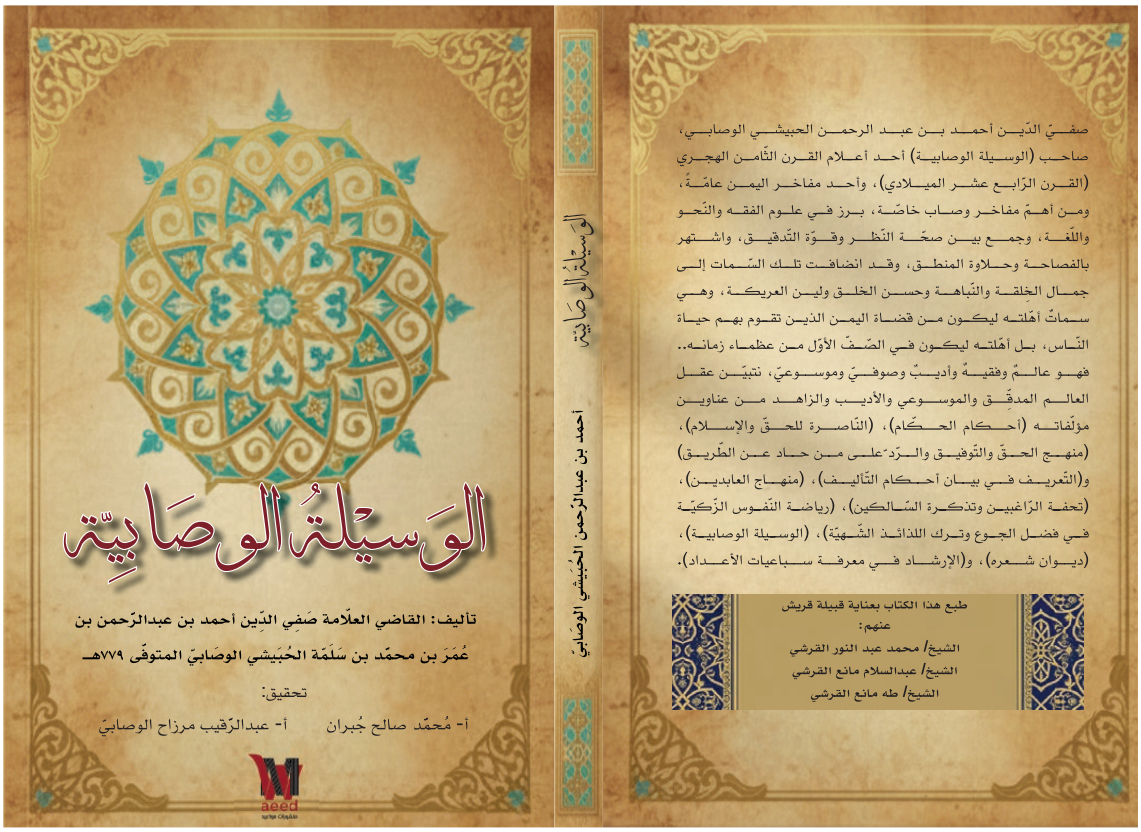

الشهير (البركة في فضل السعي والحركة) وغيره من المؤلفات ، فشهرته أكبر ، وإشارات العلماء إليه أكثر؛ كذلك الحبيشي الآخر مؤلف تاريخ وصاب (الاعتبار في التواريخ والأخبار) فهو وتد من أوتاد التاريخ اليمني.

وقد سبق هؤلاء ولحق بمه عشرات من أبناء هذه الأسرة التي جمعت بين التقوى والصلاح والعلم والعمل ومارست التعليم والقضاء والفتيا وغير ذلك من الأعمال التي تُناط بالأسر العلمية العريقة.

وإذا كانت تلك بعض مآثر الأسرة الحبيشية؛ فإن الأسرة الحبيشية نفسها بعض مآثر وصاب الحاضنة الثرية التي أنجبت عديد الأسر العلمية وتوجت هامة اليمن بجيش من الأعلام الذين إن بدأنا التمثيل لهم بالخمرطاش ثم ابن غليس وابن أبي الصيف وشاعر اليمن العظيم محمد بن حمير قبل ثمانية قرون فسنمر بعشرات غيرهم من أمثال أعلام الأسرة الحبيشية ومن الحميريين والتباعيين ومن أمثال صاحب (الإعلان) صفي الدين أحمد بن عبدالله السلمي ، ولن نتوقف حتى نصل إلى طه الجند وقائد غيلان وقحطان شهاب ومُحمَّد جبران وعبد الرقيب الوصابي.

ذكر قحطان شهاب ومُحمَّد جبران وعبد الرقيب الوصابي يجرنا بالتأكيد إلى الحديث عن مؤسسة وصاب التاريخية ، التي تضطلع بمهمة إعادة اكتشاف هذا المكان العبقري ، وتقوم بنفض الغبار عن كنوزه ، وهي كنوز تشتمل مئات المؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب والشعر والتصوف والزراعة وعلم الفلك وغيرها من الفنون التي تراكم إنتاجها منذ القرن السادس الهجري ، وأثبتت من خلالها وصاب أنها كانت تشكل ذخرًا علميًا وأدبيًا وفقهيًا لا ينقطع مدده عن زبيد؛ وأنها ساهمت بنصيب الأسد في صناعة تاريخ من الوهج لا يمكن نسيانه أو تجاوزه أبد الدهر.

لقد نجحت مؤسسة وصاب التاريخية خلال فترة وجيزة في خلق حالة حراك لا فت في مجال جمع المخطوطات الوصابية وفهرستها والانهماك بدأب في عمليات تحقيقها والتعريف بها ، وليس تحقيق (الوسيلة الوصابية) إلا حلقة من حلقات هذا الجهد الكبير.

أما الوسيلة الوصابية فهي نص عزيز من أجمل نصوص التراث الصوفي ، وقد استجدّت نصوص التوسل في القرن السادس الهجري ، وسرعان ما تداولتها نتاجات الشعراء والعلماء والأولياء في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وصار التوسل غرضًا من ستة أغراض رئيسية تموضعها الشعر الصوفي ، أولها: مديح الذات الإلهية ، حيث تندرج في ذلك نصوص ذكر صفات جلال الله ، كما تندرج فيه نصوص الحبّ الإلهي ، وسكر الخمرة الإلهية.

وثانيها: مديح الذات المحمدية ، ويندرج فيه كل أوصافهم للرسول صلى الله عليه وسلم ، سواء ما يتعلق بسيرته وفضائله الظاهرة أو ما يتعلق بمكانته عند الله أو ما يتعلق بما له من أسرار باطنة.

وثالثها: مديح الشيوخ الأولياء وذكر فضائلهم ومآثرهم وبركاتهم ومقاماتهم عند الله ، وقدر ما لهم من تأثير بين أتباعهم وفي مجتمعاتهم .

ورابعها: التوسل وطلب المدد والاستغاثات ، سواء اقتصر التوجه بها إلى الله وحده ، أو كان التوجه بها إلى نبيه ، أو إلى نبي مخصوص أو إلى سائر الأنبياء ، أو إلى وليّ مخصوص من أولياء الله ، أو جملة مخصوصة من الأولياء ، أو اجتمع في النص التوجه إلى الله ثم التوسل إليه بما هو عظيم عنده مما في سمائه وأرضه ، أو برسله وأنبيائه ، وبالصحابة والزهاد والأولياء والعلماء الأتقياء أو غيرهم من فضلاء عبادة الله وصلحائهم كما فعل الوصابيّ في وسيلته.

وخامسها: التعاليم والحكم والمواعظ التي يقصد بها الشيوخ تعليم أتباعهم وتثقيفهم وتوجيههم أخلاقيًا وسلوكيًا. ويندرج فيها ما يتعلق بالزهد ، والحث على التقوى وطلب المغفرة الخ.

وسادسها: التجارب الفردية العميقة ، وتندرج فيه النصوص المشكلة؛ مثل نصوص الشطح وسائر النصوص الإشارية الغامضة.

وهنا يجدر بنا الإشارة إلى سمة أساسية في الوسيلة الوصابية ، أعني تأشيرها على موسوعيّة المؤلف ، فالقدرة على حشد هذه الأسماء وذكر سمات وأوصاف دقيقة تخص بعضها -وهو مما لا يعلمه معظم الباحثين- ناهيك عن جمع ما يأتلف منها في علم أو فن أو رؤية أو سلوك يعدّ أمرًا مذهلًا. وهو دون شك يبعث على الفخر والاعتزاز ، ويعزز دوافع البحث والتنقيب عن تراثه وتراث أمثاله من علماء وصلحاء اليمن.

وهنا عليّ أن أهنّيء الأديبين الباحثين مُحمَّد صالح جبران وعبد الرقيب مرزاح الوصابي ، فقد نجحا في إنجاز المهمة ، وقاما بخدمة نص الوسيلة ضبطًا وتعريفًا وتحقيقًا على نحو مميز ، وذلك عمل ليس بالسهل ، فهذا النوع من النصوص لا يمكن التعامل معه إلا باستعداد خاص ، إذ هو يحتاج إلى معارف واسعة بالتاريخ والفقه والتصوف والأدب وأسماء الرجال ، ومعرفة المراجع والمضانّ ، ناهيك عن فهم إشارات النصوص ، وفك الالتباسات الناتجة عن تشابه الأسماء والأوصاف وتشابك التواريخ والمواقف والأحداث ، وكل ما يرتبط بالنّسق الثقافي والذهنيّة العامة المنتجة للنص.

وإذا كان ما قام به المحققان مما يُفرح ويسعد ، فإن طبع هذه الدرة النفيسة يزيدنا سعادة وفرحًا ، ويجعلنا ننتظر المزيد منهما ومن المؤسسة الحاضنة لهذه الاشتغالات.

دور المجتمع اليمني في حماية الآثار والممتلكات الثقافية

عبد الكريم على البركاني

إن التنوع الثقافي للجمهورية اليمنية بشقيه المادي واللامادي يجعلنا أمام تراث عريق يمتد لآلاف السنين ومع هذا حضي التراث اليمني باهتمام كبير من قبل الدولة ممثلة بوزارة الثقافة والهيئات التابعة لها والبعثات الأثرية العاملة في مجال الآثار والمدن التاريخية والمنظمات الدولية في دراسته وتم الكشف عنه فقد تم الكشف عن كثير من المواقع الأثرية في الإطار الجغرافي للجمهورية اليمنية لمختلف العصور وقد أثبتت نتائج الأبحاث الأثرية أن تلك الثقافات تعبر عن مقدرة الإنسان اليمني القديم في بناء مجتمعات منتجة استطاع أن يُسخر الظروف المحيطة به لصالحه. وهذا يجعلنا أمام تراث ثقافي متنوع يتوجب علينا حمايته وصونه والتنقيب عنه ودراسته وتوثيقه وتوفير سبل الحماية له. لقد تعرضت الآثار اليمنية للكثير من الأزمات المتكررة والمتمثلة بعوامل بشرية وغير بشرية وأخطرها العامل البشري الذي أصبح الأكثر خطرا على التراث في ضل انعدام التوعية بأهمية المحافظة على هذا التراث والذي قد يكون أثر سلبا في تدمير بعض المواقع الأثرية نتيجة النبش العشوائي والاتجار غير المشروع بالآثار المنقولة ، وتدمير المعالم ، والهياكل المعمارية ، والتاريخية.

لقد كنا سابقا نعاني من تلك العوامل وتم مواجهتها في ضل التشريعات والقوانين النافذة في البلاد لتجنيب العديد من المخاطر على المواقع الأثرية والمعالم والمدن التاريخية.

الباحثين والمهتمين.

فقد اهتمت المؤسسات العلمية والمتاحف العالمية باقتناء الآثار والنقوش اليمنية منذ بدء الرحلات الاستكشافية في القرن الثامن عشر ثم بتنظيم من الاستعمار البريطاني وتشجيع عملية بيع الآثار وتهريبها إلى الخارج في القرن الماضي وخاصة قبل ثورة الرابع عشر من أكتوبر 1963م بواسطة شبكات تجميع الآثار ونقلها إلى عدن مقر تجار وسماسرة الآثار ومنها إلى الخارج.

ولهذا نجد الآن كميات كبيرة من النقوش والقطع الأثرية في حوزة المتاحف العالمية ولدى أرباب المجموعات الأثرية الخاصة هذا وقد استمرت عملية الاتجار غير المشروع بالآثار والتراث على القائمين منذ تلك الفترات وحتى يومنا هذا ، حيث تطورت باستخدام أساليب وتقنيات حديثة لهذا الغرض ونظرًا للحاجة الماسة في اتخاذ الوسائل الوقائية والحماية اللازمة للموروث الثقافي أخذت مؤسسات حماية التراث على عاتقها ووضعت لنفسها مهمة استراتيجية ألا وهي الحفاظ على المورث الثقافي الحضاري بكل الطرق والسبل الممكنة ومن خلال تحديث وتطوير آليات ناجحة للوصول إلى تحقيق هذا الهدف.

ولمواجهة تزايد الاتجار وتهريب الآثار واتساع أعمال النبش والحفر والتدمير للمواقع الأثرية اليمنية ، واستغلال الأزمات التي تمر بها اليمن فقد رأت مؤسسات حماية التراث ضرورة استحداث وتطوير

صور توضح لبعض الأفراد أثناء أعمال الحفر غير القانوني للمواقع الأثرية

إن أعمال نهب الآثار ونقلها إلى الخارج مسألة قديمة ومستمرة ، خاصة إذا ما علمنا أن المواقع الأثرية في اليمن كثيرة ، وتحتاج إلى المزيد من الحرص والوعي لأهمية كل أثر ، كما أن فقدانه وعرضه أو الاحتفاظ به في بقعه أخرى من العالم يشكل نقصا في مدلوله العلمي والثقافي لدى

العمل للحد من هذه الظواهر من خلال حلقة تواصل بين الهيئة العامة للأثار والمتاحف والجهات ذات العلاقة داخليا وخارجيا ، تتواكب مع هذه المتغيرات والمستجدات ، مع الاستفادة من الخبرات الدولية في هذا المجال كما توجهنا نحو تشجيع الحرفيين من خلال السماح لهم بخروج

صور لبعض القطع الأثرية اليمنية تم مصادرتها من قبل الشرطة الفدرالية في سويسرا هربت من اليمن في العام 2010م استغلالًا لبداية الأزمات السياسية.

الصناعات الحرفية التقليدية الجديدة والمشغولات اليدوية الحديثة للموروث اليمني ، وفق خطة الدولة للترويج السياحي عالميًا من جهة ومن جهة أخرى للحد من ظاهرة الاتجار بالآثار ، وذلك بالاشتراك المباشر مع الجهات الأمنية والجمارك استنادًا إلى ما ينصه قانون الآثار.

إن الحفاظ على الآثار لن يتم دون أن تتولى الدولة مهمة ذلك ، وفي الوقت نفسه لن تنجح الأجهزة المعنية في أداء هذه المهمة إلا إذا كان المجتمع في مجمل يؤمن بأهمية الحفاظ ، ولن ينحسر الإتلاف والتهريب والنهب للآثار و للمواد التراثية إلا إذا انتشر الوعي بين الناس وأصبحت تلك الممارسات تصرفات غير مقبولة في المجتمع بحيث يعمل الجميع على الحد من تجارة الآثار وتهريبها ويتعاونون مع الجهات المختصة فيما تقوم به من برامج ومشروعات تهدف إلى الحفاظ ، وهكذا ينبغي أن تكثف الجهود التعليمية والتربوية في مجال نشر الوعي الأثري وتتواصل بانتظام ومتابعة ، حتى تصل إلى أحداث التغير المطلوب في الرأي العام.

إن مفهوم الآثار لا يكتمل دون مفهوم محافظة المجتمع عليه ، فقيمة التراث الأساسية تكمن في أنه يمثل موروث الأمة وحكمتها وحسها الجماعي وعامل وحدتها الأساسي الذي ورثته من الماضي ، وبه تستعين على تشكيل وعيها كأمة في الحاضر ، وهي لن تفيد منه إلا إذا أحست بضرورة التعرف عليه ، وجاهرت في سبيل البحث عن الذات من خلاله ، وأعدت نفسها لتحمل مسؤولية نقلة إلى الأجيال القادمة ومبدأ ذلك كله يكون بتحمل المجتمع مسؤولية الوعي بهذه الآثار والبحث عنها وإبرازها المحافظة عليها وحمايتها ، وحبذا لو تم ذلك في الوقت المناسب وقبل فوات الأوان وليس بعد ضياع ما كان ينبغي له أن يحفظه ويعممه ويورثه.

ولمفهوم الحفاظ على التراث وحمايته يتمثل في مجالي الآثار والتراث الشعبي ، على سبيل المثال والاصطفاء ، دلالتان متكاملتان ، في الدلالة الأولى يقصد بالحفاظ معنى الحماية والمحافظة على الآثار والمعالم والمواقع التاريخية والإبقاء على الشواهد التراثية كما وصلتنا دون تعديل أو تغيير يمس جوهرها أو إتلاف يشوهها ونهبها وسرقتها وتهريبها ، ذلك لأن شواهد الماضي كالمواقع الأثرية الباقية من الأزمان الماضية لا تتزايد أبدًا وإنما تتناقص باستمرار نتيجة الإتلاف والنهب وحركة التنمية الحديثة التي باتت تصل إلى كل مكان ، ولابد حينئذ من الإبقاء على أكبر عدد ممكن من تلك المادة التراثية حتى يتيسر لأجيال الحاضر والمستقبل الإفادة من مصادر والمعلومات التي تنطق بها تلك الشواهد ، والتي لا تعني شواهد أخرى عنها كسجل للعمران البشري عبر الآلاف من السنين في بيئة متغيرة أملت شروط الحياة على ذلك العمران وصاغته على هيئتها.

ومعنى الحفاظ والحماية في الدلالة الأخرى إحياء ذلك التراث الأثري باعتباره خليفة لتكويننا الحضاري ، عن طريق صيانته وترميمه والكشف عنه وفق الأساليب العلمية وجمعة وإبرازه والتعريف به ودراسته ، وفي مقدمة ذلك كله حصره وتسجيله بحيث يصبح الأثر معروفًا مفسرًا معمق المفهوم ، بل في بعض الحالات إعادة توظيفه توظيفًا نافعًا وتشجيع إنتاج الجيد منه.

والحفاظ والحماية بهذا المعنى لا يعني وضع التراث الأثري في علبة حافظه وتحنيطه في متاحف ، أوضعه في مخازن ، وما أشبه ذلك لمجرد رغبة رومنطيقية تذكي الحنين إلى الماضي ، أو من أجل تصوير فيلم شيق نرضي به السواح ، أو لأن الحفاظ على الآثار ترف أو موضة أو مجرد هواية محبوبة لدى فئة من ذوي المال.

وقد يظن البعض أن الدعوة إلى حماية التراث والآثار تحمل في طياتها اتجاهًا سلفيًا أو رجعيًا ، ولكن في هذا الواقع ظن آثم وفيه حيف وتجاوز ، وإلا كيف يمكن لنا أن نستوعب مفهوم التراث والذي يجعل في صميم معناه ، وفي أكثر من لغة حية ، دلالة النقل والاستمرار ، أي أن الاهتمام بالتراث والآثار ليس حنينًا مغرقًا إلى الماضي وليس مجرد عودة خيالية إليه أو حالة رد مثالية ، وإنما هو بكل بساطة اهتمام بالأمر الواقع

والطبيعي ،هو نقل واستمرارية لما كان موجودًا وتثبت صحته وجربه بالناس في موطنهم ، وهو ما يعبر عنه عادة بالحكمة الكامنة في وعي الأمة ، أو بروح المجتمع أو بالشخصية القومية ، أو الشخصية الوطنية أو بالحس الجماعي ، أي هو كل ما يتمثل بالموروث المميز الذي يعيه الناس في قرارة أنفسهم ويحافظون عليه جيلًا بعد جيل ، ويعبر عن أعماق وجدانهم ويعكس وحدة هويتهم.

وترتبط عملية الحفاظ على الآثار ارتباطا وثيقًا بفهمنا لجوهر التراث ووعينا بأهميته وكلما أستوعب المرء معطيات العصر واتخذ طرقًا من أسبابة وأحسن مشوار الحداثة الذي يقطعه ، اكتسب بموازاة ذلك وعيًا بذاته وإحساسًا بمكانة من الإعراب في هذا العالم ، وأيقن بأن الوسيلة الرئيسية المهيأة له لعملية الوعي والإدراك لتراثه هي الأخذ بالأساليب الحديثة في العلم والتقنية والتي تحدد في الواقع موقفنا من آثار الماضي وتراث الحاضر والمستقبل ، إذ أن وعينا بأهمية التراث لا يتأتى إلا بدخولنا العصر والمشاركة في مسيرة ركبه ، والأصالة لا تتحقق فعلًا إلا من خلال الحداثة.

ومن عجيب المفارقات إنه في العصر الذي كاد الإنسان فيه أن يعي أهمية تراثه الحضاري ، ودور ذلك التراث الإنساني في تحقيق ذاته وضمان مسيرة تقدمه ، حل بالتراث أفدح الضرر حيث قاسى من عدوان بني الإنسان تلفًا .

كما أن الحديث عن حماية الأثار يعني تناول السياسات والتشريعات والخطط والبرامج التي ينبغي أن تضطلع بها الأجهزة المختصة والمؤسسات العملية والثقافية في مجال التراث ، كما يعني الحديث عن الجهود غير الحكومية وإسهامات المتجمع المدني والتعاون الإقليمي والدولي في تطوير الممارسات العملية والعلمية التي تخدم التراث والآثار حفاظًا وإحياءً له ، وذلك لأن الحفاظ على الآثار وتراث الأسلاف مسؤولية عامة ، فالآثار ملك للناس والمجتمع وليس لفرد أو لشركة أو فئة ، هو بمثابة « قطاع عام ليس قطاعًا خاصًا إذا صح التعبير »

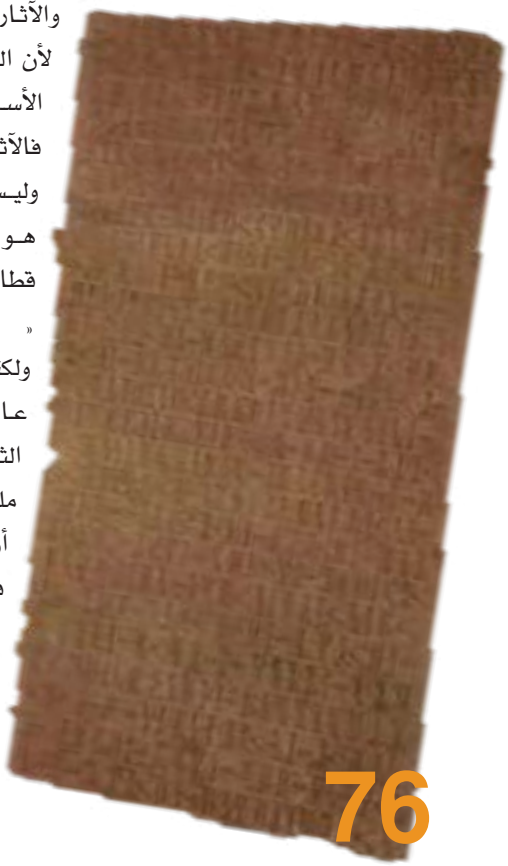

ولكنه في الوقت نفسه ملك عام قد يتقاطع مع الممتلكات الثقافية الخاصة ، فالأثر ملك للمجتمع غير أنه في أرض يمتلكها شخص ، فكيف نوفق بين تراث المجتمع وملك الفرد؟ ، هل يمكن أن تحل هذه المعضلة بقوة الدولة أو القانون؟ ، وهل يمكن أن تحل بالمسؤولية المشتركة ، الجماعية والفردية؟ وهل يمكن أن تحل بنقل الملكية من الخاص إلى العام وما ثمن ذلك؟

أن كل فرد أو كل مؤسسة حكومية يتحمل مسؤولية حماية ماضي المجتمع البشري وهذ يتضمن تعليم الناس كبارًا وصغارًا مسؤولية الحفاظ على التراث مراعاة تطبيق قوانين حماية الآثار وأنظمتها وتعليمها وسياستها بحيث تتحقق المسؤولية العامة على مستوى القاعدة العريضة في أداء الواجب نحو الحفاظ على التراث وقيمة ، كما هو معترف به على مستوى العالم كله ، ومجتمعاتنا جزء لا يتجزأ من هذا العالم ، ولا ريب أنهم يلتزمون بروح ثقافة عصره ، أو هكذا ينبغي أن يصنعوا.

إن دور المجتمع في الحفاظ على تراثه وآثاره هو بيت القصيد في مشروعات الحماية والحفاظ والأحياء ، إذ ينبغي تعاون المواطن مع الأجهزة المختصة في حماية التراث الوطني والآثار على اعتبار أن التراث الأثري ملك للمجتمع حقيقة لا مجازًا ، وأن مقتنييه أي أثر لا يعطي مقتنيها حق التصرف به كما يشاء ، كما أن ملكية الأرض لا تمنح صاحبها حق التصرف في الآثار الموجودة على سطحها أو باطنها ولا تخوله حق التنقيب أو الحفر فيها بحثًا عن الآثار ، وأنه لا يجوز بأي حال من الأحوال إتلاف الآثار المنقولة وغير المنقولة وإلحاق الضرر بها أو تشويهها أو تغيير معالمها ، أو فصل جزء منها أو تزيينها أو بالكتابة عليها أو لصق إعلانات أو ما أشبه ذلك على جدران المعالم التاريخية ، كما يمكن للمواطن أداء دور هام في حماية على الآثار وإذا ما قام بإبلاغ الجهات المختصة فورًا عن أي موقع أثري أو لقية تكتشف صدفة خلال الاشتغال بالفلاحة أو البناء أو ما شابه ذلك ، إذ أن هناك بعض المواقع التي مازالت مجهولة ، ولم تسجل على الخريطة الأثرية ولم يحدد وضعها القانوني ، ولم تميز بعلامات ولم تصان بأسوار ، ولم تبلغ السلطات المحلية ، في المنطقة المعنية بالوثائق الخاص بالموقع ، نظرًا لأنه مجهول ، وبالتالي فإن التبليغ السريع قبل تدميره بقصد أو دون قصد من مواطن ، ربما لم يعتمد التخريب والإتلاف وإنما فوجيء به في حقلة أو في حمى منزله وهكذا ، ورغم أن كل موقع أثري مهما صغر مهم بالنسبة للأثري فإن إنقاذ ذلك الموقع الصغير قبل فوات الأوان قد يسعف على معرفة حلقة ناقصة من حلقات التاريخ ويلقي ضوئًا جديدًا على ما هو مجهول من حقائق الماضي.

إن تعاون المواطن في مثل هذه الحالة يتعمد على حد كبير على وعيه الأثري وحسه الوطني بحيق يتجاوز مصلحته المباشرة إلى ما هو في إطار المصلحة العامة ، لقد كان بإمكانه أن يسكت عن ذلك ويسوي أرض الموقع مخفيًا معالم الأثر ، وقد لا يعلم ذلك أحد ، تندثر حينئذ صحفة من صفحات الماضي هي ملك للمجتمع كله ، بسبب غلقه مواطن أو إهماله أو نقل أنانيته.

ينبغي تعاون المواطن من خلال تجنب المساس بأي موقع أثري ظاهر ، عثر عليه في أرضه أو ضمن ممتلكاته ،وعليه ترك مسألة الحفر على الجهات المختصة والعلماء الأثريين المحترفين ، ذلك لأن قيمة الموقع الأثري بل وقيمة أية لقى أثرية هي في التعرف عليها من المختصين في

صور توضح كيف يتم عرض الموروث الثقافي اليمني للبيع في مواقع التواصل الاجتماعي

موضعها الأصلي ، بحيث يتسنى لهم درس العلاقات القائمة بين الأثر وما جاوره وفي مكانه من الطبقات الأثرية ، إن الأثر صغيرًا كان أو كبيرًا يفقد الكثير من قيمته أن جُهِل مكانه أو تعرض للتغير أو النقل ، وقد قيل إن عمل عالم الأثار الذي ينقب عن كنوز الماضي يشبه عمل سارق الآثار الذي يفتش بدورة عن تحف قديمة مدفونه ، غير أن الفارق بينهما يكمن في أن الآثار الذي يفتش بدوره عن تحف قديمة مدفونة ، غير أن الفارق بينهما يكمن في أن الأثري عنما يعثر على لقية أثرية خلال الحفر لا يسرع في أخذها وتهريبها وإنما يجلس في جانبها ويتأملها مليًا ، ثم يودعها برفق في مكان آمن ، أما سارق الآثار فإنه سرعان ما يختطفها من مكانها بعد أن يتلف موقعها وينطلق بها مسرعًا قبل أن يعرف أهميتها إلى مكان آخر برسم البيع والتهريب .

إن استغلال الأزمات لدى مافيا وتجار الآثار أثرت سلبا على سرقة القطع الأثرية من المتاحف دون مراعاة الضمير الإنساني ، إن هذا من تراثنا وهويتنا الوطنية التي تخص كل فرد في المجتمع اليمني وإن التفريط فيها يعتبر تفريط بقيم الهوية اليمنية .

إن ما حصل من نهب لبعض المتاحف اليمنية وخاصة في حرب صيف 1994م في اليمن فقدنا الكثير من القطع الأثرية التي تم نهبها من متحف عدن ومتحف عتق ومتحف بيحان ومخزن بني بكر ومخزن صبر لحج استغلال لهذه الحرب والتي تعد من الأزمات نهبت محتويات تلك المتاحف وإلى اليوم لم يتم استرجاع غير القيل من تلك المقتنيات .

ثم تلته الحرب التي شنتها الدولة على جمعات تنظيم القاعدة وتنظيم داعش والتي دارت رحاها في محافظة أبين وشبوة تمكن تنظيم القاعدة وداعش من الاستيلاء والسطو عل متحف زنجبار ونهب كل محتوياته من قطع أثرية

وأثاث وغيرها ونقلها إلى أماكن مجهولة إلى اليوم ولم يتم استرجاع غير القليل من القطع التي كانوا قد باعوها في السوق المحلية والبقية العظمى من تلك القطع مجهولة أماكنها إلى اليوم .

ما خلال هذه الحرب التي تدور في اليمن منذ العام 2014م فقد اليمن الكثير من التراث الثقافي والمتمثل بالثابت والمنقول دمرت الكثير من المعالم التاريخية والموقع الأثرية المختلفة ودمرت المتاحف بفعل الاستهداف المباشر والغير مباشر فقد دمر متحف ذمار الإقليمي والذي تم تدميره تدميرا كليا وكان يحوي بداخله 12400قطعة أثرية مختلفة تناثرت في أرجاء المكان وتم نهبها من المواطنين وأتلف من محتوياته أقدم وثاني منبر إسلامي لجامع ذمار الكبير والذي يعد بعد منبر جامع القيروان .

ونهب متحف تعز الوطني من قبل عصابات استغلت الفراغ الأمني والصراع المسلح في المدينة نهبت العديد من القطع الأثرية والموروث الشعبي وتم استرجاع جزء منه بدفع إتاوات لتلك العصابة وإيداعه أحد البنوك للحفاظ عليه.

وكذا استهداف أحد المخازن في متحف تعز بمقذوف أدى إلى إحراق الكثير كم محتوياته من بينها قطع أثرية ومخطوطات إسلامية قديمة.

ومع هذه الأزمات تمت سرقة متحف المكلا في حضرموت والتهديد بتدميره ومتحف جبل العود في إب ومتحف الضالع والتهديد بسرقة متحف سيؤون .

ومن خلال هذا العرض المختصر عن أوضاع التراث الثقافي في اليمن ودور المجتمع في حمايته في ظل التشريعات المحلية والدولية إلا أن هناك الكثير من القصور في هذا الجانب من قبل المؤسسات المحلية المعنية بحماية التراث وكذا المؤسسات والمنظمات الدولية المهنية بحماية التراث اليمني.

إن التوعية المجتمعية والمصنفة عالميا هي أهم الخطوات الناجحة في حماية التراث إذا مكان هناك برامج توعوية مدعومة من قبل المجتمع الدولي ستساهم في الحد من نهب وتدمير الممتلكات الثقافية ومساعدة الجهات والمؤسسات المعنية بحماية التراث من إنجاح الخطط والبرامج التي ستعدها لهذ الغرض. وسنستعرض في هذه المقالة صورا لما يمر به التراث الثقافي اليمني على كافة الأصعدة.

• خبير وباحث في مجال الآثار وحماية التراث ومدير عام حماية الآثار والممتلكات الثقافية

•ورقة قدمت في ندوة عن تهريب الآثار-أقامتها مؤسسة شهرزاد بالتعاون مع صندوق التراث والتنمية الثقافية

إحياء التراث الثقافي لمدينة عدن: نحو الحفاظ على الهوية وتعزيز التنمية المستدامة

الباحثة: فاطمة سالم محمد

يُعدّ التراث الثقافي أحد الركائز الأساسية التي تُشكّل هوية الشعوب ، وتُجسّد ذاكرتها الجماعية ، وتمثل امتدادًا لتاريخها وتجاربها وقيمها عبر العصور. ومع تسارع وتيرة العولمة ، وتزايد التحديات التقنية والاجتماعية ، أصبح من الضروري التوقف عند أهمية التراث الثقافي ، وضرورة إحيائه والحفاظ عليه باعتباره ركيزة من ركائز التنمية المستدامة والتنوع الثقافي.

ومن هنا يمكننا تعريف التراث الثقافي بأنه مجموعة من القيم والممارسات والعادات والمواد التي توارثتها الأجيال ، وتعبّر عن الهوية الثقافية لمجتمع معين. ويشمل التراث الثقافي نوعين رئيسيين:

التراث الثقافي المادي، يشمل:

المباني التاريخية: وتضم

المباني الدينية: تتميز مدينة عدن بموقعها على خط الملاحة الدولية وكونها محطة تجارية وجدت فيها أقوام مختلفة من يهود وفرس وهنود وإنجليز إذ قامت هذه الأقوام بتشييد دور العبادة لممارسة شعائرهم الدينية من معابد لليهود والفرس والهندوس وكنائس للرعايا المسيحيين الذين عاشوا سابقًا في عدن إلى جانب أهل عدن المعتنقين للدين الإسلامي الذين شيدوا العديد من المساجد والمدارس وعاشوا جميعًا في جو من التسامح الديني وكل منهم يمارس شعائره الدينية بحرية تامة دون المساس بالآخر إذ نجد في عدن بلد الإيمان تتعانق المآذن وتتجاور المساجد والكنائس مثل مسجد أبان في كريتر يوجد أمامه كنيسة البادري

المساجد:

مسجد العيدروس: بني في 890هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد الشيخ جوهر: بني في 662هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد العسقلاني: بني في 806هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد ابن علوان: بني في 847هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد حسين الأهدل: بني في 860هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد الشيخ عبد الله الخطيب: بني في مطلع القرن الخامس الهجري ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد بانصير: بني في 1320هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد خواص: بني في 1325هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد الهتاري: بني في 1311هـ ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد الشوذري: بني في مطلع القرن الرابع ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد الشيخ أحمد العراقي: يقع في مديرية التواهي.

مسجد الحسيني: بني في القرن الرابع عشر الهجري ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد أبو قبة: بني في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد العثماني: بني في 1282هـ ، يقع في مديرية الشيخ عثمان.

مسجد عبد الله بن عمر: بني في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، يقع في مديرية صيرة.

مسجد أبو الليل: بني في القرن الرابع الهجري ، يقع في مديرية صيرة.

المعابد: قامت الجاليات الهندوسية بتشييد العديد من المعابد منها:

معبد شري هنجلاج ماتاجي: بني عام 1900م يقع بالخساف في مدينة كريتر.

معبد شري شنكر هنومان: بني في القرن التاسع عشر ويقع بالخساف في مدينة كريتر.

معبد شري تيريشميرجي: بني 1862م يقع في شارع حسن علي في مدينة كريتر.

معبد شري رام تشندرجي: بني 1875م يقع في الفتح بمدينة التواهي.

معبد هانومان: بني 1882م يقع في شيخ الدويل

معبد شري جين سويت أمير: بني 1882م يقع في سوق البز بكريتر

بالإضافة إلى معبد شري شنكر هندو يقع في شارع اروى بكريتر ، ومعبد شري كريشنا في شارع السبيل في منطقة كريتر.

معبد النار الفارسي: يعود للطائفة الزرادشتية في بلاد فارس (إيران حاليًا) ، يقع في الطويلة بكريتر ، شيده رجل الأعمال الفارسي كوسجي دنشوإيدن على نفقته الخاصة ، عام 1873م.

السينجوت اليهودي الكبير: بني عام 1856م ، وكان يضم بيت الدراسة ومطبعة يهودية تأسست عام 1891م.

والكنائس: عندما احتلت بريطانيا عدن عام 1839م أنشأت ستة كنائس منها الكاثوليكية والبروتستنتية موزعة على محافظة عدن.

- كنيسة القديسة سانت ماري جارسين (مقر المجلس التشريعي) في كريتر 1871م حولت لمقر المجلس التشريعي 1947
- كنيسة سانت جوزيف (البادري) في كريتر 1845م
- كنيسة سانت انطوني (بادري التواهي) في التواهي (أقدم كنيسة في عدن شيدت 1839م)
- كنيسة حافون في المعلا
- كنيسة رأس مربط في التواهي (أنشأها البريطانيون في 1863م)
- كنيسة صلاح الدين في البريقة بناها البريطانيون الكاثوليك في القرن 19م

وكذلك المباني المدنية ، والحصون والقلاع ، ورصيف السواح ، مكتبة الفقيد باذيب الوطنية ، ساعة ليتل بن.

المواقع الأثرية: كهوف البوميس ، الرباك ، صهاريج الطويلة.

المتاحف: تحتوي على سبعة متاحف منها متحف صهاريج الطويلة الذي تأسس 1930م وكان يضم مجموعة من الآثار والموروث الشعبي ، المتحف الحربي تأسس 1971م وكان مخصصا للتراث العسكري ، متحف قسم الآثار/ جامعة عدن تأسس 1996م ، متحف البيت اليمني بمدينة التواهي أسسته أ/ نجلاء

شمسان 2007م خصص لعرض نماذج من الموروث الشعبي التقليدي لمدينة عدن والأزياء والحلي وطريقة صناعة البخور العدني ، متحف الفنان المرشدي في مدينة عدن يضم مقتنيات الفنان الشخصية ، متحف رامبو 2007م للرحالة الفرنسي الذي عاش في مدينة عدن ، المتحف الوطني تأسس 1966م. فقد أغلقت جميعها ولكن ما زلنا نأمل وننتظر افتتاحها فمتى تتحقق الأمنية ويكشف الستار؟ إننا نفتقد شعور تلك الخطوات المترددة والقلب الذي يعصره الفضول ونحن نتجول بين القاعات لنستنشق رائحة الأصالة وتاريخ الأجداد التي تحكي لنا قصصًا على مر العصور.

الأسواق الشعبية: كسوق الطويلة بكريتر ، سوق الشيخ عثمان.

بالإضافة إلى القطع الفنية ، والوثائق والمخطوطات ، وغيرها من العناصر الملموسة التي توثق حياة المجتمعات عبر العصور.

التراث الثقافي غير المادي:

يشمل العادات والتقاليد: تخص مختلف المناسبات الاجتماعية والدينية ومنها العادات الخاصة بالاحتفالات بالمولود الجديد كالسباعي ، ستنا خديجة ، والختان ، وكذلك عادات وتقاليد الزواج كالغسل والزفرة والصبحية والسابع ، والاحتفال بحفظ الفتيان للقرآن الكريم ، وطقوس ترحيب رمضان.

الاحتفالات الشعبية (الزيارات أو الوعدات): زيارات لمختلف الأولياء مثلا: العيدروس ، الجيلاني ، الهاشمي ، ابن علوان ، أبان بن عفان ، وجوهر.

الفنون الشعبية: تضم الغناء والرقصات الشعبية كالشرح العدني ورقصة الليوة.

الحرف اليدوية: كالأواني الفخاريات ، القش ، البخور العدني ، والأخضرين العدني.

الأزياء التقليدية: الزي الشعبي النسائي كالدرع العدني ، والمقرمة أو المنديل ، الشيدر ، والفوطة.

الزي الشعبي الرجالي الشميز ، الفوطة (الإزار) ، الكشيدة ، والكوفية الزنجباري.

الأطعمة المحلية: الزربيان العدني ، والعشار ، الخبز الطاوة ، الجبيز ، المطفاية ، الشاي العدني ، الخمير ، والمعبل.

بالإضافة إلى اللهجة العدنية ، والأساطير القصص الشفوية.

وتُعد مدينة عدن واحدة من أعرق وأهم المدن الساحلية في اليمن ، وتمتاز بتاريخها العريق ، وموقعها الجغرافي الاستراتيجي ، وتنوعها الثقافي الفريد. ومع مرور الزمن ، شهدت المدينة تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية أثرت بشكل مباشر على تراثها الثقافي المادي والمعنوي. وفي ظل التحديات المعاصرة ، بات من الضروري إحياء التراث الثقافي لعدن ، ليس فقط للحفاظ على الهوية الوطنية ، بل أيضًا كمحرك مهم لتحقيق التنمية المستدامة. حيث يمثل التراث الثقافي هوية الأمة وذاكرتها الحية ، ويُعَدّ الحفاظ عليه من المهام الأساسية لكل مجتمع يسعى إلى صون هويته أمام المتغيرات.

أهمية إحياء التراث في الحفاظ على الهوية:

إحياء التراث الثقافي لا يقتصر على حفظ الآثار أو توثيق القصص الشعبية ، بل يتجاوز ذلك إلى دعم التنمية وتعزيز الانتماء فهو مرآة لهوية الشعوب. وتتمثل أهمية إحياء التراث في:

- تعزيز الهوية الوطنية والانتماء الوطني للأجيال الجديدة ، من خلال ربط الأفراد بجذورهم الثقافية والتاريخية.
- التنمية الاقتصادية حيث يسهم التراث في تنشيط السياحة الثقافية ، وتوفير فرص عمل ، خاصة في الصناعات اليدوية والفنون التقليدية.
- الاستدامة الثقافية التي تساهم في نقل المعارف والقيم الثقافية من جيل إلى آخر ، ويُشجع على احترام التنوع الثقافي.
- تعزيز الحوار والتفاهم بين الثقافات ، من خلال إبراز خصوصية كل مجتمع ، مما يرسخ التعايش والاحترام المتبادل.

التراث الثقافي كرافعة للتنمية المستدامة:

يمثل التراث فرصة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية من خلال:

السياحة الثقافية: يمكن إعادة تأهيل المواقع التراثية لجذب الزوار وتنشيط الاقتصاد المحلي.

توفير فرص عمل: في مجالات الترميم ، الإرشاد السياحي ، الحرف التقليدية ، والمشاريع الثقافية.

التنمية البيئية المستدامة: من خلال اعتماد مواد وأساليب ترميم تحافظ على البيئة.

تحقيق الاستقرار المجتمعي: عبر تمكين المجتمعات المحلية من المشاركة في الحفاظ على تراثها.

التحديات التي تواجه إحياء التراث في عدن:

رغم أهمية التراث ، إلا أنه يواجه تحديات متعددة تهدد باندثاره ، منها:

-ةالصراعات المسلحة والكوارث الطبيعية التي تؤدي إلى تدمير المواقع الأثرية وفقدان الكثير من المواد التراثية.

- التوسع العمراني العشوائي الذي دمّر العديد من المعالم التراثية.
- قلة التمويل والدعم المؤسسي للمشاريع الثقافية.
- قلة التوثيق.
- غياب الوعي المجتمعي بأهمية التراث.
- العولمة والتغريب الثقافي حيث أدى الانفتاح على ثقافات أخرى إلى تراجع الاهتمام بالثقافة المحلية.
- التغيرات الاجتماعية السريعة ، مثل الهجرة إلى المدن ، وانقراض بعض العادات والكلمات العدنية.

الخاتمة:

يعد التراث الثقافي العدني منظومة متكاملة من الرموز والتقاليد والأنماط الاجتماعية التي تعكس تنوع البيئة المحلية وتمازجها مع المحيط الإقليمي والإنساني ، وإن إحياء التراث الثقافي لمدينة عدن ليس مجرد حفاظ على الماضي ، بل هو استثمار في المستقبل ، يحفظ الهوية الوطنية ، ويعزز السياحة ، ويدفع بعجلة التنمية المستدامة. إن مدينة عدن ، بتاريخها المجيد وتراثها الغني ، تستحق أن تُعاد لها مكانتها الثقافية بين مدن العالم ، عبر جهود وطنية صادقة وشراكات مجتمعية فعالة.

توصيات لتعزيز إحياء التراث في عدن:

- إعداد خطط وطنية لحماية التراث ، بالشراكة بين الجهات الحكومية والمنظمات المحلية والدولية.
- ترميم وتأهيل المواقع التاريخية بطرق علمية مستدامة وذلك لتعزيز السياحة الثقافية.
- إدماج التراث في المناهج التعليمية لتوعية الطلاب بأهمية التراث وربطه بحياتهم اليومية.
- تحفيز المبادرات الشبابية والمجتمعية في توثيق ونشر الثقافة العدنية.
- تنظيم مهرجانات ومعارض تراثية ، مثل مهرجانات الحرف اليدوية ، أو الأيام الثقافية التي تستعرض العادات والتقاليد.
- رقمنة التراث من خلال تصوير وتوثيق المواد التراثية إلكترونيًا.
- إنشاء المتاحف والمراكز الثقافية التي تحفظ التراث وتعرضه بطرق تفاعلية حديثة.
- دعم الحرفيين والفنانين المحليين لتشجيعهم على الاستمرار في إنتاج أعمالهم التراثية.

مخطوطات المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي

(1003-1077هـ/1594-1666م)
(دراسة تاريخية- تحليلة)

أ.د/عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري

(ملخص البحث)

أهمية المخطوطات كبيرة جدًا ، فعلم الأمة مدون فيها ، وأمة بغير ذلك ليست أمة! ولا شك أننا ما زلنا حتى اليوم في حاجة ماسة إليها ، بل إنه كلما تقدمت بنا السنين ازدادت حاجتنا ، وحاجة الأمة عامة إليها, لهذا فالحفاظ عليها متعين ، وهو واجب على الأمة ، وتعدّ المخطوطات اليمنية من أكبر مستودعات الذاكرة الإنسانية نظرًا إلى قيمتها العلمية والتاريخية ، إضافة إلى عددها الكبير المتناثر بين دور المخطوطات العامة والخاصة حول العالم.

تمهيد:

كتب المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي خلال الفترة التاريخية التي عاشها من سنين حياته أربعة مؤلفات(مخطوطات) ، أرّخ في ثلاثة منها للدولة القاسمية ، حيث تناول في مخطوطته الأولى (النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة), سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد (ت1029هـ/1619م), أما المخطوطة الثانية(الجوهرة المنيرة في تاريخ الخلافة المؤيدية) فقد تطرق فيها إلى الحديث عن سيرة الإمام المؤيد بالله محمد(1029هـ/1619م) وحتى وفاته سنة (1054هـ/1635م), فيما تحدث المؤرخ الجرموزي في مخطوطته الثالثة(تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار) عن سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، (1054 -1087هـ/ 1644-1676م). أما المخطوطة الرابعة (عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية ، والدولة الفاطمية الحسينية) فقد تحدث فيها عن أخبار من ملك اليمن منذ عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وانتهاء بعصره.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها مثلت فترة تاريخية هامة من تاريخ اليمن الحديث - التي عنيت بها مؤلفات المؤرخ الجرموزي- حيث رسمت الخارطة السياسية للبلاد -وقتئذ- في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وجملة الأحداث التي أفرزتها الظروف السياسية لتلك الفترة كما أبرزت تلك المؤلفات الميزات الهامة والفريدة لهذه الفترة والتي تمثلت في الحنكة السياسية والشخصية القوية للإمام القاسم بن محمد وولديه من بعده الامام المؤيد بالله محمد والإمام المتوكل على الله إسماعيل والذين يعدون من أهم الشخصيات اليمنية في تاريخ اليمن الحديث لدورهم الكبير في إرساء دعائم الدولة القاسمية .وفي حقيقة الأمر فإن مؤلفات (مخطوطات) المؤرخ المطهر الجرموزي

تمثل تجسيدا للوضع الراهن في ذلك الوقت نتيجة سيطرة الأئمة الزيدية على مجريات الأحداث السياسية والعسكرية والثقافية ، ومنها حركة التأليف التاريخي التي شهدتها تلك الفترة ، والتي يمثل المؤرخ الجرموزي رمزا من رموزها.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى توضيح جهود المؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي في كتابة تاريخ اليمن الحديث ، خلال معاصرته لثلاثة أئمة الإمام القاسم بن محمد وولديه الإمام المؤيد محمد والإمام المتوكل على الله إسماعيل ،خاصة وهو أحد المؤرخين المنحازين للائمة الزيدية خلال صراعها مع الوجود العثماني الأول في اليمن (1538-1635م) ، بالإضافة إلى أهمية علم التاريخ ومدى ارتباطه بالسياسة والحكم من خلال ما دونه المؤرخ الجرموزي ، ومافيه من فائدة في تجنب الأخطاء وتحاشي الزلات والاعتبار مما مضى.

أهمية البحث:

أما أهمية هذا البحث ففي واقع الأمر فهي تنبع من أهمية الفترة التاريخية ذاتها, حيث نشطت حركة التأليف والتدوين التاريخي في فترة الحكم العثماني الأول في اليمن وفترة الاستقلال ، نتيجة لتأثرها بالأحداث السياسية والعسكرية الواقعة في تلك الفترة ، وبالتالي فقد تأثرت الحياة الثقافية والفكرية لهذه الأحداث ، بالإضافة إلى فترة الاستقلال في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

منهجية البحث:

سوف تعتمد دراسة البحث المنهج التاريخي التحليلي.

مقدمة:

تعد الفترة الزمنية (1538-1635م) إحدى الفترات التاريخية الهامة في تاريخ اليمن الحديث؛ إذ ارتبطت مجريات أحداثها ووقائعها ، والتي تصل إلى قرابة مائة عام هي فترة الوجود العثماني الأول في اليمن- بأحداث سياسية هامة نتجت عن ذلك الصراع الذي احتدم بين العثمانيين واليمنيين- خاصة الأئمة الزيديين -حيث برزت الإمامة الزيدية- وقتئذ كقوة رئيسية واجهت العثمانيين الذين قاموا: بـ«قيادة الثورات الوطنية حينذاك ضد»[1] ، الأمر الذي مكنهم في النهاية أن يقوموا بدوررئيسي في تاريخ اليمن الحديث بل والمعاصر.

تأثرت حركة التأليف في اليمن ، في واقع الأمر بالأوضاع السياسية الناجمة عن ذلك الصراع ، نتج عنه تصادم آخر في النواحي الثقافية والفكرية أدت بالتالي إلى اشتراك القلم في رصد وقائع الأحداث ومجرياتها -في الحرب والسلم على السواء- وظهرت كتابات ومؤلفات ، عالجت النواحي المختلفة الخاصة بتلك الفترة ، ورسمت خطوطها السياسية بشكل واضح وذلك في أبعاد متفاوتة ، ومن وجهات نظر مختلفة ، ولقد أدرك المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول وفترة الاستقلال أهمية علم التاريخ ومدى ارتباطه بالسياسة والحكم ، ومافيه من فائدة في تجنب الأخطاء وتحاشي الزلات والاعتبار مما مضى ، وإدراكهم هذا دفعهم إلى الاشتراك في إحداث الصراع السياسي الدائر آنذاك بين القوى المحلية بزعامة الأئمة الزيدية ، والدولة العثمانية بتأليف مصنفات تاريخية مثلت نوعا من الدعاية الإعلامية لهذا الطرف أو ذاك وقد عبر المؤرخون عن تلك الأهمية بأساليب وطرق مختلفة[2] وكانت تلك المؤلفات مصدرًا مهما يستند إليه كل من أراد أن يؤرخ لهذه الفترة ويعول بالتالي على مصداقيته باتجاه طرح رؤاه وتحليلاته عنها ، وكان لاشتراك المؤرخين في تلك الأحداث- من خلال مؤلفاتهم- تأثيرا إيجابيا على حركة التأليف التاريخي كما وكيفا ، حيث أدى ذلك الى غزارة الإنتاج الفكري من المؤلفات التاريخية التي دونت فيها أحداث الصراع السياسي وسير قادته وزعامته لنفس الفترة التاريخية بطرق وأساليب مختلفة ، ظهر فيه تأثير مؤلفيها بعوامل مذهبية وسياسية واجتماعية ، فأبرزت تلك المؤلفات المختلفة ملامح الأوضاع السياسية لليمن من وجهات نظر مختلفة ، وهو ماميز حركة التأليف التاريخي في هذه الفترة دون غيرها من الفترات التاريخية[3].

مولد المؤرخ الجرموزي ونشأته:

ولد المؤرخ الجرموزي في (جمادى الآخرة سنة 1003هـ/1594م)[4] حيث نشأ في كنف والده[5]. وكان لقربه من الأسرة القاسمية الأثر البالغ في تحصيله العلمي ، حيث نال حظًا وافرًا من العلم فصار عالمًا فقيهًا صاحب دراسة ومعرفة دقيقتين بعلوم الدين لا سيما الأصول والفقه منها[6].وهو بذلك حسب المحبي قد: «كان من أعيان الدهر وأفراد العصر علمًا وعملًا ونباهة وفضلًا»[7]. قرّبه الإمام القاسم إليه فكانت له مكانة عالية لديه[8]. فيما ولاه الإمام المؤيد بالله محمد القضاء على نواحي آنس ووصاب وعتمة[9] ، وأبقاه في منصبه كذلك الإمام المتوكل على الله إسماعيل.

وفاته:

لم تتفق المصادر التي أرخت للمؤرخ الجرموزي في تحديد تاريخ دقيق لوفاته ، فلقد ذكر مؤرخ معاصر أن وفاته كانت في (27 ذي الحجة سنة1077هـ/1666م)[10] ، بينما ذكر المؤرخ يحيى بن الحسين في مؤلفه (بهجة الزمن) أن وفاته كانت في (يوم الاثنين السادس من شهر ذي الحجة سنة1076هـ/التاسع من مايو1665م)[11] ووافقه إلى ذلك صاحب (مختصر طيب أهل الكسا) إسماعيل بن أحمد[12] ،

---

١ سالم،سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥)، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١م, ص١١.

٢ سالم،سيد مصطفى: ص١٢.

٣ الجرموزي، المطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار، دراسة وتحقيق، عبد الحكيم الهجري: مجلدين ، مؤسسة الإمام زيد، الأردن،١٢٢٣هـ/ ٢٠٠١م), ١٢/١؛ المصري،أحمد صالح : موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف، مع دراسة و تحقيق مخطوطة (بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام) للمؤرخ محمد بن يحي المطيب، رسالة ماجستير (لم تنشر)قسم التاريخ ،كلية الآداب،جامعة صنعاء، ٢٠٠٦م , ص٩١-٩٢.

٤ السيد، أيمن فؤاد: مصادر تأريخ اليمن في العصر الإسلامي: المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٤م, ص ٢٣٦-٢٣٧.

٥ السيد، أيمن فؤاد: مصادر تأريخ اليمن, ص ٢٣٦-٢٣٧.

٦ الجرموزي: تحفة الأسماع: ص٥/١.

٧ المحبي، محمد أمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، الجزء الثالث، بيروت، دار صادر(د.ت): ٤٠٦/٤.

٨ العمري،حسين بن عبد الله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني،دمشق، دار المختار،١٩٨٠ : ص٨٧.

٩ الجرموزي: تحفة الأسماع: ص٥/١.

١٠ سالم، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (١٥٣٨-١٦٣٥)، المطبعة العالمية، القاهرة، ١٩٧١م: ص ٧٧.

١١ الأمير، أمة الغفور عبدالرحمن علي: الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي(١٠٥٤-١٠٩٩هـ/١٦٤٤-١٦٨٨م)، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحي بن الحسين بن القاسم، صنعاء، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، الطبعة الأولى،١٤٢٦هـ/٢٠٠٨م, ص ٥١٤.

١٢ المتوكل، إسماعيل بن أحمد: مختصر طيب أهل الكساء، تحقيق عبد الله الحبشي، مطابع المفضل، صنعاء، ١٩٩٠م, ص ٩٥-٩٦.

وشاركهما كذلك الجنداري في مؤلفه (الجامع الوجيز) [١٣] وربما كان الأرجح بينهم جميعًا ما أكده مؤرخ محدث: «أن وفاته كانت في شهر المحرم من سنة 1077هـ/1666م»[١٤] استنادًا إلى ما ذهب إليه حفيد المؤرخ الجرموزي ، أحمد بن الحسن في كتابه (عقود الجوهر في أنباء آل المطهر) عن عمر ناهز السبعين عامًا ، وقد ووري جثمانه الثرى في قرية سماه من نواحي مديرية عتمة[١٥] وقبره مشهور مزور.

مؤلفاته:

كتب الجرموزي خلال فترة حياته الحافلة بالعطاء أربعة مؤلفات(مخطوطات) ، ثلاثة منها عن الدولة القاسمية ، أرخ فيها للأئمة الثلاثة: الإمام القاسم بن محمد ، وولديه الإمام المؤيد بالله ، والإمام المتوكل على الله.أما مؤلفه الرابع فقد تناول فيه أخبار ملوك اليمن منذ عهد الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى زمنه.ولم نقف في ما وقع بين أيدينا من مصادر ترجمته على إشارة تثبت انشغاله بالكتابة في مجالات أخرى غير التأريخ ، سوى كتابه (عقود الجوهر). ويكون بذلك كمن تخصص في علم التاريخ فأبدع فيه. وفيما يلي نتناول بالتفصيل نتاجه الفكري ، متمثلًا في مؤلفاته الأربع:

1- النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة

ويتناول هذا المؤلف(المخطوط) [١٦] سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد (ت 9201 ه /9161م) وتعرف هذه السيرة أيضًا باسم (الدرة المضيئة في السيرة القاسمية). وقد تعرض فيها لجوانب حياة القاسم الشخصية والعلمية ، والسياسة والحربية[١٧].

2- الجوهرة المنيرة في تاريخ الخلافة المؤيدية

أفرد الجرموزي كتابه هذا —طبع ككتاب[١٨]- للحديث عن سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم ، منذ توليه الإمامة بعد وفاة أبيه سنة (9201 ه /9161م) ، وحتى وفاته سنة (4501 ه /5361م) تطرق فيه إلى ما تمتع به الإمام من سجايا كريمة ، كالورع والكرم ، وكذا علمه ، وما إلى ذلك من الخصال الحميدة.

3- تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار

تناول فيه الجرموزي سيرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، فعرض في مقدمته للصراع الذي نشب بين أفراد الأسرة القاسمية ، على تولي الإمامة بعد وفاة الإمام المؤيد وهو الصراع الذي انتهى بتولي الإمام المتوكل على الله إسماعيل إدارة شئون البلاد في عام (4501 ه /4461م).وتوقفت أحداث الجرموزي في كتابه هذا عند سنة (4701 ه /3661م) ولا نعلم سببًا لتوقفه عند هذه السنة بالذات ، فالفترة بين وفاته (7701 ه /6661م) وبين التوقف تمتد لثلاث سنوات. ولعله انشغل فيها بكتابة مؤلَّفه موضوع تحفة الإسماع.

4- عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسينية

وهو رابع مؤلفات الجرموزي بعد سيره الثلاث الآنفة الذكر. إلا أنه لم يقدر أهمية هذا الكتاب ، كما يقول الدكتور حسين العمري: (سوى أناس قليلين منهم الشيخ أحمد الجاسر الذي يمتلك نسخة عن الأم المجهولة...) [١٩].تناول مؤرخنا في هذا الكتاب أخبارا من ملك اليمن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم انتهاء بعصره ، فقسمه إلى خمسة عشر فصلًا ، خصص لكل دولة فصلًا (وانتهى فيه إلى سنة 1007 ه- 8951م) في النسخة التي سمعنا بها ، ولا يعرف ما إذا كان لها بقية أو أن ثمة نسخة أخرى أكمل منها..) [٢٠] .

أهمية مخطوطات المؤرخ الجرموزي ومحتوياتها

مخطوطة النبذة المشيرة:

مثلت المرحلة التي عُنيت بها المخطوطة فترة تاريخية هامة من تاريخ اليمن الحديث ، حيث رسمت الخارطة السياسية للبلاد -وقتئذ- في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وجملة الأحداث التي أفرزتها الظروف السياسية نتيجة الصدام بين العثمانيين والإمام القاسم بن محمد ، مكنته من خوض حروب خلال ثورته ضدهم. أدت في نهاية المطاف إلى خروج العثمانيين الأول من اليمن في عام (1635م) كما أبرزت المخطوطة الميزات الهامة والفريدة لهذه الفترة والتي تمثلت في الحنكة السياسية والشخصية القوية للإمام القاسم بن محمد والذي يعتبر من أهم الشخصيات اليمنية في تاريخ اليمن الحديث لدوره الكبير في إرساء دعائم الدولة القاسمية ، وفي حقيقة الأمر فإن المخطوطة تكتسب أهميتها من أهمية الفترة التي أرخت لها ، كونها قد غطت بين دفتيها جميع الأحداث التي دارت وقائعها -وقتئذ- بين الجانبين الإمامي والعثماني ، وهو الأمر الذي لم يتطرق إليه أي من المؤرخين المعاصرين لها ممن كتب عنها بالشكل الذي تناولته هي. أمثال المؤرخ عيسى بن لطف الله في مؤلفه (روح الروح) ، والمؤرخ أحمد بن محمد

---

١٣ الجنداري، أحمد بن عبد الله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي تبريز(مخطوط)، دار المخطوطات، المكتبة الغربية، صنعاء. رقم (٢٥٢٤) , ق١٤٨/أ.

١٤ الجرموزي: تحفة الأسماع, ص٥/١.

١٥ الجرموزي: تحفة الأسماع : ص٦/١.

١٦ صدر ككتاب تحت عنوان: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة,سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد(١٠٠٦-١٠٢٩ هـ /١٥٩٧-١٦٢٠م) للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي، ، دراسة وتحقيق، عبد الحكيم عبدالمجيد الهجري: مجلدين ، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء،١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م)، ؛ الحبشي، عبد الله محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء, اليمن ، ١٩٧٨م, ص٤٢٩ .

١٧ العمري: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني:ص ٨٨ .

١٨ الثور،أمة الملك اسماعيل قاسم :بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم(٩٩٥-١٠٥٤هـ/١٥٨٣-١٦٤٤م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في مجمل من عيون السيرة(جزءان) للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي،الطبعة الأولى،١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م؛ السيد: أيمن فؤاد:ص ٢٣٧-٢٣٨ .

١٩ العمري، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٨م,ص٤٣.

٢٠ العمري، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون,ص٤٤.

الشريف في كتابه (اللآلئ المضيئة) ، وكذلك المؤرخ يحيى بن الحسين[٢١] في مؤلفه (بهجة الزمن في حوادث اليمن) ، ويضاف إلى هؤلاء بعض من الدارسين والباحثين المحدثين مثل الباحثة السعودية أميرة المداح وكتابها (العثمانيون والإمام القاسم).

ولقد تطرقت المخطوطة بشكل ملحوظ إلى دعوة الإمام القاسم بن محمد وثورته التي خاضها ضد الجانب العثماني في مراحلها الأربع والأهم من ذلك كله ما جاء من تناول مؤرخنا لأدق التفاصيل ولكل صغيرة وكبيرة ممن شاهد تلك المعارك التي خاضتها قوات الإمام في الشمال الجبلي ضد العثمانيين لبسط نفوذه عليها.وتبرز أهمية المخطوطة كونها قد تطرقت إلى تلك العلاقات التي كانت قائمة -وقتئذ- بين الإمام وبعض الأقطار العربية ، حيث اهتم الجرموزي بتوثيق الرسائل التي تبودلت بين الإمام القاسم وأشراف مكة.

فيما نلمس أهميتها كذلك في أنها تناولت الجانب الاقتصادي ، من خلال تدوين (المؤرخ) لما حدث من جدب ومجاعات[٢٢] في الشمال الجبلي ، وارتفاع للأسعار كمظهر لتردي وشحة الموارد الاقتصادية ، كما أنها (المخطوط) تناولت الجانب الاجتماعي يتضح ذلك من خلال تطرق المؤرخ الجرموزي للعادات والتقاليد التي كانت سائدة في مجتمعه[٢٣].

وجانب آخر يكتسب قدرًا من الأهمية ، ألا وهو الجانب العلمي ، يتضح ذلك في ذكر المؤرخ لعدد كبير من العلماء والفقهاء[٢٤] الذين عاصروا الإمام القاسم ، وتدوينه للعديد من الرسائل التي كان يبعثها الإمام إلى أولاده حاثًا فيها إياهم بضرورة طلب العلم[٢٥].

(ب) محتويات المخطوطة

1- الأوضاع السياسية:

يعتبر الإمام القاسم بن محمد من أهم الشخصيات اليمنية في تاريخ اليمن الحديث ، حيث برز كشخصية سياسية مع بداية القرن السابع عشر الميلادي ، الذي شهد منعطفًا تاريخيًا هامًا تمثل في احتدام الصراع بين اليمنيين (الإمام القاسم) والعثمانيين.ولقد اهتم المؤرخ الجرموزي في مخطوطته بالتطرق إلى دعوة الإمام القاسم للإمامة ، والصعوبات التي واجهها قبل إعلان دعوته[٢٦] ، كما حرص على الإسهاب في تناول ثورة الإمام في مراحلها (نهضاتها) الأربع ، والعوامل التي أدت إلى قيامها ، ويشير الجرموزي إلى كيفية استغلال الإمام فساد الأوضاع[٢٧] العامة في ولاية اليمن جراء السياسة التي انتهجها العثمانيون في كل جوانب الحياة ، خاصة الاقتصادية[٢٨] منها والاجتماعية[٢٩] ، لكسب ولاء وتأييد الأهالي في مناطق الشمال الجبلي للانضواء تحت راية الثورة. وبيّن السياسة التي اتبعها الإمام مع هؤلاء من خلال الرسائل العديدة[٣٠] التي بعثها إلى زعماء القبائل ، والتي حملت في طياتها المباديء العامة لثورته ، ولإذكاء روح المقاومة لدى الأهالي وحثهم على الثورة ضد العثمانيين[٣١].

وأشار مؤرخنا كذلك إلى موقف القوى اليمنية المعارضة لدعوة الإمام القاسم ، وهم غالبًا من بقايا الأمراء الزيديين من أسرة الإمام شرف الدين ، وأتباع المذهب الإسماعيلي ، وتحالفهم مع العثمانيين في سبيل القضاء على الدعوة وإخماد الثورة[٣٢]. كما تناول السياسة التي عمد إليها الولاة العثمانيون الذين عاصرهم الإمام القاسم خلال سنوات ثورته ، لإضعاف صفوف المقاومة الإمامية والقضاء عليها[٣٣] ، وبين مؤرخنا أيضًا السياسة التي انتهجها الإمام في مفاوضاته مع الجانب العثماني لعقد عدد من اتفاقيات الصلح خلال مراحل ثورته ، وهي صلح سنة (1015هـ/1606م) مع سنان باشا[٣٤] ، وصلح سنة (1016هـ/1607م) مع جعفر باشا[٣٥] ، وصلح سنة (1025هـ/1616م) مع جعفر باشا وانتهاءً بصلح سنة (1028هـ/1617م) مع الوالي العثماني محمد باشا[٣٦]. والذي أفضى إلى الاعتراف به كحاكم فعلي[٣٧] من قبل السلطنة العثمانية لمناطق الشمال الجبلي التي تحت نفوذه.

وقد رسم المؤرخ الجرموزي صورة متكاملة عن الكيفية التي عمد إليها الإمام القاسم لإخماد حركات التمرد والعصيان التي قامت ضده ، فيذكر لنا مثلًا أن الإمام أرسل قوات إلى إقليم صعدة للقضاء على عبد الله بن علي المؤيدي الذي أعلن لنفسه الإمامة[٣٨]. كما أنه دفع بقواته إلى إقليم صعدة كذلك لإخماد التمرد الذي قام به محمد بن عبد الله المؤيدي[٣٩] ، وكانت إجراءاته تلك ضرورة حتمية أملتها الضرورة -وقتئذ- حتى لا تحدث تلك التمردات خلخلة وإرباكًا في صفوف مؤيديه وأنصاره ، بالإضافة إلى قواته خلال ثورته ضد العثمانيين ، ولقد اتبع الإمام السياسة نفسها لإحباط تمرد ناصر صبح الغرباني[٤٠] الذي أعلن الإمامة لنفسه في إقليم الحيمة قبيل وفاة الإمام بقليل ، ويتضح ذلك من خلال الرسالة التي وجهها إلى قبائل الحيمة حذرهم فيها من

٢١ انظر مصادر ترجمته، زبارة، محمد بن محمد: نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة (نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف)، الطبعة الثانية، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، ١٩٨٥م: ٣/٣٣٢-٣٣٥ .

٢٢ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٥٣٣.

٢٣ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٨١٥.

٢٤ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/١٤٠ -١٨٢.

٢٥ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/١٨٢.

٢٦ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢النص:١/٢٠٢.

٢٧ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢الجرموزي:٢/٥٠٠.

٢٨ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢النص:١/٣٠٣.

٢٩ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/٧٩-٨٤.

٣٠ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/٩٤-١٠٤.

٣١ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/١٠٠-١٠٤.

٣٢ الجرموزي:النبذة المشيرة:النص: ق

٣٣ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٥٦٧.

٣٤ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٥٧١-٥٧٦.

٣٥ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٥٧٨.

٣٦ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٨٠٥-٨١٠.

٣٧ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٨١٩.

٣٨ الجرموزي:النبذة المشيرة:١/٣٥٥-٣٩٠.

٣٩ الجرموزي:النبذة المشيرة: ١/٣٥٥-٣٩٠.

٤٠ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢/٨٢٥-٨٢٧.

اتباع الغرباني ولم يكتف الإمام بتحذيراته تلك بل أرسل قوة عسكرية إلى الحيمة للقضاء على تمرد الغرباني وإعادة الاستقرار والهدوء إلى مناطق نفوذه في إقليم الحيمة[٤١].

أما بالنسبة للناحية الإدارية ، فقد نالت جانبًا من اهتمامات الإمام القاسم ، فمن الواضح أن تسيير أمور الأقاليم والمراكز الإدارية التابعة لنفوذه ، لم تكن تخرج عن دائرة سلطته الإمامية ، يساعده في ذلك أبناؤه وكبار رجاله[٤٢] ، والذين أوكل لهم (الإمام) إدارة شؤونها ، وكان هؤلاء على اتصال مباشر به من خلال ما يصلهم من أوامره وتوجيهاته[٤٣] التي يحثهم فيها على رعاية مصالح الأهالي وتسيير شؤون حياتهم[٤٤].وإذا ما انتقلنا إلى الحديث عن الجيش ، سنجد أن المؤرخ الجرموزي لم يشر في مخطوطته النبذة المشيرة إلى قيام جيش منظم بالمعنى الصحيح ، بل كان عبارة عن فرق عسكرية من القبائل بالإضافة إلى تلك الفرق القبلية التي كانت تبادر إلى الانخراط في صفوف القوات الأساسية عند الحاجة إليها[٤٥] ، ويتضح أن الإمام كان هو السلطة المطلقة على الجيش ، فيما أسند مهمة قيادة وتنظيم وصرف رواتب الجنود إلى أبنائه وكبار رجال إمامته[٤٦].

ب- السياسة الخارجية:

للحديث عن السياسة الخارجية خلال فترة الإمام القاسم بن محمد ، يمكن القول إن السيرة لم تشر إلى إقامة علاقات بين الإمام والدول العربية والإسلامية -حينئذ- سوى علاقة مع أشراف مكة و«جيلان وديلمان»[٤٧] يتضح ذلك من خلال الرسائل المتبادلة بين أشراف مكة والإمام القاسم. حيث ذكر الجرموزي أنه في سنة (1007هـ/1598م) قام الإمام بإرسال رسالة إلى الشريف حسن بن نمي وإخوته يشرح له فيها تطورات الأحداث في بلده -وقتئذ- الصراع مع العثمانيين بشكل عام ، وتمرد عبد الله المؤيدي ، الذي أعلن لنفسه الإمامة والفتنة التي حدثت جراء ذلك في صفوف الأهالي في إقليم صعدة ، وقد ضمن الرسالة مناشدة لشريف مكة لمؤازرته ضد الداعي المؤيدي. حيث قال: «...ثم إنّا ندعوكم إلى الله وإلى رسوله ، وإلى جهاد أعداء الله ، وإحياء سنة رسول الله ، وإماتت بدعة أعداء الله»[٤٨].

2- الأوضاع الاقتصادية:

لم يغفل المؤرخ الجرموزي تناوله الحالة الاقتصادية في البلاد ، فهو قد تقص الزراعة ومواسم الأمطار وحالات الجدب والقحط التي شهدتها غالب أقاليم اليمن ، حيث حوت السيرة بين دفتيها مادة لا بأس بها عن هذا الجانب.ومن خلال استقرائنا للمخطوط —النبذة المشيرة- يتضح لنا أن المؤرخ الجرموزي ، استوفى إلى حد ما تناوله عن الجانب الزراعي. ونستطيع القول إن الحروب التي شهدتها مناطق الشمال الجبلي كانت سببًا رئيسًا في تدني الموارد الزراعية خاصة مع ترك الأهالي الاهتمام بمدرجاتهم الزراعية أو الاعتناء بها نتيجة لعدم الأمان والاستقرار جراء احتدام الصراع بين الجانب الإمامي والقوات العثمانية خلال مراحل ثورة الإمام القاسم. لكن هذا لا يعني بالتأكيد ترك الناس الزراعة مصدر قوتهم الأساسي. ويبدو أن شحة الأمطار في المناطق الشمالية ، كانت أن أدت إلى حدوث أزمات غذائية (مجاعات) يتزامن معها بالتالي ارتفاع أسعار الأغذية بجميع أنواعها خاصة منها مادة الحبوب ، يتضح ذلك جليًا حينما يذكر الجرموزي أنه في خلال سنة (1015هـ/1607م) أدت شحة سقوط الأمطار إلى ضعف في إنتاج محصول الحبوب ، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أسعاره «[٤٩].

ومما لا شك فيه أن الأزمات الغذائية ، وما يصاحبها من ترد في أوضاع الأهالي ، تؤدي إلى معاناة هؤلاء بل وربما إلى تذمرهم أو تولد فيهم حالة من اليأس وهو ما قد ينتج عنه اضطراب أحوالهم ، وإزاء تردي الأوضاع الاقتصادية فقد أشار الجرموزي في مخطوطته إلى أن الإمام قد وضع تجاه مثل هذه الصعوبات والأزمات تدابيرًا وحلولًا كفيلة ، ولو بصورة مؤقتة لمواجهات تلك الصعوبات ، فهو (الإمام) قد واجه الأزمة الاقتصادية التي حلت بأغلب مناطق الشمال الجبلي في عام (1028هـ/1618م) بأن طلب من المناطق التي لم يصبها القحط سرعة المبادرة في إرسال الإمدادات الغذائية إلى شهارة لتوزيعها على المحتاجين في تلك المناطق التي تضررت جراء شحة الأمطار وندرتها[٥٠].

ب- المجال التجاري:

في حقيقة الأمر لم تذكر مخطوطة النبذة المشيرة في ما بين دفتيها أي توضيحات تشير إلى الجانب التجاري ، ولعل اهتمامات الإمام السياسية والعسكرية خلال مراحل ثورته كانت قد أبعدته إلى حد ما عن إبداء أي اهتمام بالجانب التجاري ، نتيجة الحروب القائمة -حينئذ- مع العثمانيين والتي حالت دون تحقيق ذلك.إلا أننا نلمس أن مؤرخنا قد ذكر بصورة عابرة بعض الجوانب التجارية ، أظهرت على ما يبدو اهتمام يذكر للإمام في هذا الجانب ، فهو (الإمام) قد أمر ببناء سمسرة[٥١] في الهجر: «قل مثلها في العمائر.. وهي معلومة فإن أهل النظر في العمائر يقولون إن هذه السمسرة ...من عجائب اليمن...»[٥٢]. ويتأكد لنا من هذا البناء البديع كما وصفه المؤرخ الجرموزي أن السمسرة كان الغرض من إنشائها هو استقبال الوفود التي كانت تصل إلى الإمام وكذلك التجار

٤١ انظر لمزيد من التفاصيل سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨-١٦٣٥)، الطبعة الثالثة، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٨م: ٤٣-٤٥.

٤٢ الجرموزي:النبذة المشيرة: ق ٤٥٣،٤٨١،٤٠٠،٣٥٧.

٤٣ الجرموزي:النبذة المشيرة: ق ١٦.

٤٤ الجرموزي:النبذة المشيرة: ق ١٥.

٤٥ الجرموزي:النبذة المشيرة: ق ٣٥٩.

٤٦ الجرموزي:النبذة المشيرة: ق ٣٥٩.

٤٧ الجرموزي:النبذة المشيرة : ق ٣٢٣.

٤٨ الجرموزي:النبذة المشيرة:٤٠٢/١-٤٠٥.

٤٩ الجرموزي:النبذة المشيرة:٥٣٣/٢.

٥٠ الجرموزي:النبذة المشيرة:٦٠٩/٢.

٥١ عرفها الدكتور العمري، في الموسوعة اليمنية: ٥٤١/٢، بأن التسمية كانت تطلق: «على المكان الذي كانت تجري فيه عمليات السمسرة والتجارة ويتبادل فيه التجار البيع والشراء».

٥٢ الجرموزي:النبذة المشيرة:٦٠٨/٢.

للسكن والراحة فيها.ولقد أبدى الإمام في جانب آخر اهتمامًا ملحوظًا في زراعة البن[٥٣] وهو من المحاصيل السلعية التي كانت -وقتئذ- تمثل موردًا اقتصاديًا هامًا جراء عائداته المالية. كونه يصدر إلى خارج البلاد ، ويبدو -للباحث- أن هناك تجارًا اعتمدهم الإمام كوسطاء لشراء هذا المحصول. ولتدعيم جانبه الاقتصادي فقد أمر الإمام خلال إقامته في السودة في عام (1007هـ/1598م) بسك عملة خاصة به ، وهي: «الضربة المنصورية وكانت نصف درهم كتب في جانب منها: لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وفي الجانب الآخر اسمه عليه السلام والتاريخ..»[٥٤] فكان لهذه العملة كما يذكر الجرموزي رواجًا كبيرًا حيث تداولت بين أوساط الناس .

ج-الجانب العمراني:

اهتم مؤرخنا الجرموزي بذكر الأعمال العمراني التي قام بها الإمام ، فهو يشير إلى أن الإمام قام ببناء: «مسجده الجامع في محروس شهارة في رابع محرم الحرام عام خمسة عشر وألف..»[٥٥]. وأقام عددًا من الأماكن الخاصة لطلبة العلم بجانب الجامع[٥٦]. كما أنه أنشأ السمسرة[٥٧] في مدينة الهجر شرقي الأهنوم ، كنزل للوفود والتجار القادمين إلى المدينة.

-3 الأوضاع الاجتماعية:

لم يغفل مؤرخنا الجرموزي بين دفتي مؤلفه النبذة المشيرة الحديث عن الجانب الاجتماعي .. فهو قد رصد أوضاع مجتمعه والحياة الاجتماعية السائدة -فهو مثلاً قد رسم صورة واضحة للفئات والشرائح الاجتماعية القائمة -وقتئذ- ويمكن أن نقسمها -كما ذكرها الجرموزي- حسب درجات القرابة والصلات والتعامل العلمي العام إلى طبقات (شرائح) اجتماعية ،الأولى: وهي طبقة الأشراف: «من أهل البيت وشيعتهم الأعلام»[٥٨].أما الثانية: فهم: «الذين نبلوا في خلافته وكانوا عيونًا في أيام حياته»[٥٩].أما الشريحة الثالثة فقد كانوا من: «الذين عاصروه من كبار رجال دعوته»[٦٠].فيما تكونت الشريحة الرابعة من: «العيون من أكابر الشيعة»[٦١]. أما الخامسة: فهم: «الذين تفقهوا في أيامه وظهر فضلهم ونبلهم في التزام أحكامه»[٦٢].فيما كانت الشريحة السادسة من عامة الناس.

وفي موضع آخر نجد مؤرخنا يورد التركيبة القبلية لمجتمعه حيث برزت

-حسب الجرموزي- في مناطق الشمال الجبلي قبيلتان هما بكيل وحاشد[٦٣] ، وظهرت أهميتهما بالعديد من الفخوذ والبطون المتحدة والمتفرعة منهما.أما في جنوب البلاد (إقليم تعز) فقد برزت مجموعة من قبائل الحجرية مثل قبائل شرجب[٦٤] فيما برزت في أقاليم وسط البلاد قبائل ريمة ووصاب وعتمة ويافع والرصاص[٦٥]. ولقد دأب مؤرخنا على رصد مجتمعه في كل حركاته وسكناته ، كبير أمورها وصغيرها ، فهو يرصد نشاطات بعض المذاهب الدينية ، فهو يذكر (على سبيل المثال) موقف الإمام القاسم من الطائفة الإسماعيلية ودعوته الناس للتصدي لهذه الطائفة ، مخافة أن يتسع محيط دائرتها في أوساط المجتمع»[٦٦].

4- الأوضاع العلمية:

رغم الظروف السياسية القائمة -وقتئذ- بين الجانبين اليمني (الإمامة) والعثمانيين والمتمثلة في احتدام الصراع بينهما خلال ثورة الإمام القاسم في مراحلها الأربع ، إلا أننا نجد ان المخطوطة قد تناولت بين دفتيها الجانب العلمي -كما يذكر الجرموزي- حيث أولى الإمام العلم والعلماء النصيب الأكبر من اهتماماته ومرجعية ذلك هي أن الإمام نفسه كان أحد علماء زمانه ، فقد برع في علوم الدين ، وكان واحدًا من جهابذته تدلنا على ذلك كثرة مؤلفاته منها (الأساس) في الأصول ، و(الاعتصام) في الفقه .

وقد رصد مؤرخنا في سيرته(النبذة المشيرة) قيام الإمام ببناء جامع شهارة وإقامة عدد من الأماكن الخاصة لطلاب العلم بجانب الجامع[٦٧]. وكانت المساجد -وقتئذ- هي مراكز تلقي العلم[٦٨].ولم يقتصر ذكر الجرموزي على اهتمامات الإمام بالجانب الديني وحسب ، بل تعداه إلى جوانب أخرى كثيرة شملت الأدب ، فهو قد ألف الشرح على الحاجبية

٥٣ الجرموزي:النبذة المشيرة: ٦٠٨/٢.
٥٤ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢٨٠/١.
٥٥ الجرموزي:النبذة المشيرة: ٥٨٧/٢.
٥٦ الجرموزي:النبذة المشيرة:٥٨٧/٢.
٥٧ الجرموزي:النبذة المشيرة: ٥٧٨/٢.
٥٨ الجرموزي:النبذة المشيرة:١٤٠/١.
٥٩ الجرموزي:النبذة المشيرة:١٥٦/١.
٦٠
٦١ الجرموزي:النبذة المشيرة: ١٦١/١-١٧٣.
٦٢ الجرموزي:النبذة المشيرة: ١٧٧/١.
٦٣ لمزيد من التفاصيل، انظر: أبو غانم، فضل علي: القبيلة والدولة في اليمن,مطابع الكتاب المدرسي,وزارة التربية والتعليم,صنعاء,(د.ت): ١٠١ وما بعدها؛ شرف الدين، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي، الجزء الرابع، مطبعة المحمدية،١٩٦٧م:ص ٢٦ وما بعدها.
٦٤ الجرموزي:النبذة المشيرة:٢٦٩/١.
٦٥ الجرموزي:النبذة المشيرة:١٧٠/١.
٦٦ الجرموزي:النبذة المشيرة:٥٩٣/٢-٥٩٦.
٦٧ الجرموزي:النبذة المشيرة: ٥٨٧/٢.
٦٨ لمزيد من التفاصيل، انظر مجلة الإكليل، العدد الثاني والثالث, ١٩٨٣م: ٢٩٤.

في النحو[٦٩] ، ولعل اهتمامه (الإمام) بالشعر يفسر تصدر الشعر في العديد من المناسبات التي رصدها المؤرخ الجرموزي في مخطوطته وهي دليل على ازدهار الأدب وبالذات الشعر حيث احتل موقع الصدارة بين غيره من الأجناس الأدبية الأخرى.وتجدر الإشارة أن المؤرخ الجرموزي قد ضمن بين دفتي مخطوطته ذكر عدد غير قليل من العلماء[٧٠] الذين عاصروا الإمام القاسم بن محمد.

5- الظواهر الطبيعية:

لم يقف مؤرخنا في مخطوطته في تناول الموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية بل تعداها إلى رصد الظواهر الطبيعية[٧١].

هكذا نجد أن مؤرخنا الجرموزي قد استوفى في مخطوطته(النبذة المشيرة) ذكر وقائع الأحداث لما شاهده أو نقل إليه من أخبارها خلال معاصرته لفترة الإمام القاسم بن محمد.

(ب) مخطوطة الجوهرة المنيرة وأبرز مواضيعها:

ترجع أهمية هذه المخطوطة إلى الفترة الزمنية التي تسجل أحداثها ، وهي ما يطلق عليها من قبل بعض المؤرخين بالمرحلة الخامسة من ثورة الإمامة القاسمية ، وهي المرحلة التي حمل فيها المؤيد محمد بن القاسم راية الحرب ضد العثمانيين بعد أن تم اختياره ليخلف والده في الإمامة (1029هـ / 1619م) وتلتها المرحلة التاريخية التي تم فيها استقلال اليمن عن الحكم العثماني ، ولذا فأحداث هذه المخطوطة تعبير صادق عن تلك الفترة التاريخية وهي فترة الحرب ثم الاستقلال وبناء الدولة المستقلة[٧٢].

وعلى اعتبار أن مؤرخنا كان شاهد عيان ومن المقربين من الإمامة والسلطة الحاكمة ، وتقلد مناصب ومهام سياسية وإدارية مختلفة ، فقد سجل لنا كل تلك الأحداث التي عاصرها وأعطى تصورًا واضحًا وحيًا لذلك العصر وتلك الأحداث.

أبرز المؤرخ السيرة الشخصية للمؤيد محمد بن القاسم وحروبه ضد العثمانيين ، وفترات الهدنة أو الصلح. واهتم بكل الأحداث التاريخية المتعلقة بحصار المدن وخروج العثمانيين منها ، ونزوحهم إلى سواحل تهامة ، وتم شرح كل الظروف السلبية والإيجابية التي صاحبت تلك الحروب والحصار بالنسبة للعثمانيين أو الجيش الإمامي على السواء ، وقد أفرد صفحات كثرة للشخصيات المؤثرة في سير تلك الأحداث مثل الحسن والحسين وبقية الشخصيات التي شاركت في تلك المرحلة[٧٣].

وقد سجل لنا المؤرخ الجرموزي كل المصاعب والمشاكل التي واجهت الإمام المؤيد محمد أثناء الحرب وحصار المدن ، والصعوبات التي واجهها عند جمع التموينات الغذائية والمادية للجيش الإمامي المرابط

المتوكلية من غرائب الأخبار:

تعتبر المرحلة التي تناولتها المخطوطة من أهم المراحل التاريخية لليمن الحديث ، كونها قد حددت الملامح والمعالم للسياسة اليمنية في القرن السابع عشر الميلادي بمافيه من مجريات الأحداث التي أفرزها الواقع السياسي خلال هذا القرن. حيث أطلت اليمن في هذه الحقبة التاريخية على العالم كدولة مستقلة عن الدولة العثمانية تحظى بمكانة مرموقة. وجاء تناول المخطوطة لهذه الحقبة الزمنية من تاريخ اليمن الواحد متسمًا بالوضوح والجلاء التامين ، فأبرزت الميزات الهامة والفريدة لهذه الفترة والتي تمثلت في الحنكة السياسية والشخصية القوية للإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم بن محمد الذي يعد -بحق- إحدى الشخصيات اليمنية الهامة في تاريخ البلاد ، فقد استطاع أن يحدد موقع اليمن على الخارطة السياسية حين بدأ بتوحيد اليمن تحت لواء دولة مركزية تحافظ على سيادته واستقلاله ، خصوصًا بعد استقلاله عن الدولة العثمانية في عام (4501 ه /5361م) بينما كان معظم العالم العربي-ما عدا المغرب- يرزح في هذا الوقت تحت سيطرتها ، الأمر الذي جعل من هذه الفترة نقطة تحول هامة رسمت بعمق ملامح اليمن المستقل.وللحديث عن الأهمية التاريخية للمخطوطة ، فإنه يمكن القول أنها قد اكتسبت أهميتها من أهمية الفترة التي أرخّت- كما أشرت آنفًا- إلا أنه توجد هناك عدة جوانب أضفت عليها المزيد من الأهمية والفوائد الأخرى ، ذلك أنها تناولت هذه الفترة الهامة ، على نحو أوفى حيث غطت جميع أحداثها ومجريات الأمور فيها ، ومن الأهمية بمكان أن نشير هنا إلى أن المستشرق البريطاني الكبير الراحل سرجنت (ت 3991م)-وهو أحد كبار المختصين المعاصرين- قد أوضح في كتابه (صنعاء: مدينة إسلامية عربية) أهمية المخطوطة بقوله: (إنها تُمثل قطعة كتابية جيدة وبارزة ، بالنظر إلى مدى تغطيتها للأحداث ، واختياراتها ، وعرض مادتها ، ونادرًا ما تقارن بالتواريخ العربية لأي فترة) [٨٠].

يتضح لنا مما سبق ذكره ، الأهمية التاريخية للمخطوطة وسنتطرق إلى المواضيع الأساسية التي تناولها المؤرخ الجرموزي في مخطوطته.

1- الأوضاع السياسية

أ- السياسة الداخلية:

ذكر مؤرخنا الصعوبات التي واجهت المتوكل على الله في بداية عهده بالحكم ، والمتمثلة في تلك الدعوات التي زاحمت المتوكل في دعوى الإمامة[٨١] ، والتي حسمت في نهاية الأمر عبر مُناظرة -مع غيره ممن دعا لنفسه بالإمامة- في التاسع من شوال سنة (1054 ه /1644م) احتواها (مجلس عام لجميع أهل العلم وأهل الفضل)[٨٢]. حيث أفضى

٦٩ الجرموزي:النبذة المشيرة:٩٠/١.

٧٠ الجرموزي:النبذة المشيرة:١٤١/١-١٨١.

٧١ الجرموزي:النبذة المشيرة: ٨١٤/٢.

٧٢ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٦/١.

٧٣ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية: ١٧٧/١.

٨٠ Serjeant R. B. Lewcock: Sanaa An Arbian islmic City, London, ١٩٨٣ p: ٧٩.

٨١ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢٤٣ ٢/١.

٨٢ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢٤٣ ٢/١.

إلى تأكيد المجتمعين لأحقية الإمام المتوكل بالإمامة ، لتوافر جميع شروطها فيه. ثم عمد الإمام المتوكل بعد أن وطد دعائم حكمه ، إلى اتخاذ ضوران عاصمة له ، لوقوعها في جانب آنس الحصين ، والذي يصعب السيطرة عليه ، إضافة إلى كونها مركزًا سياسيًا وقتئذ. ولكي يثبت سلطته-كما يذكر الجرموزي في سيرته- شرع الإمام في إخماد عددٍ من حركات التمرد والعصيان في أكثر من منطقة ، كما حدث مع الشيخ يحيى بن روكان ، في بلاد خولان[٨٣].كذا ما جرى في شرعب سنة (1059 ه /1649م) حين رفض أهلها تسليم ما يخص الدولة من واجبات[٨٤]. والحوادث غير هذه كثيرة.

وقد قام المؤرخ الجرموزي بإعطاء صورة متكاملة عن الكيفية التي درج عليها الإمام في تعامله مع مدبري حركة العصيان تلك ، ولم تكن تلك الإجراءات نتيجة لضعف الدولة في السيطرة على الأوضاع ، وإنما كان ذلك لضرورة حتمتها هذه الأوضاع ، تمثلت بالحاجة إلى كسب هؤلاء حتى لا يتكرر ذلك في قبائل أخرى. يضاف إلى ذلك أن الإمام اتبع سياسة الترهيب مع رؤساء القبائل ، وذلك من خلال ما جسدته رسائله التي كان يوجهها إليهم للدخول في طاعته ، والانضواء تحت الدولة الأولى [٨٥].كما يورد لنا مؤرخنا في — تحفة الإسماع -نموذجًا آخر من أشكال التمردات ، تمثل في موقف الطائفة الإسماعيلية (المكارمة) ، وهي أقلية توزعت بين همدان المجاورة لصنعاء ، ويام نجران في الشمال منها ، وحراز غربًا ، وقد شكلت بمواقفها العدائية للأئمة-على مر تاريخ الأئمة في اليمن- مصدر إزعاج وإقلاق للدولة وأمنها. فيذكر الجرموزي أنها بدأت تنشط وبشكل كبير في تلك المناطق[٨٦]. وقد كان أن عالج الإمام هذه المسألة باستخدامه وسائل التهديد والوعيد لمن ينخرط (في هذا المذهب)[٨٧].

ويوضح الجرموزي في سيرته السياسية التي اتبعها الإمام مع الأهالي ، وما أولاه من اهتمام بأمور معيشتهم ، حيث يذكر أنه كان يتفقد: (المظالم التي بين القبائل عمومًا ، وبين أهل كل بلدٍ خصوصًا وأقام القضاة للفصل)[٨٨] في قضايا الناس.هذا فضلًا عن تتبعه-أي الجرموزي- للزيارات التي يقوم بها الإمام للعديد من المناطق[٨٩] لتفقد أحوال الرعية والنظر في شكاويهم والبت فيها ، حيث تمكن الإمام بنهج سياسته هذه من خلق جوٍ من الشعور بالأمان والطمأنينة بين الأهالي ، خاصة بعد ما عاشوه من قلق وخوف ، وعدم استقرار أثناء التواجد العثماني ، لما مارسه ضدهم من ظلم ، وما جلبته عليهم الحروب من ويلات ومآسي.

٨٣ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢٩٦/١.
٨٤ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢/ ٧٤٨-٧٤٩.
٨٥ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع:٦٨٦/٢-٦٨٧.
٨٦ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع:٣٠٥/١-٣٠٦.
٨٧ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع:٢٤٣/١ .
٨٨ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع:٢٤٣/١ .
٨٩ ⁰ الجرموزي: تحفة الإسماع:٢٩٦/١-٢٩٧, ٣٠٣/١-٣٠٤، ٦٠٨/٢-٦١٠.

على أبواب المدن أو في سواحل وقفار تهامة ، ولم يهمل المؤرخ شرح التمردات والثورات وحالات العصيان التي واجهت الإمام وأخيه الحسين في الفترة التي تلت وفاة الحسن ، وكيف تمكن الإمام المؤيد محمد من حل وتدبر كل تلك المصاعب والمشاكل ، وكبح طموح الطامعين والمتطلعين للنفوذ والسلطة. وأبرز المؤرخ سياسة الإمام المؤيد محمد في هذا الجانب ومدى قدرته على حل كل تلك المشاكل[٧٤].

وقد تطرقت المخطوطة لمختلف المواضيع الاقتصادية والزراعية والمناخية ، فقد تعرضت لمواسم الأمطار والزراعة ، وحلول فترات الجفاف والقحط والفاقة الاقتصادية والمعيشية التي واجهتها أقاليم مختلفة من اليمن ، وشرح اهتمام الإمامة بالموانئ والتجارة ، ووضع القوانين المنظمة لهذه الشؤون ، وشرح اهتمام الحسن والحسين كذلك باستصلاح الأراضي الزراعية والتوسع في زراعتها خاصة زراعة البن[٧٥].

وقد اهتم المؤرخ الجرموزي بإبراز المآثر العمرانية التي حرص على إقامتها مختلف رجال السلطة في ذلك الحين وعلى رأسهم الإمام المؤيد والحسن والحسين أبناء الإمام القاسم ، وبما أن المخطوطة كانت في مجملها سردًا للأحداث السياسية والعسكرية ، إلا أنها تطرقت لبعض الأوضاع الاجتماعية المتعارف عليها في ذلك الحين ، ومثل العادات القبلية والمصطلحات العامية[٧٦].

وكان للرسائل الكثيرة والمختلفة أهميتها التي حرص على تسجيلها المؤرخ الجرموزي في المخطوطة ، وأسهمت تلك الرسائل في توضيح وجهات النظر المختلفة للإمام المؤيد محمد وللأطراف الأخرى التي حاول الإمام مراسلتها ، إما لجمع الأنصار المؤيدة لدولته ، أو لإقامة علاقات وطيدة تثبت سياسة دولته المستقلة[٧٧].

كما تطرق المؤرخ الجرموزي إلى مسألة اجتماع وتوحيد كل الآراء على اختيار المؤيد محمد للإمامة خلفًا لوالده ، إلا أن الأمر لم يخل من بعض المعارضين الذين تم شرح وجهات نظرهم وآرائهم من الإمامة ومن السياسة الإدارية المتبعة في ذلك الوقت ، وتم شرح كل هذا في الفصول السابقة لهذا العرض[٧٨].

واهتم المؤرخ بتسجيل- بمخطوطته- وإثبات كل الأشعار والمراثي والوصايا الخاصة بالحسين بن القاسم والإمام المؤيد محمد ، ثم عرض الاختلافات في وجهات النظر حول من يخلف الإمامة بعد وفاة المؤيد محمد بن القاسم ، وشرح كيف تم اختيار إسماعيل بن القاسم ، وإزاحة أحمد بن القاسم عن الإمامة[٧٩].

(ج): مخطوطة تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة

٧٤ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٧/١.
٧٥ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٨/١.
٧٦ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٧/١.
٧٧ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٨/١.
٧٨ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٨/١.
٧٩ ⁰ الثور، أمة الملك : بناء الدولة القاسمية:١٧٨/١.

ورسم مؤرخنا وبدقة متناهية صورة واضحة للسياسة التي أتبعها الإمام كخطوة أولى لمد نفوذه إلى مدن ومناطق عدن ولحج وأبين والشعيب ويافع وبني أرض، وبلاد الرصاص وبلاد العولقي والفضلي[٩٠]، بغرض ضمها في إطار الدولة الواحدة. وقد لجأ الجرموزي بتقديم هذه الصورة عن سياسة الإمام في المرحلة الأولى، إلى رصد الوقائع والأحداث والمعارك -على نحو مفصل- التي خاضتها قوات الإمام بقيادة أحمد بن الحسن بن القاسم مع قبائل تلك المدن والمناطق. كما

بين وبشكل أوسع العملية النهائية، والهادفة إلى توحيد اليمن تحت لواء دولة مركزية واحدة، امتدت سطوتها فسيطرت على حضرموت[٩١]، وما جاورها من مشرق اليمن وجنوبه، وشكلت بذلك موردًا اقتصاديًا هامًا، كونها حلقة وصل بالتجارة الخارجية، ولاحتوائها على عدد من الموانيء-كالمكلا والشحر- يضاف إلى ذاك تأمين حدود الدولة الجديدة مع جيرانها في الجانب الآخر. وأثبت لنا مؤرخنا-في هذا الخصوص- عددًا من الرسائل[٩٢] التي جرى تبادلها بين الإمام والسلطان بدر بن عمر الكثيري، قبل وبعد السيطرة -على حضرموت وظفار والشحر.

أما بالنسبة إلى الناحية الإدارية فلم يُفصِّل مؤرخنا — في مخطوطته تحفة الإسماع - أي استحداث لأية أنظمة إدارية في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل، إلا أنه من الواضح أن أمور الدولة وتسيير مصالح الأمة لم تكن تخرج عن دائرة السلطة للإمام وحده، يساعده في ذلك ولاة المدن وحكام النواحي الذين أوكل إليهم-الإمام- إدارة شؤنها، وهؤلاء كانوا على اتصال مباشر بالإمام، وكان ارتباطهم به عبر ما يصلهم من أوامره وتوجيهاته- عبر رسائله إليهم- يحثهم فيها على رعاية مصالح الناس وتسير شؤن حياتهم[٩٣]. وإذا ما انتقلنا للحديث عن التقسيمات الإدارية فسنجد أن مؤرخنا لم يتطرق إلى ذلك في سيرته، حيث لم يذكر أي إجراء يتعلق بهذا الجانب ولو ضمنًا، وهو ما يمكن تفسيره من أن الإمام المتوكل على الله إسماعيل قد أبقى على التقسيمات الإدارية العثمانية[٩٤] السابقة.

وللحديث عن الجيش يمكن القول إن السيرة -كما لمسنا من مطالعتنا لها- لم تشر إلى قيام جيش منظم بالمعنى الصحيح-كما هو في عصرنا الحالي- حيث كان غالب الجيش عبارة عن فرق من القبائل، ممن كان يهمها كسب المغانم كما هي العادة أثناء الحروب، وسنرى أن تلك الفرق لم تكن مستقرةً في أماكن أعدت خصيصًا لهذا الغرض- معسكرات- وإنما كانت القبائل إذا ما دعت الضرورة تلبي-كما يقول الجرموزي- نداء الحرب عند سماعها (النفير)[٩٥].

٩٠ الجرموزي: تحفة الإسماع :٦٦٦/٢-٦٦٨.
٩١ الجرموزي: تحفة الإسماع :٨٥٩/٢,٨١٠/٨٦٥-٨٦٦.
٩٢ الجرموزي: تحفة الإسماع : ١٧٧/١, ١٧٨-٧٦٦/٢ -٧٦٨.
٩٣ الجرموزي: تحفة الإسماع ::٣٠٥/١-٣٠٦, ٣١٠/٢-٣١١.
٩٤ انظر لمزيد من التفاصيل، سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني: ٤٩٥.
٩٥ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٦٧٣/٢-٦٧٤.

ب- السياسة الخارجية:

لم يقتصر مؤرخنا الجرموزي في سيرته على ذكر سياسة الإمام الداخلية فحسب- كما أشرنا آنفًا- بل اهتم بتتبع السياسة الخارجية ورصد معالمها، وما كانت عليه من نهج، وذلك من خلال ذكره- في سيرته- لتلك العلاقات التي أقامها الإمام المتوكل، مع عدد من الأقطار العربية والإسلامية، وبعض من الدول الأوربية.لذا اختص العديد من صفحات السيرة ليضمنها تلك الرسائل التي تبودلت بين الإمام وعدد من رؤساء تلك الأقطار.ومما يورده الجرموزي في هذا الجانب ذكره لما شهدته علاقة الإمام بأشراف مكة من تطور كبير وملحوظ- وهي العلاقة التي كان أخوه الإمام المؤيد بالله محمد قد بدأها بعد خروج العثمانيين من اليمن- وأسس لها في عهده، وهو ما سنلمسه بوضوح من خلال تلك الرسائل التي وثّقها-مؤرخنا- في سيرته التي تبودلت بين الجانبين.

فمثلًا يذكر الجرموزي أنه في سنة (1064 ه /1653م) قام الشريف زيد بن محسن[٩٦] بإرسال رسالة إلى الإمام يشرح له فيها تطورات الأحداث في بلده، وما كان من تبعات نتيجة خلافه مع ابن عمه الشريف عبدالعزيز بن إدريس[٩٧]، يناشده فيها (إمداده بالمال ويستطلع رأيه... في معاملة ابن عمه)[٩٨] إلا أن الإمام-إلتزامًا منه بثوابت سياسة الدولة الخارجية- رأى ذلك شأنًا داخليًا بين الأشراف في مكة فدعا إلى ضرورة الصلح بين الأطراف المتنازعة[٩٩].

وفي ظل تنامي قوة الإمام كان أن ارتأى بسط نوع من النفوذ الاسمي على الحجاز تبعًا لما يذكره الجرموزي في سيرته، ففي عام (1068 ه /1657م) قام الإمام المتوكل بإرسال الفقيه الحسين بن يحيى النحوي إلى بلاد ينبع وما والاها من بلاد الحجاز (للتعليم والإرشاد)[١٠٠] فرحب به أهل ينبع حيث (أقيمت الجمعة ودعوا الناس للإمام، ورفعوا مناره وأعلنوا شعاره)[١٠١]. على أن الشريف زيد بن محسن قد رأى أن تصرفًا كهذا يُعَدُّ تدخلًا في شؤونه الداخلية، هذا إلى جانب خشيته من العثمانيين -الذين كانوا يفرضون سيطرتهم آنذاك على مكة والحجاز- ومن بطشهم فـ (عظم عليه...أن يُتَّهَم من قبل السلطنة)[١٠٢]. وحسمًا لتفاقم الأمر بين الطرفين، وتردي العلاقات بينهما، أمر الإمام بعودة الفقيه النحوي في سنة (1071 ه /1660م) إلى البلاد[١٠٣].

ولم تكن علاقة الإمام تنحصر بأشراف مكة والحجاز، بل إنها امتدت لتشمل الأحساء والقطيف -من جهات نجد- فكان أن وصل اليمن عام (1095 ه /1649م) الشريف عبدالقادر بن نعمة الله بن الحسين،

٩٦ الجرموزي: تحفة الإسماع ::٣١٩/١-٣٢٠.
٩٧ الجرموزي: تحفة الإسماع: ٣١٩/١-٣٢٠.
٩٨ الجرموزي: تحفة الإسماع :٣١٩/١-٣٢٠.
٩٩ الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٢٠/١-٣٢١ .
١٠٠ الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٢٦/١-٣٢٧.
١٠١ الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٢٨/١-٣٢٩.
١٠٢ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٣٢٨/١-٣٢٩.
١٠٣ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٣٣٠/١-٣٣١.

على رأس وفد كبير ، كسفير من حاكم الأحساء[١٠٤] لتعميق أواصر العلاقة بينهما ، والتي لم تقف عند حدود تبادل الرسائل والهدايا بين الطرفين وحسب ، بل جاوزت ذلك إلى (...موالاة أهل تلك الأطراف بحسن الولاء والإجابة والإشادة بذكر الإمام في تلك الأقطار ، والدخول في الطاعة...)[١٠٥].

أما بالنسبة لعلاقة الإمام بالحُكَّام اليعاربة (سلطنة عمان حاليًا) فقد كانت على الضد من علاقته بالأشراف في مكة ، حيث ظلت في تأرجح مستمر مدًا وجزرًا. ومثلت فترة ضم الإمام لحضرموت والشحر وظفار أكثر المراحل اشتدادًا وتأزمًا في هذه العلاقة ، حيث وجد الإمام نفسه -بعد سيطرته على تلك المناطق- أمام قوة بحرية كبيرة- في يد الطرف الآخر تتحكم بخطوط سير السفن البحرية ، مما حتم عليه أن يحمي منافذه البحرية التجارية على طول الساحل الممتد من حضرموت إلى الشحر. يتضح ذلك عند ذكر مؤرخنا للهجوم الذي قامت به قوات اليعاربة على جعفر بن عبدالله الكثيري ، الذي كان واليًا على ظفار بحجة اعتداءاته على السفن التجارية في البحر ، وقد تمت مراسلة القائد العسكري أحمد بن الحسن ، أثناء تواجده في حضرموت حين أفاده (إن الله سبحانه وتعالى مكّنا من هذا الضال الضلول ، وقد أخرجناه من البندر ، والتصرف لكم فيه وفينا...)[١٠٦].

وأشار مؤرخنا-في سيرته- إلى واحدة من العلاقات المهمة والتي حرص الإمام على إبقائها وهي علاقته بالدولة العثمانية. وإن كانت غير مباشرة بالسلطان العثماني ، إلا أننا نلمسها بوضوح من خلال إستقرائنا للمخطوط ، مثلًها تعامله -أي الإمام- مع الدويلات التي كانت تخضع للسيطرة العثمانية. فهو مثلًا يذكر أن الإمام رفض مد الشريف زيد بن محسن بالمال والسلاح لحسم خلافه مع ابن عمه الشريف عبدالعزيز بن إدريس[١٠٧] ، في عام (1064 ه /1653م) لأنه كان يرى أن تدخله سوف يثير عليه الدولة العثمانية التي كانت تبسط نفوذها على أراضي مكة والحجاز آنذاك.ومما يدعم ما ذهبنا إليه في وجود علاقة كهذه- علاقة الإمام بالدولة العثمانية- هو ما كان من رفض الإمام للتعاون مع درويش بن محمد ، الذي قام بثورة على الوالي العثماني أحمد باشا في الحبشة[١٠٨].

ويبين مؤرخنا علامات ذلك الحرص ، بشكل أكثر وضوحًا عند ذكره ما كان من تجاهل الإمام لمطالب وفد قدم من العراق ، من مدينتي البصرة وبغداد عام (1074 ه /1663م) ، يحمل شكوى ضد الوالي العثماني حسين باشا ، لما يمارسه من ظلم ضد الأهالي هناك ، وكان يطلب (...المعونة...على استنقاذهم من أيدي الروم...)[١٠٩].وتطرق المؤرخ الجرموزي في مخطوطته_تحفة الإسماع - أيضًا إلى تلك العلاقات التي أقامها الإمام المتوكل على الله إسماعيل مع الدولة الصفوية (إيران حاليًا) حيث ربطته علاقة ودٍ وصداقة قوية ، يمكن الاستدلال عليها من خلال تلك الرسائل[١١٠] والهدايا المتبادلة بين الجانبين ، والتي وثقها الجرموزي في سيرته.فيما شهد عهد الإمام المتوكل على الله تطورًا ملموسًا ، على مستوى العلاقات مع الدولة المغولية (الهند حاليًا) ، حيث تبودلت العديد من الرسائل بين الإمام والسلطان شاه[١١١] جهان ثم من بعده ابنه السلطان محمد أوزنكريب[١١٢].وسنرى أن الإمام حرص من خلال هذه الرسائل على إيضاح فضائل آل البيت على المسلمين ووجوب طاعتهم ، كما شدد على ضرورة إقامة الشريعة الإسلامية ، وهو ما يمكن أن نلمسه في إحدى رسائل السلطان محمد أوزنكريب إلى الإمام عام (1071 هـ/1660م) يستأذنه فيها تطبيق أحكام الشريعة في بلاده ، وكان أن رد عليه الإمام-كما ذكر مؤرخنا-بالموافقة على طلبه هذا بقوله: (...وجعلنا لكم ولاية عامة في جميع الأقطار التي تحت وطأتكم...وأذنّا لكم في جهاد المخالفين ومنابذة الظالمين ، وإقامة الحدود على أهلها ، وأخذ الحدود من أربابها...)[١١٣]. ونستشف من خلال هذه الرسالة ، نوعية العلاقة القائمة بين الإمام وسلاطين الدولة المغولية ، حيث كانوا يرون في الإمام مرجعيتهم الدينية-كإمام الأزهر حاليًا- يرجعون إليه في العديد من أمورهم الدينية.إلا أن ما زاد من توثيق الصلة بين الجانبين يرجع في نظرنا إلى عامل هام يتمثل في العلاقة التجارية التي كانت قائمة بين اليمن والدولة المغولية (الهند) حينذاك ، ويتضح ذلك بشكل أكبر من وجود ذلك العديد الكبير من التجار البانيان[١١٤] في أكثر من موضع في اليمن.

وارتبط الإمام المتوكل على الله إسماعيل كذلك بعلاقة جيدة مع بلاد الحبشة -والتي كانت تضرب جذورها منذ القدم- بحكم علاقة الجوار بين البلدين. وقد قدم لنا الجرموزي صورةً واضحةً لعمق تلك العلاقة ، من خلال توثيقه لرحلة الحبشة[١١٥] كاملة في سيرته ، والتي قام بها الحيمي بناء على تكليف من الإمام لمقابلة إمبراطور الحبشة فاسيلاداس (ت 1078 ه /1667م).وسنرى أنه في الوقت الذي شهدت فيه اليمن قيام علاقات بينها وبين بلدان من العالمين العربي والإسلامي؛ نجد أنها لم ترتبط بأية علاقات مع الدول الأوربية ، باستثناء بعض التبادل التجاري مع كل من هولندا وبريطانيا[١١٦].

---

١٠٤ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٩٦٥-٩٦٦.

١٠٥ الجرموزي: تحفة الإسماع: /٩٦٥-٩٦٦.

١٠٦ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢/٨٦٨-٨٦٩, ٢/٨٧٠-٨٧١.

١٠٧ الجرموزي: تحفة الإسماع : ١/٣١٩-٣٢٠.

١٠٨ الجرموزي: تحفة الإسماع : ١/٣٣٠-٣٣١ .

١٠٩ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٩٦٦-٩٦٨.

١١٠ الجرموزي: تحفة الإسماع : ١/١٦٧-١٦٩, ١/١٩٨-١٩٩.

١١١ وهو محي الدين الملقب عالم كير (١٦١٨-١٧٠٧م) سادس أباطرة المغول في الهند(المنجد: ٨٩).

١١٢ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٨٨٨-٨٨٩ .

١١٣ الجرموزي: تحفة الإسماع :٢/٩٠٨-٩٠٩.

١١٤ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٧٤١-٧٤٢.

١١٥ الجرموزي: تحفة الإسماع : ١/٣٩٢-٣٩٦.

١١٦ لمزيد من التفاصيل، انظر: سالم، سيد مصطفى: الفتح العثماني: ٦١-١٩٩)؛ وراجع اليمن والغرب: ماكرو إريك: تعريب حسين العمري: (١٩-٣٥).

ولم يذكر لنا الجرموزي تفاصيل تذكر وجود تبادل تجاري بين تلك الدولتين واليمن ، عدا ذكره من أنه كان لهاتين الدولتين (...مواضع في المخاء معتادة...تجتمع إليهم بضائعهم وغالبها الجوخ وما غلا من الأمتعة...)[١١٧].

كما رصد -مؤرخنا- بالتفصيل أعمال القرصنة[١١٨] التي كانت تمارسها سفن هاتين الدولتين ، طمعًا منها في السيطرة على التجارة المارة في البحرين الأحمر والعربي ، وأتبعها -أي الجرموزي- بذكر الإجراءات التي اتخذها الإمام لحماية بلاده إزاء مثل تلك الأعمال.

3 -الأوضاع الاقتصادية:

مما لا يختلف فيه اثنان أن الجانب الاقتصادي رديف أساسي للجانب السياسي لاكتمال بناء الدولة ، ولعله ومن حسن الحظ أن الجرموزي لم يغفل الحالة الاقتصادية في البلاد وتسقط أخبار الأسعار ومواسم الحصاد ، لهذا نجد أن السيرة قد حوت بين دفتيها مادةً غزيرةً عن هذا الجانب ، وعن نواحي البلاد بشكل عام. والجرموزي في هذا المنحى شأنه شأن غيره من مؤرخي المدرسة العربية الإسلامية الكلاسيكية. واهتم مؤرخنا بشكل خاص برصد المتغيرات الاقتصادية التي حدثت إبان حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل.وفيما يلي سنحاول إيضاح ما ذهب إليه مؤرخنا من خلال مجالات هامة وهي:

أ- المجال الزراعي.

ب- المجال التجاري.

جـ- النهضة العمرانية.

أ- المجال الزراعي:

نجد أن الجرموزي عند ذكره -في سيرته- للمجال الزراعي قد رسم لنا صورةً حيةً عن الوضع الزراعي في اليمن خلال حكم الإمام المتوكل ، واستوفى-إلى حد ما-جوانبها عرضًا وتفصيلًا ، تؤكد أن اليمن قد اعتمد اعتمادًا كليًا على إنتاجه المحلي من الحبوب.على أننا نعلم جميعًا أن المناطق شحيحة الأمطار ، كثيرًا ما تكون عرضة لحوادث أزمات غذائية -كالمجاعات- يصاحبها ارتفاع في أسعار الأغذية بجميع أنواعها ، واليمن وهي إحدى الدول التي تتخذ من مياه الأمطار مصدرها الوحيد للزراعة ، تتعرض بين فترة وأخرى لشحة في الأمطار ، مما ينجم عنه الكثير من المشاكل في هذا الجانب[١١٩]. كما أوضح الجرموزي —في مخطوطته- اهتمام الدولة بالمجال الزراعي ، ومثّل إقامة السدود وتعميرها واحدًا من جوانب هذا الاهتمام ، يذكر منها الجرموزي ترميم سد الإمام[١٢٠] في صنعاء -على سبيل المثال- والذي استفادت من ترميمه عدد من الأراضي الزراعية حيث (..سقى أهل شعوب أموالهم من الجراف والروضة والحشيشة..)[١٢١] ولم يقف هذا الاهتمام عند هذا الحد ، بل تعداه إلى شق القنوات وحفر الغيول[١٢٢].

ب- المجال التجاري:

لم يكن النجاح الذي حققته الدولة في المجال التجاري بأقل منه في المجال الزراعي ، فقد شهدت اليمن خلال حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل حركةً تجاريةً واسعةً ، وهو الأمر الذي عاصره الجرموزي ، حيث رصد- في سيرته- جانبًا من مظاهر الحياة التجارية حينذاك ، فهو يشير مثلًا إلى وجود التجار البانيان -وهم من الهند- بأعداد هائلة حتى وصل الحد بهم -لكثرتهم- أن (كل مدينة أو سوق لم يخل منهم...)[١٢٣].ولقد لعب هؤلاء التجار كما يوضح ذلك مؤرخنا ، دورًا كبيرًا في التبادل التجاري وشؤون المال ، فمال الناس (إليهم للشراء منهم والاستدانة والمرابحة في أموالهم...)[١٢٤]. إلاَّ أن الإمام رأى أن وجود هؤلاء التجار البانيان بأعداد كبيرة ، وما يمارسونه من احتكار للتجارة واستغلال لظروف الناس المعيشية -بما يمارسونه من مرابحة في أوساط الناس- قد يؤدي إلى احتكار قبضتهم على اقتصاد البلاد. وهو ما كان يستدعي تحركًا من قبل الدولة لتفادي الوصول إلى وضع كهذا. فكان أن قام الإمام سعيًا منه للحد من نفوذهم التجاري ببعض الإجراءات ، والتي يذكر منها مؤرخنا ما قام به في عام(1059 ه /1649م) من فرضه للجزية عليهم ، على أن يكون (...على كل نفر قرشًا في كل شهر...)[١٢٥] مقابل إقامتهم في البلاد ، غير أن غالبيتهم رفضت دفع الجزية (...وعادوا إلى الهند وهو الذي أراد -عليه السلام- من تقليلهم...)[١٢٦] ويذكر المؤرخ الجرموزي أن الإمام اهتم أيضا بالمدن الساحلية ، وبالتحديد الموانيء البحرية فيها ، وهو ما أشار إليه حين ذكر أنه أثناء زيارة أحمد بن الحسن لمدينة عدن في عام (1072 ه /1661م) أمر ببناء (الداير المتصل بالساحل مما يلي البحر نحو نصف ميل[١٢٧]. كما أبدى الإمام المتوكل على الله إسماعيل حرصه الشديد على سن الأنظمة والقوانين التي تحدد معايير التعامل بين التجار والأهالي ، وهو ما وضحه الجرموزي ، حيث أشار إلى تفقد الإمام في إحدى زياراته لمدينة صنعاء في سنة (1072 ه) (قانون المدينة)[١٢٨]

اليمن: (٧٠).

١١٧ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٩٤٥/٢-٩٤٦.

١١٨ () الجرموزي: تحفة الإسماع :) ٩٥٠/٢-٩٥٢.

١١٩ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٦٣١/٢-٦٣٢ .

١٢٠ () كان يقع شرقي شعوب بمدينة صنعاء. (راجع العمري: مائة من تاريخ

١٢١ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٣١٩-٣٢٠ .

١٢٢ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٦٠١/٢-٦٠٤.

١٢٣ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٧٤٢/٢-٧٤٣.

١٢٤ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٧٤٢/٢-٧٤٣.

١٢٥ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٧٥١/٢ .

١٢٦ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٧٥١/٢.

١٢٧ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٩٥٦/٢.

١٢٨ () القانون يحدد التعاريف والأسعار، والضرائب، للسلع المعروضة في السوق، إضافة إلى أنه حدد الأجرة اليومية للعمال في كافة المهن القائمة حينذاك مثل العمارة،

-وهوالمسمى بقانون صنعاء-والذي سنه في عام (1066 ه /1655م). وبازدياد حركة النشاط التجاري بين اليمن والعالم الخارجي ، ابتدأ تأسيس نظام جمركي للبضائع الواردة ،[١٢٩].ولما كانت العملة تعد أساسًا للاستقرار الاقتصادي والمعيشي في أي بلد ، ولذلك نجد أن مؤرخنا الجرموزي لم يغفل هذا الجانب في سيرته وقد ذكر -كمبدأ متعارف عليه- أن الإمام أمر أثناء إقامته في شهارة سنة (1056 ه /1646م): (بإقامة دار الضرب فيها[١٣٠].فكان لهذه العملة كما يشير الجرموزي رواجًا كبيرًا ، وتداولها الناس حتى أنها وصلت إلى (مكة والمدينة)[١٣١].

ولقد تطرقت السيرة إلى تلك العلاقات التجارية التي أقامها الإمام المتوكل على الله إسماعيل مع الهند[١٣٢].ولم تكن العلاقات التجارية تنحصر بالهند وحدها ، بل كانت هناك علاقات تجارية مع دول أخرى كتلك التي مع كل من مكة والحجاز[١٣٣] ، وإيران[١٣٤] ، والحبشة[١٣٥]. وأما بالنسبة للدول الأوربية فيوضح مؤرخنا أن اليمن أقامت علاقات غير مباشرة مع كل من هولندا وبريطانيا ، فهو يذكر أنه كان لتجار تلك الدولتين (مواضع في المخاء لبيع التجارة مثل الجوخ والأمتعة الغالية)[١٣٦].

ج- النهضة العمرانية:

لقد كان من الطبيعي أن يصاحب ذلك الانتعاش الاقتصادي والتجاري حركة دللت عليها الكثير من الشواهد التي أبدى الجرموزي حرصه في تدوينها في مخطوطته تحفة الإسماع[١٣٧] وأوضح مؤرخنا كذلك اهتمام الدولة بالمدن الرئيسية التجارية ، والتي تعكس الصورة الحضارية في اليمن أمام العالم الخارجي. فهو يذكر أن أحمد بن الحسن أقام العديد من المنشآت الحيوية في مدينة عدن (1072 ه /1661م) حيث استدعى عددًا من (العمارين من بلاد يافع واليمن وصنعاء لتعمير الدوائر وخاصة الدائر المتصل بالساحل ، وكذلك عمر دار السعادة والتي كانت دار الإمارة ، ثم عمر ستة دوائر غيرها)[١٣٨] يضاف إلى ذلك قيامه بترميم وإصلاح بعض مدارس[١٣٩] العلم في المدينة.

3-الأوضاع الاجتماعية:

في إطار حديثنا عن الأوضاع السياسية والاقتصادية ، يمكن ملاحظة الأثر الكبير الذي انعكس على الوضع الاجتماعي ، وبهذا الخصوص أورد مؤرخنا بين دفتي مخطوطته ما يوضح ذلك ، حيث برزت -استنادًا للجرموزي- في مناطق ألوية صنعاء وحجة شمال البلاد قبيلتان هما: حاشد ، وبكيل ، ظهرت أهميتهما بالعديد من الفخوذ والبطون المتحدة والمتفرعة منها.وفي مناطق تعز وإب -ما كان يسمى باليمن الأسفل- برزت مجموعة من القبائل[١٤٠]-كما يتبين في المخطوطة- كان لها محيطها المؤثر.أما بالنسبة لمدينة عدن ولحج ويافع وحضرموت ، فكان للقبائل فيها دورها البارز الذي لعبته في التاريخ السياسي لفترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، حيث يشير مؤرخنا إلى أن قبائل (يافع ، بني بلاد الرصاص..المصعبين..العوالق ، آل كثير ، وبلاد الفضلي والعمودي ، وما والاها إلى حضرموت)[١٤١] جابهت القوات الإمامية في بدايات مد نفوذه إليها.

الأوضاع العلمية:

شهد عصر الإمام المتوكل على الله إسماعيل نهضةً علميةً وفكريةً لا مثيل لها ، كانت وليدة للاستقرار السياسي والاقتصادي ، حيث (نبغ علماء وأدباء كبار في اليمن في حقبة تدنى فيها الفكر العربي الإسلامي...)[١٤٢].وليس بغريب أن تشهد الحركة العلمية ذلكم النمو والازدهار ، طالما وجدت الدولة التي ترعى متطلبات نهوضها ، والدولة في عهد الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، كما يذكر لنا الجرموزي ، قد جسدت هذه الرؤية خير تجسيد ، فكانت النموذج الأول في ذلك ، حيث أولت العلم والعلماء النصيب الأكبر من أجل اهتماماتها المختلفة ، وحفظت لهم مكانتهم العالية ومرجعية ذلك هو أن الإمام نفسه كان -وهو أكبر باعث لهذا الاهتمام- أحد علماء زمانه ، وكان قد برع في علوم الدين ، وتتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم[١٤٣].

وكانت المساجد هي مراكز تلقي العلم ، حيث لم تكن توجد في تلك الفترة ، أماكن بعينها عُدت لهذا الغرض -كالمدارس والجامعات ، وغيرها من دور العلم الحديثة- فكانت المساجد بمثابة المدارس[١٤٤].

لمزيد من التفاصيل انظر: السياغي: قانون صنعاء؛ د/ العمري: الموسوعة اليمنية: ٦٥٠/٢-٦٥٢؛ العمري أيضًا في مجلة الإكليل، العدد الثاني والثالث: (١٩٨٣: ١٠٤-١٠٥).

١٢٩ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٨٠٩/٢.

١٣٠ () الجرموزي: تحفة الإسماع : النص:٣٠٤/١- ٣٠٥.

١٣١ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٠٥/١.

١٣٢ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٩٢٧/١-٩٣١.

١٣٣ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٢٨/١.

١٣٤ () الجرموزي: تحفة الإسماع : ٩٦٠/١-٩٦٤ .

١٣٥ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٣٣٢/١-٣٣٣.

١٣٦ () راجع العمري، يمانيات: (٤٧-٥٠).

١٣٧ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٦٠٥/٢-٦٠٦.

النجارة، والمقاصة..وبين فيما أورده أيضًا البضائع المحلية التي يمارس بيعها التجار.

١٣٨ () الجرموزي: تحفة الإسماع : النص:٩٥٥/٢-٩٥٦.

١٣٩ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٩٥٦/٢.

١٤٠ () لمزيد من التفاصيل راجع العمري, حسين بن عبد الله: مائةعامنتأريخاليمن الحديث،دارالفكردمشق١٩٨٤م: ١٣٠.

١٤١ () الجرموزي: تحفة الإسماع :٦٧١/٢-٦٧٨.

١٤٢ () العمري: مائة عام من تاريخ اليمن: (١٦).

١٤٣ () الجرموزي: تحفة الإسماع :١١٨/١-١١٩.

١٤٤ () لمزيد من التفاصيل. انظر: مجلة الإكليل. العدد الثاني والثالث: ١٩٨٣م:

وإزاء تزايد أعداد طلاب العلم ، وخصوصًا الوافدين إلى المراكز العلمية

في المدن ، اهتمت الدولة ببناء المنازل لغرض (إقامة الدَرَسَة)[١٤٥] وهيأت لهم الظروف المعيشية فيها؛ ولأن صنعاء قد مثلت أيامها واحدًا من أهم المراكز الإسلامية العلمية البارزة في ذلك الوقت ، فقد أمّها عدد غير بسيط من العلماء العرب والمسلمين ، أمثال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الجوهري[١٤٦] ،والشيخ العارف منصور بن يوسف بن منصور المصري الأزهري[١٤٧] ، ويذكر مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته ، بأن هؤلاء العلماء قد تلقوا كل اهتمام ورعاية من قبل الإمام ، حيث أمن لهم محل إقامتهم ، وهيأ لهم سائر جوانب معيشتهم الأخرى. بل وأكثر من ذلك ، حيث يشير إلى تلك الجلسات العلمية التي عقدها الإمام معهم ، والتي تبودلت خلالها العديد من المناقشات والمناظرات الدينية القيمة ، ولقد اتخذ بعض من هؤلاء العلماء من اليمن مقرًا دائمًا لإقامتهم ، مثل الإمام المحّدث عبدالرحيم اللاهوري الهندي الذي (تعلق بجانب الإمام للحمة العلم)[١٤٨].

ولم يقتصر ذكر الجرموزي على اهتمامات الإمام بالجانب الديني وحسب ، بل تعداه إلى جوانب أخرى كثيرة ، شملت الأدب الذي كان -كما يقول مؤرخنا- محل اهتمام خاص لديه ، وقد ضمن مؤرخنا بين دفتي مخطوطته ذكر العديد من العلماء[١٤٩] الذين عاصروا الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، وكانت لهم بصماتهم على الحياة الفكرية ، وأثروا المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات. نذكر منهم على سبيل المثال أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال (ت 1092 ه /1681م) ، والحسين بن يحيى بن محمد السحولي (ت1073 ه /1662م) ، وأحمد بن سعيد الهبل (ت1061 ه /1650م) ، وعبد القادر المحيرسي (ت1077 ه /1666م) ، وأحمد بن يحيى بن أحمد حابس الدواري (ت1061 ه /1650م).

5- الظواهر الطبيعية:

لم يقتصر مؤرخنا الجرموزي في مخطوطته على التطرق للموضوعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية منها ، بل سعى إلى رصد الظواهر الطبيعية ، كَسُير النجوم ومواسم الأمطار ، وسقوط الشهب ، ووقوع الصواعق ، وهبوب العواصف ، مماعاصر حدوثها أيام حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل [١٥٠].ونجده أيضًا يتتبع مواسم هطول الأمطار [١٥١].ويتطرق مؤرخنا كذلك إلى ذكر ظواهر كونية [١٥٢].وهكذا يكون مؤرخنا قد استوفى في مخطوطته ، ذكر وقائع الأحداث لما شاهده أو نُقل إليه من أخبارها خلال معاصرته لفترة حكم الإمام المتوكل على الله إسماعيل ، الأمر الذي جعل من مخطوطته ودراستها وتحقيقها وإخراجها إلى حيز الوجود ضرورة تستوجبها الأهمية التي اكتسبتها هذه المخطوطة ، إلى جانب الأهمية التي اكتسبتها الفترة الزمنية التي أرخت لها ، والتي تعد واحدة من أهم الفترات الزمنية- كما أشرنا في بداية دراستنا- في التاريخ اليمني الحديث.

(د)مخطوطة عقد الجواهر البهية في معرفة المملكة اليمنية والدولة الفاطمية الحسينية:

وهو رابع مؤلفات الجرموزي بعد سيره الثلاث الآنفة الذكر. إلا أنه لم يقدر أهمية هذا الكتاب ، كما يقول الدكتور حسين العمري: (سوى أناس قليلين منهم الشيخ أحمد الجاسر الذي يمتلك نسخة عن الأم المجهولة...) [١٥٣].تناول مؤرخنا في هذا الكتاب أخبار من ملك اليمن منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم انتهاءًا بعصره ، فقسمه إلى خمسة عشر فصلًا ، خصص لكل دولة فصلًا وانتهى فيه إلى سنة(1007 هـ - 1598م) في النسخة التي سمعنا بها ، ولا يعرف ما إذا كان لها بقية أو أن ثمة نسخة أخرى أكمل منها..) [١٥٤]

أهمية مؤلفات المؤرخ المطهر الجرموزي

مثلت المرحلة التي عنيت بها مؤلفات- مخطوطات- المؤرخ الجرموزي فترة تاريخية هامة من تاريخ اليمن الحديث ، حيث رسمت الخارطة السياسية للبلاد -وقتئذ- في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين وجملة الأحداث التي أفرزتها الظروف السياسية لتلك الفترة كما أبرزت تلك المؤلفات الميزات الهامة والفريدة لهذه الفترة والتي تمثلت في الحنكة السياسية والشخصية القوية للإمام القاسم بن محمد وولديه من بعده الإمام المؤيد بالله محمد والإمام المتوكل على الله إسماعيل والذين يعدون من أهم الشخصيات اليمنية في تاريخ اليمن الحديث لدورهم الكبير في إرساء دعائم الدولة القاسمية(١٥٥).وفي حقيقة الأمر فإن تلك المؤلفات تكتسب أهميتها من أهمية الفترة التي أرخت لها ، كونها قد غطت جميع الأحداث التي دارت وقائعها -وقتئذ- بين الجانبين الإمامي والعثماني وخلال فترة الاستقلال إبان حكم الإمام المتوكل على الله اسماعيل ،

٢٩٤-٢٩٧

١٤٥ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٦٦٧-٦٧٠.

١٤٦ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٦٦٧-٦٧٠.

١٤٧ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/٦٥٧.

١٤٨ الجرموزي: تحفة الإسماع : ٢/ ٩٢٢.

١٤٩ الجرموزي: تحفة الإسماع:١/٢٢١, ٢/٧٤٩

١٥٠ الجرموزي: تحفة الإسماع:٢/٦٥١-٦٥٤.

١٥١ الجرموزي: تحفة الإسماع:١/٣٦٦-٣٦٧.

١٥٢ الجرموزي: تحفة الإسماع:١/٣٦٧.

١٥٣ العمري، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٩٨٨م،ص٤٣.

١٥٤ العمري، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون،ص٤٤..

١٥٥ () العمري، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون،: ص ٥٨.

في ختام هذا البحث نوصي بالتالي:

ضرورة الاهتمام بالمخطوطات الوقفية ليستفيد منها طلاب العلم والباحثين.

ضرورة الاهتمام بمخطوطات المؤرخين اليمنيين في تاريخ اليمن الحديث- التي لم تحقق- ودراسة نتاجهم العلمي.

توجيه طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ (شعبة التاريخ الحديث والمعاصر) في الجامعات الحكومية والأهلية لتحقيق المخطوطات في هذا المجال ، لإبراز الأحداث والوقائع التاريخية لهذه الفترة.

الاهتمام بمراكز الأبحاث العلمية وتقديم التسهيلات لنسخ وطباعة المخطوطات التي في المكتبات العامة والخاصة.

الاهتمام بالمكتبات الخاصة المحتفظة بالمخطوطات ، وتقديم وسائل الدعم لها للحفاظ عليها.

إعادة نسخ المخطوطات التي سربت للخارج وتوفيرها للمراكز البحثية.

إلزام وزارة التربية والتعليم بإدراج نبذة بسيطة عن أهمية المخطوطات وكيفية الحفاظ عليها في مناهج التعليم الإعدادي والثانوي وبشكل يتناسب مع مداركهم ومفهوماتهم.

ضرورة التوعية الإعلامية بأهمية المخطوطات من خلال أجهزة الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات

الجنداري ، أحمد بن عبد الله: الجامع الوجيز في وفيات العلماء أولي تبريز ، دار المخطوطات ، المكتبة الغربية ، صنعاء. رقم (2524) .

ثانيًا: المصادر والمراجع:

الأمير ، أمة الغفورعبدالرحمن علي: الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي(1054-1099هـ/1644-1688م) ، مع تحقيق بهجة الزمن في تاريخ اليمن للمؤرخ يحي ين الحسين بن القاسم ،صنعاء ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية ،الطبعة الأولى ،1429هـ/2008م.

أبو غانم ، فضل علي: القبيلة والدولة في اليمن,مطابع الكتاب المدرسي,وزارة التربية والتعليم, صنعاء, (د.ت).

الثور ،أمة الملك اسماعيل قاسم :بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم(995-1054هـ/1583-1644م) مع تحقيق مخطوطة الجوهرة المنيرة في مجمل من عيون السيرة(جزءان) للمؤرخ المطهر بن محمد الجرموزي ،الطبعة الأولى, مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية, صنعاء ،1429هـ/2008م.

الجرموزي ، المطهر بن محمد: تحفة الأسماع والأبصار بما في السيرة المتوكلية من غرائب الأخبار ، تحقيق: عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ، الأردن ، 2001م.

الجرموزي ، المطهر بن محمد: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة, ,سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد(1006-1029هـ /1597-1620م) ، دراسة وتحقيق ، عبدالحكيم عبدالمجيد الهجري: مجلدين ، مؤسسة الإمام زيد ، صنعاء ،1442هـ/ 2021م.

الحبشي ، عبد الله محمد: مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ، مركز الدراسات والبحوث ، صنعاء, اليمن ، 1978م.

الحداد ، محمد يحيى: تاريخ اليمن السياسي:خمسة أجزاء ، دارالتنوير ، بيروت ،1986م

زبارة ، محمد بن علي: نبلاء اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة (نشر العرف لنبلاء اليمن بعد الألف) ، الطبعة الثانية ، مركز الدراسات والبحوث اليمني ، صنعاء ، 1985م.

سالم ، سيد مصطفى: المؤرخون اليمنيون في العهد العثماني الأول (1538-1635) ، المطبعة العالمية ، القاهرة ، 1971م.

سالم ، سيد مصطفى: الفتح العثماني الأول لليمن (1538-1635) ، الطبعة الثالثة ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، 1978م.

شرف الدين ، أحمد حسين: تاريخ اليمن الثقافي ، الجزء الرابع ، مطبعة المحمدية ،1967م.

الشوكاني ، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق الدكتور حسين بن عبد الله العمري, جزءآن ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، 1419هـ/ 1998م.

العرشي ، حسين أحمد: بلوغ المرام في شرح مسك الختام في من تولى اليمن من ملك وإمام ، نشرها وحققها الأب ، انستاس ماري الكرملي ، مطبعة البرتيري ، القاهرة ، 1939م.

العمري ،حسين بن عبد الله: مصادر التراث اليمني في المتحف البريطاني ، دمشق ، دار المختار ،1980 ،

العمري ، حسين بن عبد الله: مائة عام من تأريخ اليمن الحديث : دار الفكر ، دمشق ، 1984م.

العمري ، حسين بن عبد الله: المؤرخون اليمنيون في العصر الحديث: دار الفكر المعاصر ، دمشق ، 1988م.

ماكرو, أريك: اليمن والغرب ،تعريب حسين بن عبد الله العمري ، دمشق ، 1978م.

المتوكل ، إسماعيل بن أحمد: مختصر طيب أهل الكساء ، تحقيق عبد الله الحبشي ، مطابع المفضل ، صنعاء ، 1990م .

المحبي ، محمد أمين: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ، الجزء الثالث ، بيروت ، دار صادر.

الواسعي ، عبد الواسع بن يحيى: تأريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث تأريخ اليمن ، الطبعة الثانية ، مكتبة اليمن الكبرى ، صنعاء ، 1991م.

ثالثا :الرسائل العلمية :

المصري ،أحمد صالح :موقف المؤرخين اليمنيين المعاصرين للحكم العثماني الأول بين مؤيد ومخالف ، مع دراسة و تحقيق مخطوطة (بلوغ المرام في تاريخ دولة مولانا بهرام) للمؤرخ محمد بن يحي المطيب ، رسالة ماجستير (لم تنشر) ،قسم التاريخ ،كلية الآداب ،جامعة صنعاء ، 2006م.

رابعا: الدوريات

الحييد ، عبد الله حامد: المطهر بن محمد الجرموزي ومؤلفاته عن الدولة القاسمية ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثامن ، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب ، بغداد(د.ت).

مجلة الإكليل. العدد الثاني والثالث, صنعاء, 1983م.

خامسا:المصادر الأجنبية

1-Serjeant R. B. Lewcock: Sanaa An Arbian islmic City , London , 1983

قسم التاريخ والعلاقات الدولية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صنعاء

طمس الهوية اليمنية من بوابة المواقع الأثرية والتاريخية

تقرير/ خليل المعلمي

تُعد اليمن بمختلف مناطقها الجغرافية والإدارية متحفًا مفتوحًا احتضن على امتداد العصور الدويلات اليمنية التي صنعت الحضارة منذ فجر التاريخ الإنساني قبل الميلاد بآلاف السنين ، وكانت صانعة الحضارة والتاريخ منذ ذلك التاريخ وحتى يومنا هذا ، فخلفت وراءها كمًا هائلًا من المعالم الأثرية والمواقع التاريخية وعدد كبير من القطع الأثرية المعبرة عن الحقب التاريخية المختلفة التي مرت بها اليمن ، وتكاد لا تخلو منطقة إلا وبها معلمًا أثريًا أو موقعًا تاريخيًا ، كمسجد أو حصن أو قلعة تاريخية أو مدينة أثرية متكاملة أو جرف أو متحف طبيعي أو بقايا مدينة قديمة تحوي آثارًا وتماثيل وغير ذلك.

وتكمن الأهمية التاريخية لهذه الآثار باعتبارها نتاج إحدى الحضارات الإنسانية الأولى ، ومنها خرجت موجات الهجرة -لظروف طبيعية عديدة- إلى مناطق الشام وبلاد الرافدين ، فأصبحت اليمن أصل العرب ورافدها الرئيس.

«يعد التراث الثقافي تراثًا إنسانيًا وتنص القوانين الدولية على حمايته أثناء الحروب»

آثارنا هي هويتنا

لا يخفى على العالم أجمع الأهمية التي تحتلها الآثار اليمنية التاريخية ، فاليمن تحوي جذور التاريخ والآثار خلال الفترات السحيقة من قبل أكثر من 9 آلاف سنة ، فآثارنا هي هويتنا ، وبلادنا معروفة على مستوى العالم بغزارة آثارها ورونقها التاريخي.. ونعرف أهمية الموقع الجغرافي لليمن ولهذا فالحضارة اليمنية هي موقع اهتمام وأنظار العالم أجمع ، فاليمن تحتل مكانة كبيرة بين الأمم وهذه المكانة لم تأت من فراغ بل من تطور حضاري لليمنيين في إنشاء المدن وتشييد السدود وبناء المعابد ، ونقوش اليمن تدل على حضارة ومكانة وعلم وفكر الإنسان اليمني ، وقد كتب عنها الكثير من المستشرقين الأوروبيين والمهتمين العرب.

استهداف المعالم والمواقع الأثرية

تعرضت الكثير من المواقع الأثرية والمعالم التاريخية في 2015م لقصف الطيران فتعرضت الكثير من هذه المواقع والمعالم لأضرار وخسائر متفاوتة فهناك من المعالم ما تم تدميره كليًا ، ومنها ما تعرض لأضرار وخسائر جزئية ، وقد سعت الهيئة العامة للآثار والمتاحف إلى توثيق وتسجيل المعالم التي تعرضت للقصف وتحديد حالة الضرر (جزئي أم كلي) ، وأصبح هناك إحصائية كاملة بكافة هذه المعالم ، والكشف لا يزال مفتوحًا ويتم توثيق كل حالة اعتداء جديدة.

وبحسب هذه الإحصائية فهناك أكثر من 80 موقعًا أثريًا ومعلما

تاريخيًا تم تدميره وهي موثقة بكافة التفاصيل ، فهناك أكثر من 60 موقعًا تم استهدافه من قبل الطيران و20 موقعًا استهدفت من قبل التنظيمات الارهابية (القاعدة) ، ويشمل الكشف جميع المعالم والمواقع التي تضررت واستهدفت ليس في مناطق معينة بل في جميع المناطق اليمنية في الشمال والجنوب والشرق والغرب.

كان أول تاريخ استهداف على هذه المواقع والمعالم في 1 ابريل 2015م ، حيث تم استهداف (مسجد حمراء علب) والذي يقع في دار الحيد بمديرية سنحان بمحافظة صنعاء ، وهو مسجد صغير يعود للفترة التاريخية الإسلامية ، بني من الأحجار مربع الشكل بمقاسات 6*2متر ، بداخله قبر الإمام عبدالرزاق الصنعاني المتوفى سنة 211هـ ، حيث تم تدميره تدميرًا كليًا.

وفي نفس اليوم تم استهداف مدينة صعدة التاريخية وتم تدمير أجزاء كبيرة منها ، وهي مدينة تاريخية يحيط بها سور ، تتكون من مجموعة من المساكن التاريخية والمساجد الأثرية والحمامات والأسواق القديمة أدرجتها منظمة اليونسكو في قائمة الانتظار من بين المدن التي ستدرج ضمن قائمة التراث العالمي وقد تم استهدافها عدة مرات ، ومن ثم

توالت الضربات على مختلف الأماكن التاريخية والمعالم الثقافية ، وكل هذه المواقع موثقة ومسجلة لدى الهيئة العامة للآثار والمتاحف.

ومع تداعيات انفلات الأمن في الكثير من المناطق في تعز وعدن وحضرموت وأبين ولحج وغيرها ، خلت الساحة للتنظيمات الإرهابية في استهداف الأضرحة والقباب والمعالم الدينية التي تعبر عن تاريخ حافل بالحضارة والتشييد والبناء لليمنيين في العصر الإسلامي ، فكان من أبرزها جامع ومقام عبدالهادي السودي في تعز ، وقبة الفازة في تهامة.

عاصفة على التاريخ

في العام 2018م أصدرت وزارة الثقافة كتابًا توثيقيًا مصورًا عن المعالم الأثرية والمواقع التاريخية التي استهدفت بصنعاء خلال السنوات الماضية تحت عنوان "عاصفة على التاريخ" ، ويعتبر الكتاب وثيقة هامة ، حيث تضمن صورًا لكل معلم أثري أو موقع تاريخي قبل الاستهداف وبعد الاستهداف ، وتحديد موقعه ونوعه ، والفترة التاريخية التي بني فيها ، ونوع التدمير إن كان جزئيًا أم كليًا ، ونوعية التدمير هل بالقصف الجوي أم بالديناميت ، ومن هي الجهة المعتدية ، وتاريخ الاستهداف ، وهي قراءة متكاملة من خلال صورة ناطقة وباللغتين العربية والانجليزية ، كما سعت الوزارة أيضًا لإعادة ترميم العديد من هذه المعالم ، بدعم من السلطات المحلية وبمشاركة القطاع الخاص أيضًا ، وبدعم من الصندوق الاجتماعي للتنمية.

قضية لا تسقط بالتقادم

أن الجرائم التي ارتكبت في استهداف المواقع والمعالم الأثرية والتاريخية جريمة مكتملة الأركان بحق التراث الإنساني للبشرية وهي جريمة لن تسقط بالتقادم ، وتتحمل الجهات المعتدية المسؤولية القانونية عن هذا التدمير وهذا الاستهداف بحق هذه المعالم والمواقع الأثرية والتاريخية ، وإذا لم يستطع هذا الجيل مقاضاتها عبر المحاكم المتخصصة محليًا ودوليًا فلا شك أن الأجيال القادمة ستحمل على عاتقها متابعة القضية.

«تم توثيق أكثر من 80 موقعًا أثريًا ومعلمًا تاريخيًا دمرت خلال السنوات الماضية»

عقدة الهوية والحضارة

تشير الكثير من الدراسات العلمية إلى أن المجتمعات التي لا تاريخ لها أو حضارة أو هوية ، يتملكها حقد وعدوانية طافحة ضد المجتمعات ذات العراقة والأصالة والتاريخ والحضارة ، وبالتالي عندما تسمح لها الفرصة في السيطرة ، فإنها لا تتوانى في طمس ومسح وتدمير كل معالم الحضارة والعمران البشري في المجتمعات التي تعتدي عليها ، وهذا ما حدث من قبل بعض الدول تجاه اليمن من خلال استهدافهم للآثار اليمنية والمعالم الحضارية التي اكتسبها اليمن على مر العصور ، من خلال قصف المناطق التي لم يستطع الوصول إليها مثل حي القاسمي بمدينة صنعاء القديمة ومتحف ذمار الإقليمي الذي تم استهدافه بغارة

جوية عام 2015م ، وهو يضم 12500 قطعة أثرية ، ولم يتم الحصول من بين الانقاض سوى على 5000 قطعة ، فيما تعرض متحف تعز للنهب من الجماعات المسلحة لبيع القطع الاثرية التي كانت بداخله لسماسرة الآثار ، كما تم استهداف العديد من المعالم والمراكز الثقافية في عدد من المحافظات.

تهريب الآثار

لم تكتف هذه الدول باستهداف المعالم والمواقع الأثرية والتاريخية ولكنها شرعت من خلال أدواتها في المناطق التي تسيطر عليها بعمليات السرقة للآثار معتمدة على سماسرة في تهريب الآثار اليمنية والحصول عليها وعرضها في متاحفها ، مثل الآثار التي تم عرضها في متحف اللوفر في أبوظبي.

وساعد في عملية التهريب وجود مليشيات مسلحة في المناطق الجنوبية والشرقية فعاثتا الفساد في هذه المناطق وقامتا بإثارة الفوضى والاستفادة من ذلك لتهريب الآثار اليمنية.

دور اقليمي

وقد كشف باحث أمريكي متخصص في الآثار أن عصابات تهريب الآثار قامت بسرقة آثار يمنية وقامت بتهريبها لتبيعها لبعض الدول ومنها أمريكا ، وأكد الباحث "الكسندر ناجل" أن هناك أكثر من الآلاف من القطع يتم سرقتها بشكل دوري.. مضيفا أن عددًا من تجار الآثار تقمصوا دور الباحثين والدارسين والمنقبين من أجل تنفيذ مخطط السرقة لتاريخ يتحدث عن اليمن ، فعملوا على تهريب عدد من الآثار

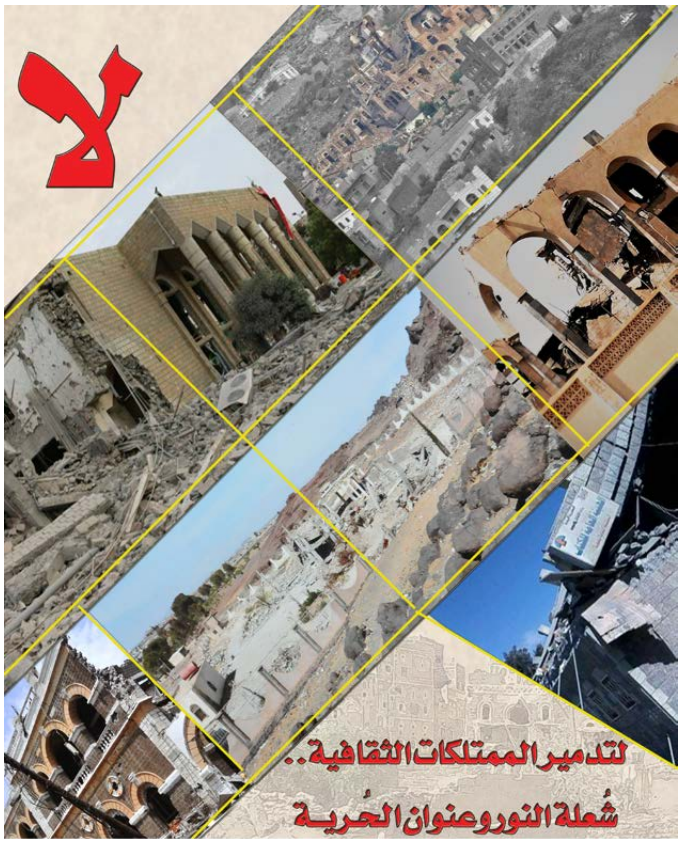

إلى أمريكا وأصبح لديهم متاحف تحتوي قطع بملايين الدولارات وأن أحدهم بلغت ثروته 34 مليون دولار.

وكشف هذا الباحث أنه يتم تهريب قطع الآثار من اليمن عبر بعض الدول الاقليمية قبل وصولها إلى الولايات المتحدة ، وأكد تورط العديد من المستكشفين والأكاديميين والدبلوماسيين في تهريب الآثار من اليمن.

تهريب ممنهج

من جانبها كشفت عدد من اللجان الدولية عن تهريب ممنهج تمارسه أدوات وأذرع خارجية للآثار اليمنية ، ما اعتبرته نكسة للحضارة البشرية والتاريخ الإنساني ، وبحسب هذه اللجان ، فقد تم تهريب الآلاف من القطع الأثرية ، وأن قيمة القطع قد تراوحت بين 5 آلاف دولار و100 ألف دولار تعود إلى حقبة ما قبل الإسلام ، وقد احتوى متحف اللوفر – أبوظبي على القدر الأكبر من تلك القطع ، فيما توزع البقية على متاحف أخرى وعائلات ثرية في عدد من الدول ، كما تم بيع الكثير منها في مزادات خاصة في أوروبا وأميركا.

التعدي على جزيرة سقطرى

تعتبر جزيرة سقطرى إحدى المناطق الطبيعية التي لم تطالها يد الإنسان في التغيير والتحوير ، وقد تم إدراجها ضمن قائمة التراث العالمي من قبل منظمة اليونسكو ، كما تم إعلانها محمية طبيعية في العام 2000م ، لما تحتويه من طبيعة خلابة وتنوعي حيوي ونباتي فريد ، حيث تعرضت إلى تهريب عدد من النباتات النادرة التي تختص بها الجزيرة ومنها شجرة دم الأخوين لإعادة زراعتها خارج اليمن ، وهذا يخالف القوانين اليمنية التي تمنع إخراج أي صنف نباتي أو حيوي من الجزيرة ، كما تم سرقة كميات كبيرة من أحجار الشعاب المرجانية والطيور النادرة وغير ذلك من الاعتداءات.

إحصائيات

وتشير الإحصائيات إلى أنه قد تم بيع قرابة مائة قطعة في مزادات علنية ، أما خلال أقل من عشر سنوات ، فقد بيع ما لا يقلّ عن مائة قطعة أثرية من اليمن في مزادات علنية بمبالغ تُقدَّر بمليون دولار أميركي في كلّ من الولايات المتّحدة وأوروبا والإمارات ، وتشملُ تلك القطع نقوشًا قديمة وتماثيل ومخطوطات تعود إلى العصور الوسطى ، بحسب ما تم الكشف عنه موقع "لايف ساينس" المختصّ في العلوم والآثار.

وتعد هذه القطع الأثرية بحسب خبراء الآثار حلقات علمية متسلسلة ، تدل على مستوى تطوّر حضارة من الحضارات علميًا وثقافيًا وفنيًا وعسكريًا ، ومراحل ذلك التطور وتنوّعه مكانيًا وزمانيًا ، وبالتالي فإن عملية تهريبه وبيعه تُفقد البلد حلقةً علمية من حلقات هويته التاريخية ، مشيرين أن من شأن ذلك أن يُحدث فجوةً تاريخية كبيرة ، فاليمنيّون برعوا في كثير من العلوم والآداب والفنون ، لكنَّ كل ذلك يظلُّ مجرّد حديث ما لم تكن هناك آثار تؤكّده.

«تراث أي دولة إنما هو حلقة في سلسلة متصلة عن قصة الإنسان منذ ظهر على سطح الأرض حتى الآن»

قيمة التراث الثقافي

تمثل وتصنف المعالم والمواقع التاريخية والأثرية والدينية ضمن التراث الثقافي والديني للشعوب ، وتكمن قيمة التراث الثقافي وأهميته باعتباره تراثًا إنسانيًا يجسد عبقرية شعب ، ويشكل حلقة من حلقات التطور الثقافي والحضاري للإنسان ، وما يؤكد هذه الأهمية أن ضياع أي أثر أو فقده يشكل خسارة كبرى لا تعوض لا للدولة صاحبة الأثر فحسب بل للإنسانية جمعاء ، لأن تراث أي دولة إنما هو حلقة في سلسلة متصلة من الحلقات من قصة الإنسان منذ ظهر على سطح الأرض حتى الآن.

ويؤكد العديد من الاختصاصيين في مجال التراث أن استهداف المعالم والمواقع الأثرية والتاريخية يعتبر عملًا إجراميًا ممنهجًا في إطار عملية التطهير الشامل لهوية وحضارة الشعب اليمني ، وأن هذه الجرائم تتم على الرغم من تحذيرات المنظمات الدولية والمحلية بتحييد مواقع التراث والثقافة عن أي صراعات كما تؤكده المواثيق والاتفاقيات الدولية.

إن هذه المواقع والمدن التاريخية والأثرية والمتلكات الثقافية التي تم استهدفها في السنوات السابقة لا تقاس خسارتها ماديًا فقط وإنما الخسارة معنوية وتاريخية أكبر من كل المعايير والمقاييس الاعتيادية.

وبحسب القوانين الدولية التي تنص على حماية التراث الثقافي الإنساني أثناء الحروب فإن اتفاقية لاهاي لعام 1954م بشأن حماية الملكية الثقافية في حالة نزاع مسلح تُكرّس حماية خاصة تعترف بالتراث الثقافي لكل شعب ، وتم تعزيز هذه الاتفاقية ببروتوكولين إضافيين عام 1977م وأصبحت جزءًا من القانون الدولي العرفي.

تدوير التراث والدوران حوله

محمد البكري

لا أقصد بمفهوم تدوير التراث إدانة أو استبعاد حق النظر في سجلات الماضي ، ولا أقصد رفض إعادة قراءته بهدف فهم مسار الفكر وإدراك تطوّر الوعي الإنساني

ما أقصده بالتدوير هو ذلك النوع من التعامل مع التراث بوصفه مادة لا تنفد ، ومنظورات قابلة للصياغة وإعادة التشكيل في كل عصر ، كما تُعاد معالجة المواد المستهلكة لتُطرح في هيئة جديدة مختلفة عن أصله..

غالبًا ما يتخذ تدوير التراث شكل لعبة لغوية تقوم على استنطاق المفردات ، وفصل العبارات عن سياقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعاطفية ، ثم تقويلها بما يُظن أنَّه يعبّر عن واقع ذلك الزمن أو يوافق هوى القارىء المعاصر..
وهنا لا يُنظر إلى النصوص بوصفها نتاجًا لزمن معيّن ، بل كمخزن لألفاظ يمكن إعادة تشكيلها لتقول ما نريد نحن لا ما أراد أصحابها .

فمثلًا ، تُنتزع جملة من سياقها التاريخي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي...إلخ ، وتُحمَّل دلالات حديثة لا علاقة لها بزمنها ، فيصبح النص القديم مجرد قالب لغوي مُعاد التدوير ، يتكلّم بمنطق عصر آخر. وهذه المقاربة تلغي دور السياق في إنتاج المعنى ، وتحوِّل القراءة إلى فعل إسقاط قسري ينقل النص من زمنه إلى زمننا ، ثم يجعله يتكلم وفق إرادة القارىء المعاصر وتلقيه ، لا وفق الشروط الأصلية للنص.

لا يذهب التدوير إلى نقد التراث ولا يعمل على فهمه في سياقه التاريخي ، بل يسعى إلى إعادة تسويقه معرفيًا وإقحامه في سياقات معاصرة لا تنتمي إلى بنيته ولا إلى مقاصده. وهكذا تُحجب قيمته التاريخية ، ويشوَّه الحاضر ، إذ يُحمَّل التراث ما لا يَحتمل ، ويُستخدم كسلطة معرفية جاهزة تُقنِع من يفتقر إلى أدوات النقد..

يُفترض بالباحث ، خصوصًا الأكاديمي ، أن يحافظ على مسافة نقدية من الخطابات التقليدية كي يتمكن من قراءتها بموضوعية. غير أن الواقع يرينا أن بعض الباحثين ينزلقون إلى ممارسة تدوير التراث بأساليب منمّقة ومعقّدة ، هروبًا من الاعتراف بأن كثيرًا من المقولات القديمة ارتبط بظروفه التاريخية ، ولم يعد صالحًا ليكون مصدرًا للمعرفة في زمن مختلف تمامًا.

فمثلًا ، ما يُسمّى بالإعجاز العلمي أو العددي في القرآن يُحمَّل الآيات ما لم تقصده ، ويُحوَّل البناء اللغوي إلى ادّعاءات بسبق علمي أو نبوءات كونية.
مثل هذا يوقع النصّ المقدّس في مأزق تاريخي ، حيث أُقحم في منافسة مع علوم تتغيّر باستمرار ، وعاجلًا أو آجلا سينكشف التلفيق وتتزعزع ثقة المؤمنين بالنص.
كما أن هناك مأزقًا معرفيًا حيث يُجبر النصّ المقدس على أداء وظيفة لا تنتمي إلى طبيعته ولا رسالته ، ويُحمَّل معرفةً لا يسندها لا السياق ولا المقصد.
كذلك ، قد تجد باحثًا يعمل على تلميع مقولات فقدت معناها ، للبرهنة على أن الأسلاف كانوا سبّاقين معرفيًا في كل شيء. وقد يستدعي أدوات معقّدة من المنطق والفلسفة لتغليف أقوال تجاوزها الزمن ، حتى يتحوّل مثلٌ شعبي أو فكرة تقليدية إلى نظرية فلسفية ، ويُنفق الجهد في إثبات أنها لم تكن مجرد قولٍ عابر ، بل فلسفة أمة بأسرها.

يتواصل هذا النمط من التفكير في استعادة التراث بوصفه برامج جاهزة للحاضر ، فيُقدّم ابن رشد مثلًا كمهندس التنوير الحديث ، مع أن أسئلته كانت من نتاج عصره ، وتجربته وحواره مع الفلسفة الأرسطية.

كذلك يُسرف بعض الدارسين في استنطاق مقدّمة ابن خلدون لتفسير اقتصاد عالمي معقّد- ديموغرافيًا وثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا وتقنيًا- لا علاقة له بشروط العصبية والعمران القديمة. مثل ذلك أيضًا ، حين يذهب بعضهم إلى حدّ تسمية شطحات المتصوفة فلسفةً ، ونزع التجارب الروحية من مضامينها الفردية لفرضها على واقع اجتماعي مختلف جذريًا.
بهذا الفعل ندمر القيمة التاريخية للتراث ، ونفقد إمكانية إنتاج معرفة حديثة لأننا نلوذ بالماضي بدلًا من مواجهته نقديًا.

إنَّ تدوير التراث ليس مجرّد خطأ معرفي؛ إنه عائق حضاري ، فهو يراكم معوّقات النظر إلى الحاضر ، ويعطل لحظة القطيعة الضرورية مع بنية التفكير القديم ، ويستبدل السؤال بالتأويل القسري ، ويُصادر روح البحث العلمي ، ويُبقي المجتمعات أسيرة ماضٍ يُعاد تدويره جيلًا بعد جيل.

الأخطر أن كثيرًا من هذه الممارسات تُنجز باسم البحث الأكاديمي أو الفلسفي ، وتُكرّس لها مساقات وألقاب؛ فتبدو مقنعةً لمن يفتقد أدوات القراءة النقدية.

إنَّ العلاقة مع التراث- إنْ كان لا بدُ منها- لا تبدأ بتدويره ولا بتحويله إلى لعبة لغوية ، بل بفهمه في سياقه التاريخي ، والنظر إليه بعين ناقدة ، تفحص جدوى ما امتد منه إلى الراهن ، دون أن ترفعه إلى مرتبة الحقيقة المطلقة أو تزجّ به في حاضر لا ينتمي إليه.
وهذا يتطلّب تمييز أنواع من التراث ، وفصل ما هو ابن زمنه عمّا يمكن أن يظل حيًّا ، ورفض أي إسقاط قسري يشوّه الماضي ويعطّل الحاضر ، ووضع السؤال في مركز المعرفة.

فمثلًا ، حين نقرأ ابن رشد وابن خلدون وابن الهيثم وغيرهم ، لا تكمن قيمتهم في تحويلهم إلى أدوات جاهزة لعصرنا ، بل في شجاعتهم على مواجهة أسئلة زمانهم.
وما يُفترض أن نتعلمه منهم هو إحياء روح السؤال التي حملوها ، ومواجهة أسئلة عصرنا نحن ، لا أسئلة الماضي.

مكونات البيت الصنعاني وموروثه الشعبي1-2

أماني الحيمي

عروس بكامل زينتها (صنعاء) المزروعة في قلب اليمن النابض بالخير، تروي ظمأ التاريخ، والحضارة لتكون هي المتحف المفتوح في اليمن، كأنما تشير إلى أنها ما تبقى من (سبأ) بل إنها جنة الأرض، ولا أبالغ.

صنعاء تُحفة اليمن، وعروس المدن اليمنية، وهي فردوس المناخ اليمني الذي يثير في النفس تساؤلات شتى حول إعجاز الطبيعة الخلابة التي حباها الله بها.

تأسرك شاعرية الطبيعة الدافئة في صنعاء، حيث المكان يسربله الهدوء، وتخترقه إشعاعات الشمس لتعكس ألوان الطيف على فضائه الرحب بلمسةٍ سحريةٍ حانيةٍ على كل صنعاء لتواصل رسم اللوحة البديعة بكل الألوان، لتبدو في النهاية إحدى عجائب اليمن، بل العالم بأسره.

صنعاء التاريخ، صنعاء المكان، تزخر بزخارف فاتنة على مد البصر، رسمت بملامح اليمني، بعطائه اللامتناهي، وحبه القيسي لأنها ليلاه، نسج تغاريده كطيور الجنة في الوديان، تحفة الطبيعة في واجهات بيوتها نحت، وابتكر، ورسم، وشكل الجمال الذي لا يضاهيه جمال حد الاندهاش، وعلى سفح نقم تستلقي (صنعاء) حاضرة الدولة الحميرية التي رجح البعض أنها تعود إلى الألف قبل الميلاد موشحةً بيوتها برداءٍ برجي شامخ شموخ نقم، بل شموخ تاريخها، ذلك الزمنٍ الذهبي الذي ظل ينضح فكرًا، وثقافة، وتنمية، وانفتاحًا، وتسامحًا دينيًا.

وهذا البحث محاولةٌ لتسليط الضوء على بيوتها، واستعراض بعض من مكوناته بل ما هو إلا إشارة بسيطة لجمال بيوتها، ومكنونها من العادات، والتقاليد، والطقوس التي تمارس لكل مناسبة.

المنزل الصنعاني

تتميز المباني في اليمن بطابع متميز ، وفريد ذي ملامح محلية واضحة ، وإن كانت تعتبر صياغة محلية للعمارة الإسلامية ، وفي الوقت نفسه لا تتشابه مع طراز العمارة الإسلامية في باقي البلاد الإسلامية الأخرى ، فالمنازل بارتفاع بعضها ، الارتفاع المميز الذي قد يصل إلى ستة ، أو سبعة طوابق يعطي منظرًا جميلًا ، ويبدو أن مثل هذه المنازل كان موجودًا قبل الإسلام ، قصر غمدان أما أول وصف لهذه المنازل ما ذكره ابن رستة بقوله: «هي مدينة كثيرة الأهل طيبة المنازل ترتفع واحدًا بجانب الآخر مزخرفة بالجص ، والأحجار المشيدة ، وذكر الهمداني ، والرازي ، ونقل عنهم ليكوك».

فالنمط الصنعاني في بناء المنازل يعدّ قديم الجذور ، وظل المعمار يتوارث ذلك النمط المعماري ، والذي يمكن إدراكه حتى في المنازل الحديثة ، وأقدم المنازل المتبقية حدث لها تحديث ، وتغيير ، وخاصة أجزاؤها العلوية التي دائما ما تتعرّض للخراب بسبب العوامل الجوية ، أما الأجزاء السفلية فمن المحتمل أن بعضها يصل عمرها إلى 80 سنة تقريبا ، وتتميز بارتفاع أدوارها الذي يتراوح ما بين ثلاثة إلى سبعة طوابق ، وتقل في واجهاتها البروزات ، أو ربما تنعدم تماما ، وتتلاحم المباني على طول الشوارع بحيث تمثل في مجموعها حائطا ، وتطلّ أغلب المباني من واجهاتها الخلفية على حديقة ، أو بستان كبير حيث تحوّل الفناء في منازل صنعاء إلى حديقة خارجية تفتح عليها المنازل ، والشائع

في بيوت صنعاء الحوش الذي يحيط المنزل من جميع الجهات خاصة بيوت المدنية ، وتبنى الطوابق السفلية من المنزل أحيانا حتى ارتفاع 1-3م بالحجر الأبيض ، ويبلغ سمك الجدار ما يقارب المتر ، ومن خلال ملاحظة المعمار الشعبي لحركة الشمس وجد أن الواجهة الجنوبية من المنزل تكون أكثر عرضة لأشعة الشمس في النهار لتكون أكثر دفئا في الشتاء ، بينما تكون الواجهة الشمالية أثناء فصل الشتاء واقعة في الظلال ، وبالتالي تكون باردة أما في فصل الصيف ، وأثناء رحلة الشمس نحو الشمال ، وعودتها نحو الجنوب فتكون الواجهة الجنوبية مظللة مما يجعلها معتدلة الحرارة.

لذا ركّز المعمار في صنعاء على جعل وحداته السكنية المعيشة في منزله تتجه جنوبا ، وقد جاء في الموروث الشعبي في صنعاء (إن البيت العدني (الجنوبي) بيت كامل ، والبيت الغربي نصف بيت ، والبيت الشرقي ربع بيت ، والبيت القبلي (الشمالي) لا بيت).

أي أن المعمار اليمني كان على دراية بالمناخ لذلك استطاع ، وبجداره أن يطوّع كل شيء من مساحة ومناخ لخدمة البناء بما يناسبه كما يضمّ الطابق الأرضي في الغالب على بئر يُنزع منه الماء الذي يستخدم في الغسيل فقط أما المنازل التي يحيط بها فناء فتوجد آبارها في الفناء ، وفي الطابق أيضا ، وخاصة في المنازل التي تقع على الشارع الرئيسي عاده ما تفتح في الواجهات حوانيت تُؤجّر للتجار.

توزيع وحدات المبنى

تُعدّ واجهات العمائر اليمنية من الجمال ، والروعة ما لا يوجد مثله في المدن العربية ، والإسلامية ، ولها ، واجهات متشابهة إلى حدّ كبير ، والسبب في ذلك يرجع إلى كونها تؤدّي وظيفة معمارية ، وفنية تفي في أداء وظائفها التي أعدت من أجلها فقد استطاع المعمار اليمني اكتساب وظيفة بشكل جمالي ، والطابق الأسفل أهم الأجزاء فيه الأبواب (المداخل) ، فهي الأجزاء المهمة من الناحية المعمارية ، والفنية.

(1) المداخل

حيث تتباين المداخل من منزل إلى آخر من حيث الاتساع ، والارتفاع ، وذلك بحسب ثراء صاحب المنزل ، وهو عباره عن فتحة مستطيلة الشكل تتراوح عرضها بين 1.2 ، و 1.4 متر ، وارتفاعها نسبيا يتراوح بين 1.6 ، و 1.8 متر ، يتوّجها عقد نُفّذت واجهاتها بالحجارة البيضاء ، والسوداء ، وتعلوها فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء ، والإضاءة (الأبلق) وتزيّنها في بعض الأحيان نقوش زخرفية ، وغالبا ما تكون فتحات المدخل متجهة نحو الجنوب (العدني) ، وذلك لمرور التيار الدافئ إلى المنزل في الشتاء ، والبارد في الصيف ،

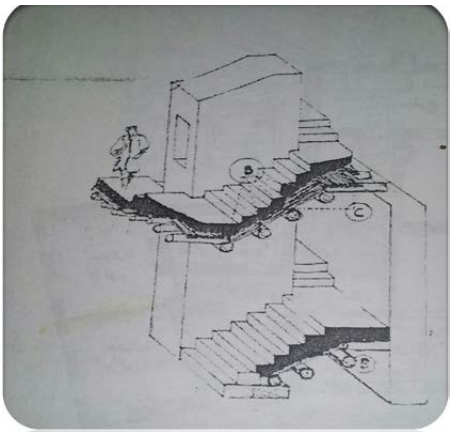

وأحيانا تكون المداخل على هيئة حجر ، ويغلق عليها أبواب خشبية مكوّنة من مصراع واحد تفتح فيه فتحة صغيرة تسمح بدخول الإنسان تسمى (خوخة) ، ويوجد في باب المدخل عنصران مهمان هما المطرقة ، والمجر (وقد قيل إنهما مطرقتان فإذا ما دُقّت الصغيرة ، فالطارق امرأة لتردّ عليها النساء اللواتي داخل المنزل ، فإذا طُرقت الكبيرة فهو رجل ، ويرد الرجل)

والطرّاقة عبارة عن قطعة حديد صغيرة تتكوّن من جزأين أحدهما ثابت ، والآخر متحرّك ، وهما مثبتان في منتصف الجزء العلوي للباب به خيط يرتبط بمزلاج الباب ، وموصل لجميع أدوار المسكن عن طريق ثقوب رأسية في أسقف الأدوار المختلفة يخترقها هذا المجر ، وذلك لفتح الباب من أي دور بعد النظر لمعرفة الطارق

(2) أما الطابق الأرضي يتكوّن من عدد من الغرف أغلبها تكون مرتّبة في صفين يفصل بينهما ممرّ مستطيل ، يبدأ في بعضها بعد المدخل بسلّم يؤدّي إلى الطوابق العلوية ، وأحيانا يكون السلم في نهايته ، وتكون أول غرفة بجوار المدخل مخصصة للحبوب ، وربما يكون بها مدفن للحب ، ويوجد بها مطحن (رحى) أما الغرف الباقية فتخصّص لمعيشة الحيوانات ، وتُفتح هذه الغرف بأبواب واسعة تستطيع الحيوانات الدخول ، والخروج منها بيسر ، وتطلّ على الممر ، وهذا الطابق عادة ما يُبنى من الحجر (حجر الحبش ، ولا تظهر فيه فتحات (نوافذ) سوى فتحات صغيره للتهوية أما السلم فتجد أن درجاته تدور حول دعامة مربعة ، أو مستطيلة مبنية من الحجر تسمى (القطب) ، والتي يصل ارتفاعها إلى أعلى سطح المنزل).

(3) الطابق الأول

يتبع في تخطيطه نظام الطابق الأرضي ، وذلك باحتوائه على عدد من الغرف استخدمت في المنازل الكبيرة كمخازن للحبوب ، وفي المنازل المتوسطة يحتوي على الديوان ، وهو مكان متسع مستطيل الشكل يطل على الشارع بنوافذه الكبيرة التي تعلوها ستائر جصية (تعرف بالقمريات) ، ويستخدم لجلوس الضيوف ، ويفتح على حجره الوسط ،

وبجانبيه غرفة ، أو غرفتان للاستقبال أما في المنازل الصغيرة فتخصص غرفه للمعيشة مع وجود للمطبخ ، وقد عدمت التهوية في الطابقين السفليين في المنازل الكبيرة بالذات لأنها خصّصت لمبيت الحيوانات الأليفة ، ولدفن الحبوب ، وليس لسكنى أهل المنزل لا سيما الطابق الأرضي يظهر ، وكأنه حصن حربي لخلوّه من الفتحات ، وبُنيت أركان هذين الطابقين بنوع من الحجر يختلف عن حجار مداميك البناء ، وغالبا ما تكون الأركان مبنية بأحجار الحبش السوداء ، والبازلت الاسفنجي كنوع من التحلية ، والتجميل.

(4) الطابق الثاني

يتمّ الوصول إليه عن طريق السلم الصاعد ، وتتصدّره فتحة على شكل مدخل يُغلق عليه باب خشبي أحيانا ، ويفضي إلى قاعة وسطى تعرف باسم الحجرة ، وهي عباره عن ساحة تُفتح عليها غرف النوم ، والمطبخ ، والحمام ، وتطل هذه الغرف على الشارع بنوافذ منخفضة تُغلق عليها مصاريع خشبية ، وقد تغشى أحيانا بمشربيات خشبية تسمح للنساء بمشاهدة ما يجري في الشارع دون أن يراهنّ أحد ، ويعلو النوافذ صفٌّ آخر من النوافذ المعقودة المغشاة بألواح رخامية شفافة ، أو ستائر من الجص المخرّم ، أو الزجاج الملوّن ، والمعروف بالقمريات.

(5) الطابق الثالث

يتطابق في تخطيطه مع الطابق الثاني ، ويخصّص لأفراد الأسرة سواء كانوا متزوّجين ، أو عزابا ، فاذا كانوا متزوجين فيفرد له طابق خاص ، وعادة ما يوجد في هذا الطابق الديوان الذي يستعمل في الحفلات ، والمناسبات ، وجلسات تناول القات ، والمداعة ، وفي العطل الأسبوعية كما يوجد في الطابق الرابع ، والخامس غرفة خاصة باسم (مكان الوسط) مخصصة لاجتماع العائلة كلها للتسامر.

(6) المفرج

عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل يتوّج المنزل الصنعاني ، ويتوّسط سطحه ، وتعتبر من أهمّ مميزات المنزل الصنعاني ، ويتميز باتساع نوافذه ، وارتفاعها ، وتُفتح من ثلاث جهات ، وتعلوها عقود نصف دائرية غُطّيت بالقمريات (ألواح من الرخام المرققة) ، أو ستائر جصية معشقة بالزجاج الملون ، وجدران المفرج أضحت ميدانا لتنفيذ الزخارف الجصية من عناصر نباتية ، وهندسية ، وكتابية ، وهذا النوع من الغرف هو ما توارثه اليمنيون من البناء القديم فقد جاء في كتاب الإكليل للهمداني (وصف قصر غمدان ، وإن أعلاه غرفة بلاطة واحدة من الرخام ، والمفارج تكون كبيرة ، وقد تتسع لأكثر من عشرين شخصًا ، ولها عدة جرف (نوافذ كبيره) ،وتسمى مفرج عدني ، أو شرقي نظرا لاتجاه الجرف ، والفضل الجهة العدنية إلا أن مفارج صنعاء المتجهة جروفها إلى الجهة القبلية جميله نظرا لأشراف الجالسين على منطقه شعوب الجميلة بمزارعها ، ومناظر الروضة.

(7) المرافق

من الضروريات في المنزل عامة وجود هذه المرافق من حمامات ، ومطابخ ، ومنها المنزل الصنعاني ، حيث وجد فيها الحمام عبارة عن غرفه مستطيلة الشكل مغطاة من الداخل بطبقة من القضاض حيث يمنع تسرب المياه ، ويحتوي على مرحاض مكون من مصطبة حجرية يتوسطها فتحه تتصل بمجرى يصل إلى حجره تجمع المخلفات ، وبنيت في الجهة الجنوبية حتى لا تطلع رائحتها مع الرياح.

أما المطبخ فيقع عادة في الطوابق الوسطى وخاصة المخصصة للنساء ، وهو عبارة عن غرفة مستطيلة يوجد في جدارها الشمالي مصطبة مرتفعة عن سطح الغرفة مقسمة إلى عده أقسام يوضع في كل قسم تنور ، ويعلو المداخن شكل جمالي ، وفتحت في جوانبه فتحات تسمح بتصريف الدخان ، كما يوجد به مكان مخصص للغسل يتصل بمجرى تصريف المياه.

مكونات المنزل

(1) الحوي

وهو عباره عن ساحة مكشوفة يحيط بها سور شيد من الحجر الغير مهندم ، وتباين مساحتها من منزل إلى آخر بحسب مساحة الأرض ، وفيه تجري بعض الأعمال اليومية للسكانين في المنزل كما يتم فيها تربية الدواجن ، ويزع فيه بعض الأشجار

(2) المدخل الرئيس:

يتوزع الدهليز ذات الشكل المستطيل إلى بقية الأجزاء ، ويتم تكسيته بالأحجار ، والجص ، والقضاض ، ويتقدم المدخل في بعض المنازل دكة (مصطبة) ، وتتمثل وظيفتها في عمليه دخول الدواب ، وإنزال حمولتها.

(2)الاسطبلات (الحر- الأحرر)

عباره عن مساحات مربعة ، أو مستطيلة توزعت حول دهليز ، ويغلق عليها أبواب خشبية غشيت جدرانها بالجص يتخلل جدرانها فتحات صغيرة ، ومرتفعة للتهوية ، والإضاءة.

(3) الكرس

عباره عن مساحة صغيرة ، وقليلة الإرتفاع تقع في الطابق الأرضي تحت الدرج ، وتستخدم لتربيه ذكر الغنم.

(4) بئر الماء (المنزعة)

تتواجد بعض الآبار في بعض الوحدات السكنية التي تحفر في الطابق الأرضي ، وتكون خاصة بالساكنين في هذا المنزل ، ويأخذون احتياجهم من الماء (نزع الماء)عن طريق الحبال ، والبكرة الخشبية ، والدلو الجلدي ، وذلك من خلال فتحه في رأس البئر ، وتقع هذه الآبار في الداخل ، وذلك لضمان حمايتها من الأوساخ ، أما عن المنازل التي لا

توجد فيها آبار فتعتمد في شربها على الآبار المنتشرة في المدنية ، والتي تسمى المحسنة.

(5) الدرج

عباره عن سلم صاعد يسهل حركة المرور من الصعود ، والنزول ، ويوجد في المنازل الكبيرة ، والمتوسطة من سلمين ، إحداهما أساسي ، وهو يمتد من الطابق الأرضي وحتى الثاني ، أو الثالث ، وغالبا ما يكون هذا السلم خاصا بأصحاب البيت ، والسلم يعتمد في بنائه على العمود الاوسط (القطب) تدور حوله الدرج ، ومساطبها ، والمقامة على أعتاب خشبية ممتدة بين القطب ، وجدار المنزل ، وتعتمد الدرج في تشييدها على الحجر البازلتي (الحبش) المهندم أما المنازل الصغيرة فتكون من سلم واحد ، وتقع هذه الدرج في الجهة الشمالية ، أو الشمالية الشرقية من المنزل ، وذلك استغلالا من المعمار للجهة الشمالية التي تكون عادة باردة في فصل الشتاء بينما تتوزع فتحات التهوية ، والإضاءة على الجدران ، والتي عادة ما تغطى بألواح الرخام.

(6) الطبقة

وهي عباره عن غرفة صغيره منخفضة الإرتفاع نسبيا ، وقد وجدت هذه الغرفة نتيجة لاستغلال الإرتفاع الكبير لغرف الطابق الأرضي ، وتستخدم لخزن المواد الغذائية مثل الحبوب ، والدقيق ، والخضروات المجففة ، وهي مقسمه إلى أحقاب لكل مادة حقب خاص به ، وتكسى بالفخار ، أو القضاض ، وهي ذات أبعاد متنوعة.

(7) الكمة

عبارة عن غرفة صغيرة منخفضة الارتفاع تتكون نتيجة ما زاد من مساحة في أحد الطوابق وغالبا ما تلحق بالغرف ، وتستخدم عادة لخزن الملابس ، والنوم فيها أحيانا ، ولها نوافذ

(8) الحجرة (الصالة الوسطى)

هي الصالة الوسطى التي يؤدي إليها السلم الصاعد ، وتوجد في كل طابق عدا الأرضي ، ووظيفتها تسهيل حركة المرور بين الغرف ، وللمعيشة ، ومزاولة النشاط اليومي داخل المنزل ، وتكسى أرضيتها بحجر الحبش (البازلت الاسود) ، وجدرانها بالجص ، وتتوزع حولها رفوف جصية (صفيف).

(9) مكان الوسط

عبارة عن غرفة وسطية تتوسط المنزل ، وعادة ما تكون للمعيشة ، تقع في الطابق الأول ، أو الثاني ، ويتم فيها اجتماع الأسرة.

(10) الغرفة (المكان)

وهي عباره عن غرفه تتباين مساحتها من منزل إلى آخر بحسب مساحة المنزل ، وهي تكون أكبر الغرف مساحة في كل طابق في المنزل ، وتتعدد استخداماتها بين الجلوس ، والنوم ، واستقبال للضيوف ، وتأتي أهميتها بعد الديوان من حيث التنسيق ، والفرش ، وتتسع نوافذها التي يغلق عليها مصاريع خشبية ، وتنتشر في زواياها الصفوف الجصية المزخرفة.

(11) المطبخ

يقع في الجهة الشمالية من المنزل ، ويعد من أكثر من مطبخ ، ويقع في العادة بين الطابقين الأول ، والثالث ، ويشمل بداخله التنور الفخاري الذي يستخدم في تسخينة الحطب ، ولقد اتخذ المطبخ بصفه عامه الشكل المستطيل يتخلل أرضيته فتحه تسمى (باب المناق) ، ويتوجه في أعلى التنور مظلات يأجوريه على شكل جمالون يتخلله فتحات لتطرد الدخان المتصاعد من التنور ، وتعرف باسم (السية).

(12) الدسة

وهي مكان لتخزين الحطب ، وتقع في الطابق الثاني.

(13) الحمام

يقع في الجهة الشمالية من المنزل ، وهو عبارة عن دورة للمياه ، وللاستنجاء ، وهو بمساحته يشبه الغرفة.

(14) المسقط:

وهي فتحة في ركن المطهار تستخدم لقضاء الحاجة ممتدة عبر بناء مربع ، أو مستدير في شكل أنبوب يتخلل أدوار البيت من الأعلى إلى الأسفل إلى أن يصل إلى النقب ، وهي غرفة بأسفل البيت حجمها حوالي 2م3 ،أو أقل ولها فتحة صغيرة إلى الشارع ، أو الحوش ، وبجوار المسقط توجد العضايد ، وهي عباره عن حجرتين على شكل مكعب يفصل بينهما مسافة حوالي 40س عليها عند الاستنجاء ، وأمام الحجرتين حجر دائرية يوضع عليها إناء الماء ، وأحيانا يتكون المستراح من قسمين القسم السابق ذكره.

والقسم الثاني: من المطهار ، ويستخدم للاغتسال ، وهو الجزء القريب من الباب ، ويفصله عن الجزء الأول جدار ارتفاعه 70سم تقريبا ،

ويوجد به إناء كبير من الفخار ، ويوضع على حجر مستديره بالماء ، ويسمى هذا الإناء (المركن ، أو العصرية).

(14) المنظر

عبارة عن غرفة تقع في أعلى المنزل ، ويتشابه مع المفرج من حيث التنسيق ، والتزيين ، ويخصص لرب الأسرة ، والضيف العزيز على الأسرة ، والبعض يسميها طيرمانه.

جلا الطير مانات الزجاج معشقل

مخال اختيال كوكبي فرائحي

وهي أيضا غرفه تبنى في منتصف سطح المنزل ، وتبنى تحتها غرفة لتزيد من ارتفاعها ، ويسميا البعض الزهرة ، والفرق بينها ، وبين المفرج أنها أصغر مساحة أي تتسع لشخصين إلى ثلاثة فقط ، أما من ناحية الزخارف الجصية ، والصفوف فهي كالمفرج تماما.

(15) الشماسي

مساحة مكشوفة يختلف موقعها من منزل لآخر فقد يكون في الطابق الأرضي ، أو الطابق العلوي حيث يتقدم السطح (الجبا) ، وله جدران مرتفعة نسبيا ، ويستخدم لتجفيف الملابس ، والمواد الغذائية.

(16) الجبا

تعد آخر مساحة في المنزل ، ويحيط بها سور يعرف بالتجواب ، ويتوجها عقود مؤطر بالجص.

النوافذ، والفتحات، واتجاهاتها

تعد واجهات المنازل الصنعانية من أجمل ، وأروع ما أبدعته يد المعمار اليمني في صنعاء ، وعندما تنظر إلى مدينة صنعاء ، وكأنك تشاهد لوحة فنية ابدعتها يد المعمار اليمني بما تحمله هذه الواجهات من زخارف جميلة كونت تلك اللوحة التي انفردت بها المدنية ، إضافة إلى ما يتخلل الواجهات من مداخل ، ونوافذ ، وقمريات ، ومشربيات ، لاسيما الطوابق العليا المبنية من الاجر تعد سجلا غنيا بالنماذج الرائعة من الزخارف المعمارية ، والهندسية المتنوعة ، والمنفذة بواسط قوالب الآجر على هيئة حليات ، وكرانيش بارزة متداخله مع أصل البناء.

أما السفلية نجدها تبنى من الحجارة باللونين الأسود ، والأبيض الذي أضفى على هذه الطوابق نوع من الإيقاع الجميل ، وفيها نوافذ تعلوها عقود متسعة تتسع باتساع النوافذ السفلية يغشيها الواح من الرخام الشفاف ، أو ستائر من الجص المخرم ، والمعشق بالزجاج الملون ، على عكس الطوابق السفلية الخالية من النوافذ ، وتتركز هذه النوافذ في غرف النوم ، والتي غالبا ما تكون تتمركز في الجهة الجنوبية ، وتنعدم في الشمالية بسبب البرودة شتاء ، وقد اتخذت الشكل المستطيل ، ويغلق عليها مصراعان من الخشب ، ويعلوها عقد نصف دائري غشي بالقمريات ، أو الستائر الجصية المعشقة بالزجاج ، وذلك لتوفير الضوء في الداخل.

والقمريات المستخدمة اتخذت اشكالا متنوعة فهي إما عبارة عن دائرتين متماستين ، أو دائرة ، ويفصل بينها وبين النوافذ رفوف خشبيه تسمى (الكنة) ، وذلك لحماية النوافذ من الأمطار كما أن المعمار قد قام بعمل نوافذ ، وهميه تبدو من الخارج حقيقية وذلك للتوازن الفني بين الواجهات التي تمت فيها النوافذ مع التي انعدمت فيها (التماثل ، والسمترية).

إلى جانب ذلك توجد نوافذ أخرى صغيرة تتخلل النوافذ الكبيرة وتسمى بالشاقوص ، وهي في مستوى عال من جدار الغرفة ، ولها غطاء داخلي ، وهي عبارة عن فتحة صغيرة لتهويه الغرف ، ويزداد اتساع الفتحة كلما اتجهنا للداخل ، أما وظيفتها فهي إخراج الهواء الفاسد ، والأدخنة من الغرف أي أنه يقوم بدور مروحه الشفط في المنزل.

ومن ناحية الشكل يشبه المزغل قد يفتتحها المعمار في الجدار ، وتمتد فتحها إلى داخل الغرفة فقط حتى تكون أعشاش للعصافير ظن من رب المنزل أنها بركة عليه حين يأويها.

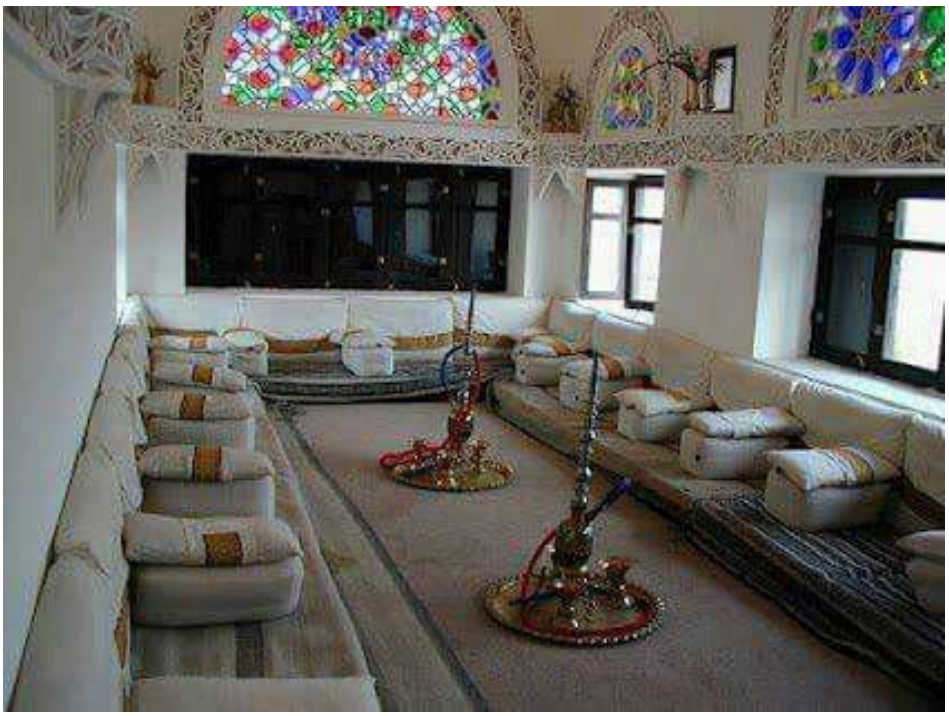

المفرج

من أهم ما يميز البيت الصنعاني ، أو المنظرة ، أو الطيرمانة ، أو الزهرة ، وتختلف تسمياتها من شخص لآخر ، وربما تعددت تسمياتها بناء على ارتفاعها ، واتساعها فقد قيل أنها سميت أيضا زهرة أي كوكب الزهرة لأنها تشبه الكواكب في بعدها ، وربما بمساحتها لأن النجم يرى من الأرض صغيرا ، وتقع أعلى المنزل تختلف مساحتها من منزل لآخر ، وهي مستطيلة الشكل تتباين أبعادها بحسب مساحة المنزل يتقدمها مساحة مربعة تعرف باسم الحجرة ، والبعض يسميها (صرحة) يفصل بينهما مدخل المفرج ، ويبنى المفرج ، أو المنظر فوق السطح ، وهذا النوع من الغرف قد توارثه المعمار اليمني في مدينة صنعاء ، حيث ذكر الهمداني أنه كان يعلو قصر غمدان غرفه مستطيله تسمى المنظر ، وقدم لها وصف تفصيلي ، ويتميز المفرج باتساع نوافذه ، وارتفاعه ، وغالبا ما يُفتح من الجهات الثلاث كما تتميز هذه النوافذ بانخفاضها إلى ما يقرب من 30 سم من سطح أرضية المفرجن وذلك ليتاح للجالسين (المخزنين) النظر إلى مساحات شاسعه لذا سمي بالمنظر للنظر ، والمفرج للفرجة.

أما جدران المفرج ، والمنظر فمزينه بأبدع الزخارف الجصية المحفورة لعناصر هندسية ، ونباتية ، وكتابية تشتمل على آيات قرآنية ، وأحاديث نبوية ، وأبيات من الشعر ،والأدعية.

كما أنه لا يخلو من الصفوف التي تعلوها المزاهر النحاسية ، وأحيانا ختم قرآن ، ولا يحتوي المفرج كالديوان ، والغرفة الوسطى على الخزائن ، وهي عبارة عن غرف صغيرة يتراوح قطرها بين 50سم ، و 2م تبنى داخل الأجدر ، أو بالمساحات غير المستقلة من المبنى ، وتكون ظاهره أحيانا ، ومخفية أحيانا أخرى ، وتستخدم لخزن الاشياء الثمينة.

-المشربيات

المشربية ، أو الشانيل ، أو الروشان ، هو بروز الغرف في الطابق الأول ، وما فوقه يمتد فوق الشارع ، أو داخل فناء المبنى ، وهو مبني من الخشب ، وعليه نقوش وزخارف ، ومبطن بالزجاج الملون ، وتعتبر المشربية إحدى العناصر المعمارية التقليدية في الدول العربية ، بدا ظهورها في القرن السادس الهجري ، الثالث عشر إبان العصر العباسي ، واستمر استخدامها حتى أوائل القرن العشرين الميلادي ، وهناك أنواع متعددة من المشربيات بعضها مغلق ، والبعض الآخر مفتوح ، فالمفتوحة كانت بمثابة شرفة تطل على الشارع ، أو الفناء وكانت النقوش الخشبية تترك مفتوحة تسمح بدخول الهواء ، والضوء ، ولاتسمح بدخول أشعة الشمس.

وللمشربية فوائد اجتماعية ، وبيئية ، أما الاجتماعية فتكمن في الحفاظ على خصوصية المنزل فمن هذه المشربيات يستطيع الناظر مراقبة الشارع بدون أن يراه من في الشارع أو من في المشربية المقابلة ، وذل لعدة أسباب مجتمعة ، فمن ناحية وجود الزخارف ، والنقوش في الخشب يجعل الرؤية من خلالها صعبة لمن يقف على مسافة بعيدة ، هذه الميزات أتاحت للنساء أن يراقبن الشارع من نوافذها بدون أن يلمحهن أحد ، وموقعها غالبا فوق الباب الرئيسي لرؤية الطارق ، وكما قال الشاعر

يا ناس لي خل في الروشة
صبر جبينه بحرف أحمر.

أما البيئية فالمشربية توفر الظل داخل المسكن بدون إغلاق كامل للنافذة فتحافظ على حركه الهواء مما يساعد على تخفيف درجة الحرارة في الصيف ، ويفيد هذا البروز المارة أيضا حيث يستظلون به في الزقاق صيفا ، ويتوقون المطر شتاء كما أن المشربية تغطي الجدار المواجه للشارع ، وتحافظ عليه من الشمس ، والمطر ، ومن فوائد المشربية أيضا ضبط رطوبة تيار الهواء ، وتدفقه داخل الحيز الداخلي للمنزل ، ومن فوائدها أيضا ضبط رطوبة تيار الهواء المار من خلالها الداخل المنزل ، أو الحجرة لطبيعة المادة المصنوعة منها ، وهي الخشب فهو مادة مسامية طبيعية مكونه من الياف عضوية تمتص الماء ، وتحتفظ به.

حزام أو زنار (زخرفه على واجهة المنازل)

تعد الزخرفة الأجرية من أكثر العناصر تمييزا للمنازل الصنعانية فقد

نفذت بشكل أشرطة أفقية تسمى حزام، أو زنار تفصل بين الطوابق المتعددة، وخاصه المبنية من الآجر، وقد نفذت تلك الزخارف بواسطة قوالب الآجر البارزة، وبأوضاع ينتج عنها تلك الزخرفة، والتي غلب عليها الخطوط الزجاجية (المتعرجة). و نقشت الأحزمة ببروز، واستعمل فيها المعمار الزخارف الجصية لتأطير الفتحات باللون الأبيض الفاصل بين الظلال، والنور ليعي الإحساس بالحد الفاصل بينهما

مواد البناء، والتغطيات

مواد البناء

استخدم المعمار اليمني العديد من المواد بما يتناسب مع البيئة، وكذلك المواد التي وفرت له الطبيعة

(ا)الأحجار

تختلف الأحجار المستخدمة في بناء الأساسات عن تلك التي تبنى بها الطابقين الأرضي، والأول فقد بنيت الأساسات بأحجار بازلتية بركانية سوداء غير منتظمة الشكل، وبأحجام مختلفة تعرف باسم (الجعم)، وكان أهل صنعاء يجلبونها من مجارى السيول، أو يقتطعونها من الجبال المحيطة، وفي كثير من الأحيان كانوا يأخذوها من بقايا المدن، والآثار القديمة التي تعود عصر ما قبل الإسلام.

أما الطابقين الأرضي، والأول فقد بنيا بأحجار بازلتية سوداء بارتفاع يصل إلى خمسة مداميك، ثم أكمل هذين الطابقين بأحجار بيضاء مربعة، ومنحوتة نحتا جيدا حتى ارتفاع (6-10امتار)فوق مستوى الشارع.

الياجور(الآجر)

هو النوع الثاني من مواد البناء المستخدمة في تشييد المنزل الصنعاني بكل أنواعه، ويبنى به ابتداء من الدور الثاني نظرا لخفته، وإمكانية التحكم في سمك الجدار فيبنى مفردًا، أو مثنى، أو فرد ونصف، ويمتاز بسهوله بنائه، وسهولة الزخرفة به كما يمتاز باحتماله للرطوبة، والحرارة، ويعتبر المكون الأساسي لبناء سقوف المساجد، والحمامات الصنعانية (القباب)، وهي ماده بناء.

- الجص

من مواد التغطيات للواجهات، وللجدران الداخلية للمنزل، القص هو أكثر المواد المستخدمة في تشييد المنزل الصنعاني، وتستخدم في تشييد هياكله الخارجية، وفي التشطيب الداخلي للمبنى.

-الطين (الخلب)

مهارات البناء الصنعاني تمثلت في إيجاد كثير من مواد البناء من الموارد المتاحة بأقل تكلفة، ومن ذلك استخدامه لمعجون الطين في مراحل البناء المختلفة، ويعد ذلك المعجون بطرق، وأساليب متعددة تتناسب مع الغرض المراد استخدامه مثل استخدامه في صناعة الياجور، واللبن، أو استخدامه كمادة للبناء مباشره كالزابور، واستخدامه كمادة لاصقة للأحجار، والياجور، واللبن، أو في تلبيس الأجدر والأسقف.

-المرمر

هو نوع من الرخام، أو الجرانيت أبيض اللون لين الصلابة (قليل الصلابة)

يستخرج من مناجم في أعماق الأرض، ثم ينتشر كألواح سمكها (12سم)، ثم يصقل فيصبح شفافا، ويسمح بدخول الضوء، ولا يسمح بدخول أشعة الشمس، ويستخدم في ملئ الدوائر التي تعلو النوافذ في البيت الصنعاني، أو العقود التي تعلو النوافذ.

القضاض

مادة تستخدم في البناء، وتشبه الأسمنت الأبيض، وهي عبارة عن ماده النورة مخلوطة بمادة أخرى، وهي قوية، ومانعة للتسرب، وقد استطاع المعمار اليمني أن يبني بهذه المواد بما يتناسب مع الظروف الطبيعية، والاقتصادية، والاجتماعية المتأصلة في المنطقة.

الخشب

استخدم الخشب في عمل الأسقف، والأبواب، والمشربيات، وفي عمل النوافذ، والظلات التي تعلوها، وتسمى (الكنة)، وكذلك في عمل الأحزمة، أو الأربطة، والتي تسمى محليا (البسط)،وهي تأتي في أركان، وتعتبر مادة الخشب من المواد الرئيسة في البناء، وتحتل المرتبة الثالثة بعد الطين، والحجر من حيث كثافه الاستخدام في البناء.

طبيب بارع

شعيب الحربي

تناولها رجلان من السيارة على الرغم من خفَّتها ، أدخلاها إلى المنزل بحذر ، ووضعاها بلطف على سرير قابع في إحدى الغرف ، لم تكن هي مع الأسف ، بل كانت مجرد بقاياها فقط ، جسد هزيل ، جلدٌ على عظم ، رأس أصلع ، وجنتان غائرتان ، جمجمة تتبرز عينين قلقتين كأنهما بيضتين مسلوقتين ، تتنقلان في تيه بين وجوه النسوة اللاتي لا يفتأ الفضول يكدسهنَّ في الغرفة ذاتها.

– ما الذي فعل بها هكذا؟

تتسائل العجائز في دهشة ، ورثاء ، وتهمس النساء:

– يقولون إنه السَّرطان.

– يا للرحمة!..

شفطها شفطًا ، عَبّأها كسيجارة ، أدمن عليها في الأشهر الأخيرة وكأن ليس ثمة ما يقتل به رتابته سواها ، إنه يحرقها في كل ثانية ، يعذبها بصمت ، لم تعد تتأوه كما كانت تفعل من قبل ، أو تصرخ كما فعلت في أول مرة أحسَّت بقداحته تشعل أعماقها ، كانت تصلي في الغرفة ، واختلَّ توازنها فجأة! وسقطت على الأرض بجانب السجادة المفروشة تحتها ، وظلت تتلوى كالمدوغة ، قاموا بإسعافها ، وبقيت لأشهر تستحم تحت أمطار الأدوية ، والعقاقير التي لم تُجدِ نفعًا في إطفاء جسدها ، فعادوا بها يحملونها على نعش الخيبة.

حتى تأوهاتها لم تفلح في التخفيف من ذلك العذاب ، لذلك فهي الآن لا تجد خيارات أخرى غير التألم بصمت كلما ارتشف منها ذلك اللعين رشفة بين الفينة ، والأخرى ، تغمض عينيها بمرارة ، تفتح فمها ببطئ ، تشمئزُّ ، وتمسح على ما تقع عليه يدها من جسدها الذي يتلظى كله ، هذا كل ما تستطيع فعله.

دخل عليها أولادها ، شاب ، وثلاث فتيات ، قبلوها من جبينها ، وهم ينشجون ، وحاولت أن تقبلهم فلم تستطع ، فتفجرت من عينيها دموع غزيرة لم تجرف معها ، ولو ذرة واحدة من ذلك الألم ، لحق بها زوجها أيضًا بعد أن قام بتوديع صاحب السيارة التي أقلّتهما ، توسلت إليه بعينين مرهقتين أن يجد لها حلًّا ، إنه أكثر من تثق به على الرغم من هجره لها ، وأولادها منذ عدة سنوات بُعيد زواجه من امرأة أخرى ، ولكنه يبقى رجُلها في الأخير ، وأمانها الذي ادَّخرته على الرغم من كل ذلك ، ولم يخب ظنُّها ، إذ وجدته إلى جانبها يسوقها من مشفى إلى مشفى بحثًا عن طبيب ماهر ينجح في القضاء على آلامها دون جدوى ، وبالأمس بُعيد مغادرتها من غرفة الأشعة ، رأت طبيبًا يهامسه على غير بعيد عنها ، وكانا يرمقانها بنظرات مشبوهة بين جملة ، وأخرى ، وحاولت أن تصغي إليهما فلم تقوَ على ذلك ، وعندما فرغا من حديثهما ، اقترب منها زوجها ، وأخبرها أنه سيخرجها من المشفى في اليوم التالي ، وانتظرته ليكمل الحديث ، ولكنه غادر الغرفة دون أن يضيف ولو كلمة واحدة ، وفكرت أن تسأله عن السبب ، غير أنها لم تجد شهية للحديث حينها ففضَّلت الصمت.

وهاهي الآن تسأله بعينيها السؤال ذاته ، ويبدو أنه فهمها فاقترب منها وهو يبتسم ، وأخبرها مُطمْئنًا وبكل ثقة أيضًا أن الطبيب الذي سينجح في تسكين آلامها سيصل بعد أيام قليلة فقط ، وأردف مُؤكدًا أن طبيب الأورام الذي كان يحدثه بالأمس هو من بشَّره بذلك ، وعندما رأى ملامح الإستغراب ترتسم على وجوه الجميع ، أستدرك قائلًا أن الطبيب سيأتي إليها على أية حال ، سواء كانت هنا ، أو في المشفى ، فانتزعت بصعوبة إبتسامة صغيرة من أعماقها ، وابتسم أبناؤها فرحًا كذلك.

وبعد أسبوع واحد فقط ، وعلى الرغم من أن الوقت كان ظهرًا ، والأرض تستقبل أكبر دفعة من أشعة الشمس الوضَّاءة؛ لم يرَ أحدٌ ذلك الطبيب الذي مرَّ بها ، وأستطاع أن يقضي على آلامها كلها ، وإلى الأبد أيضًا.

الثغاء الأخير

طارق زبارة

كانا جالسين في الغرفة يمضغان القات بنظرات خاوية. ابتسم لها فرأت العجينة الخضراء متبعثرة على أسنانه ، وجنته اليمنى منفوخة ، كأنها متورمة ، القات يكاد أن يندفع من فمه ، يتحدث إليها ، والرذاذ الأخضر يتطاير من ثغره. فتح قنينة الماء ليشرب منها ، ثم تمضمض. بصق بعض القات في (المَدْفَل) أمامه.

أخذ غصن آخر من النبتة الخضراء بين يديه وبدأ يختار الأوراق الطرية ، يحشوها في فمه ، ويمضغ من جديد.

نظرت إليه كاتمة اشمئزازها ، هل من المعقول أن يكون هذا الرجل زوجها؟ أين ذهب الرجل الوسيم الذي تزوجته منذ أكثر من خمسة عشر عاما؟ تحول إلى كومة سمينة تمضغ القات ، وتملأ الغرفة بدخان السجائر. كومه لحم لا تقول إلا التفاهات ، وتكرر نفس الشيء -يومًا بعد يوم-... نظرت إلى جسمها ، وإلى صدرها المتهدل ، هي أيضًا تحولت إلى ما يشبه العجينة.

قامت فجأة ، وذهبت إلى المرآة لتفحص أسنانها التي أصبحت رمادية اللون مثل أسنان زوجها. وجنتها متكورة كذلك ، والقات يضغط على ابتسامتها التي قدمتها له رغم اشمئزازها ، ونفورها منه.

كانت قد عادت للتو من جلسة قات مع صديقاتها ، بينما أصدقاؤه خرجوا قبل قليل من الغرفة. يواصلان مضغ النبتة الخضراء معًا ، يتبادلان بعض الكلمات ، قبل أن يذهبا إلى النوم. هذا كل ما تبقى من طقوسهما المشتركة. لا داعي لهما أن يستيقظا مبكرًا غدًا. هو موظف حكومي ، لكنه لا يداوم. مديره قريبه ، يغطي عليه. هي مثله ، لا عمل لها خارج البيت ، كانت مدرسة ناجحة تحب عملها ، لكنها أصبحت ربة بيت. أقنعتها -صديقاتها وقريباتها- أنه لا داعي أن تعمل ، عل زوجها يجني المال ، لا هي.

لم يكونا هكذا دائمًا. كانا من شباب النخبة ، متعلمين واثقين من نفسيهما ، ذو أحلام وآمال.

أرادا أن يغيرا شيئا في البلاد ، لكنهما سرعان ما فهما أن الدوامة الكبيرة لا تقبل التغيير ، ولا أحد يريد آراءهما ، وأفكارهما.

فهما أن المجتمع ليس بحاجة لهما ، بدآ بمضغ القات. في البداية مرة كل أسبوع ، يوم الخميس ، ثم يوميًا. أنقذتهما النبتة الخضراء ، المخدر الجميل الذي يشرب مياه اليمن الشحيحة ، ويأكل أموال الفقراء ، المنوم الذي يشحن الملايين باللامبالاة ويجعلهم يقتنعون بما يحدث حولهم بأنه قدر الله ، ولا يمكنهم أن يغيروه.

نظرت حولها. المدافل ممتلئة بالقات الممضوغ ، الممتزج باللعاب. بصقه الرجال ، تاركين لها مهمة التنظيف. أوراق القات مبعثرة في الغرفة ، التي أصبحت تشبه الزريبة...

نظرت إلى أطرافها ، وإلى أطراف زوجها التي قد تحولت إلى حوافر.

حاولت أن تقول له شيئًا ، لكن ما خرج من فمها لم يكن سوى ثغاء.

ابتسم لها عندما سمع ذلك الصوت الغريب يخرج من حنجرتها.

حاول أن يجيب عليها بشيء فكاهي ، لكنه أدرك كذلك أن ما يخرج من حلقه ما هو الا ثغاء أيضًا.

ضحكا معًا ، وهما ينظران إلى بعضهما البعض ، الى أشكالهما المتغيرة. لم يفزعهما ما رأياه ، ذهبا إلى النوم في أحد أركان الغرفة... قرب اليوم الذي سيذبحهما فيه المزارع ، ويقدم لحمهما لضيوفه.

نقطة ضوء

نادي القصة

من الجرأة إلى الجمال:
أدب فتحية دبّش بوصفه موقفًا فكريًا وإنسانيًا

أعد الملف: نجيب التركي

سيرة أدبية:

- فتحية دبش تونسية مقيمة بفرنسا وحاملة للجنسيتين. متحصلة على الماستار في الأدب العربي من جامعة ليون. وشهادات أخرى من معاهد التربية والطفولة.
- أستاذة سابقة للغة العربية في تونس وأستاذة تعليم ابتدائي سابقة في فرنسا. مؤطرة للكهول حاليًا.

إصداراتها:

- رقصة النار ، قصص قصيرة جدًا ، طبعة أولى تونس 2017 وثانية 2023
- صمت النواقيس ، نصوص هجينة طبعة أولى مصر 2018 وطبعة ثانية 2021
- ميلانين ، رواية ، صدرت في 5 طبعات ، الأولى سنة 2019 ومترجمة للإنجليزية ، حائزة على جائزة كتارا للرواية العربية المنشورة في الدورة السادسة 2020
- البحث عن ديريدا ، ترجمة عن الفرنسية ، طبعة أولى العراق 2020
- جداريات العزلة ، أدب الجداريات الرقمية ، طبعة أولى ، تونس 2023
- أكثر من ذاكرة ، دفتر سفر ، طبعة أولى الأردن 2024
- ضفة ثالثة رسائل أدبية فتحية دبش وحسن المصلوحي من المغرب ، طبعة أولى ، المغرب 2025

كتب مشتركة:

- ترانيم القصص ، قصص قصيرة جدا. مصر 2017
- كتاب نقدي بعنوان الأدب الوجيز هوية تجاوزية ، طبعة أولى ، الاردن 2020
- عواصف غرفة الكاتب ، شهادات روائية ، طبعة أولى السعودية 2023
- كتاب نقدي في القصة القصيرة جدا ، طبعة أولى تونس2024
- رسائل عربية ، طبعة أولى فلسطين 2024

الروائية والمترجمة التونسية فتحية دبش لـ «سلاف»

ذاكرة المهاجرين بصفة عامة تشكو الكثير من التهميش والتنميط والماهوية

حوار/ نجيب التركي

فتحية دبش، روائية تونسية بارزة، تعتبر من الأصوات الأدبية النسائية المهمة في المشهد العربي المعاصر. وُلدت وترعرعت في تونس. تُعرف دبش بقدرتها على مزج الواقعية بالمتخيّل، وباهتمامها بقضايا المرأة، والهوية، والصراعات النفسية، والاجتماعية. أعمالها تتسم بالشفافية الأسلوبية والعمق النفسي، وتكشف عن انشغالات عميقة بالقيم الإنسانية، والمجتمع، والتاريخ الشخصي والجماعي. تعد فتحية دبش من بين الروائيات اللواتي أضفن بعدًا جديدًا للسرد النسائي في تونس، حيث استطاعت الجمع بين الرؤية النقدية والجرأة في الطرح والتمرس على لغة أدبية متقنة.

- روايتك تبدأ بتمهيد لافت قبل الصفحة الأولى، ما الهدف من هذا التمهيد؟ وهل هو دعوة للقارئ للدخول في أفق الرواية النفسي والوجودي؟

درج الكُتّاب على إدراج تمهيد في فواتح مؤلفاتهم ، وكنتُ دومًا أتساءل عن جدوى ذلك إن لم يكن بهدف توريط القارئ منذ البدء في أجواء الكتاب ، وحثّه على الغوص في عوالم الكاتب والكتاب. ذلك التمهيد ليس بالأمر الاعتباطي ، بل هو واحد من مفاتيح الكتابة والقراءة بوصفه عتبة من العتبات.

- الرواية تتنقل بين ضمائر مختلفة (الغائب، الجمع، الأنا). كيف اخترتِ هذه الاستراتيجية؟ وهل تعكس هذه التحولات العلاقة بين الفرد والجماعة والذات؟

هذا الاختيار فرضته ثيمة الرواية بما هي أسئلة الهوية ، واكتشاف الأنوية والغيرية ، ومحاولة فهم التعالقات بين الذات والموضوع ، وبين الأنا والآخر. وتعدّد الضمائر نابع من تعدّد الأصوات ، وهو دليل تقني تتوسله الثيمة للتأكيد على أن لا واحدًا من هذه الضمائر ، بوصفها حالات وجودية ، قادر على محو الآخر.

«التناص: هو تقنية أيضًا استقدمتُها من تقنيات الأدب الوجيز»

- الأسلوب السردي مكثف، قريب من لغة القصة القصيرة، مع جمل مركزة وإيقاع موسيقي داخلي. هل هذا الإيقاع مقصود لإشراك القارئ شعوريًا، أم أنه نتيجة طبيعية لرؤيتك السردية؟

الاختيارات التقنية في الكتابة ، بصفة عامة ، هي اختيارات واعية. وبما أنّني أنزع نحو التجريب في الكتابة الروائية ، فقد ارتأيتُ ضرورة الاستفادة من تقنيات الكتابة الوجيزة ، خاصة التكثيف والشاعرية ، وجملة من التقنيات التي تترك للقارئ مكانته متعةً وفاعلية. ويمكنني القول إنّ هذا الاختيار كان صائبًا كلّما رأيتُ اهتمام القرّاء والنقّاد بهذه الرواية.

- الميلانين، كاستعارة للون البشرة، يتحول إلى محور الهوية والانتماء والغربة. ما الذي دفعك إلى استخدام اللون كرمز مركزي في الرواية؟

لقد تحوّل اللون ، وبشكل خاص اللون الأسود ، إلى طبقة اجتماعية مهمَّشة ومُقصاة ، وموضوع رفض في جملة من الثقافات ، سواء العربية أو الغربية. كما تحوّل أيضًا إلى هويةٍ غالبًا ما كان يُنظر إليها بوصفها هويةً تابعة للآخر ، بتأثير من تجارة الرقّ التي كان الإنسان الأسود ضحيةً لها شرقًا وغربًا.

وكان لا بدّ ، وأنا أتناول الهويةَ الثابتَ منها والمتحوِّل ، أن أعتمد على اللون والميلانين ، في محاولةٍ لترحيله من حيّز الهامش إلى المركز.

- الرواية تواجه قضايا العنصرية والتمييز الاجتماعي. هل يمكن القول إن الميلانين هنا يمثل تجربة شخصية، أم أنه قراءة لمجتمعات متعددة؟

العنصرية هي ، في واقع الأمر ، تجربة لا يمكن الفكاك منها كلما وجد المرء نفسه في مجتمعات أو مجموعات تراه مختلفًا. وإذا كانت الكتابة ، بصفة عامة ، هي محاولة لفهم العالم ، فإنها بالضرورة معنية بمثل هذا السؤال. لا يكتب الكاتب تجاربه الذاتية بالضرورة ، ولكنه في الآن ذاته لا يكتب من فراغ. فصدى التجارب الذاتية مُحدِّدٌ مهمّ في تشكيل النصوص وفي اختيار الثيمات ، بنظري.

- كيف ترين دور الكتابة في مواجهة الصراعات المتعلقة بالهوية والاغتراب؟ هل هي ملاذ أم أداة للنقد والمساءلة الذاتية؟

الكتابة ليست مجرّد تمرين إبداعي ، بنظري؛ بل هي موقف بالضرورة ، ورؤية ، وسلاح في الوقت نفسه. ولذلك لا بدّ للكاتب من أن يسأل نفسه عن هدفه من هذا التمرين. والكتابة ، كفعل إبداعي معقّد ، تستلهم كثيرًا من هذه الأسئلة الوجودية المتعلّقة بالهوية وتحولاتها ، ومن الصراعات المرتبطة بالهوية والاغتراب. ومن هنا تصبح ملاذًا حين نبحث عن وطن وهوية ، وأداةً للنقد عندما نُشهِر موقفنا ، وهي أيضًا أداة للمساءلة الذاتية ، إذ نحدّد موقعنا من العالم ومن ذواتنا.

- رغم أن الرواية تتنقل بين تونس وفرنسا، إلا أن الرحلة فيها تبدو وجودية أكثر من كونها جغرافية. كيف توازنين بين المكان كفضاء واقعي وبين الرحلة الداخلية للبطلة؟

اختيار الأمكنة هو اختيار تقني بالضرورة ، بما أنّنا بصدد عمل روائي يقتضي تحديد الأفضية الزمانية والمكانية. ثمّ إنّ تونس وفرنسا بينهما ارتباط معقّد وملهم في الوقت نفسه ، وبالتالي يمثّلان حيّزًا جغرافيًا مثاليًا لطرح الثيمة.

للجغرافيا أثرٌ كبير في توجيه أسئلة الرواية ، وبالتالي في خلق توازنات واختلالات تعكس الهمّ الوجودي للشخصيات ، لا البطلة فقط بل جميعهم. لا يختار الإنسان جغرافيته بقدر ما يسير فيها بتأثير من عوامل عدّة ، منها الوراثة ، ومنها الهجرات القسرية أو الاختيارية ، غير أنّ هذه الجغرافيات تلعب دورًا هامًا في تحديد الأنوية والغيرية أيضًا ، وفي تحديد المسافات بين الإدراك وموضوعاته. والهوية ، كسؤال ، تتجاوز الخرائط المادية لتُشكِّل خرائط أخرى فلسفية ونفسية ، وهو ما حاولت تقديمه للقارئ.

«وحده النص من سيدافع عن وجهات نظره في غياب كاتبه وبمعزل عنه»

- هل كان اختيار الفضاءات الأوروبية جزءًا من مواجهة البطلة لصراعات الثقافة الغربية مقارنة بالشرق، أم مجرد مرايا للذات؟

اختيار الفضاءات الأوروبية في الرواية لم يكن ، في واقع الأمر ، مقصودًا لذاته ، رغم أهميته فيها. بل كان واحدًا من استراتيجيات الحِجاج ، وذلك بتوظيفه من خلال تقنية المرايا؛ لا مرايا الذات ، وإنما مرايا الجغرافيا. وتقنية المرايا مستجلَبة من حقل علم النفس ، إذ لا بدّ أحيانًا من التأمّل في الانعكاس حتى نصل إلى الإدراك.

- اللغة في «ميلانين» تبدو وكأنها موسيقى داخلية، تتصاعد وتهدأ، وتغمر القارئ في التجربة الشعورية للبطلة. كيف تولّدين هذا الإيقاع؟ وهل تعمدين إلى بناء الجملة بأسلوب يشبه العزف الموسيقي؟

سؤال يضعني ، حقيقةً ، أمام تحدٍّ كبير. كلّ ما أستطيع قوله إنّني أحبّ اللغة المصوَّرة والموسقة ، التي تحمل ألوانًا وإيقاعات تؤدّي المعنى من دون أن تغادر السرد نحو القصيدة.

- الرواية تحتضن التناص مع النصوص القرآنية والتراثية والذاكرة الجمعية. كيف تختارين هذه النصوص، وما الهدف من توظيفها في السياق الروائي؟

التناص: هو تقنية أيضًا استقدمتُها من تقنيات الأدب الوجيز. يلاحظ القارئ أنّ ميلانين رواية قصيرة ، لكنها كثيفة ومكثّفة ، والتناص واحد من هذه التقنيات التي تُشرك القارئ في عملية إنتاج المعنى ، وذلك باستدعاء ذاكرته القرائية ومرجعياته. كما يمنح التناص كلَّ نصٍّ اتساعًا وعمقًا يُغني الكاتب عن تحبير عشرات الصفحات.

- تناقشين عبر الزواج صدام المرجعيات الشرقية والغربية. هل الرواية تهدف إلى مساءلة القيم الاجتماعية فقط، أم محاولة فهم ديناميكيات العولمة والتباين الثقافي؟

الزواج هو المؤسسة الأقدر على تعرية ثقافات المجتمعات وأنساقها وقوانينها. وهو بالتالي المؤسسة الاجتماعية والقانونية التي يمكن من خلالها المقارنة بين المجتمعات. وفي الرواية تصوير لهذه الفروقات التي تسم الزواج والعلاقات العاطفية وتجعلها تواجه مثيلتها في الثقافة المقابلة. ليس الأمر مسألة تفاضلية ولكن الغاية هي كشف النواقص التي تحف بالعلاقات الاجتماعية والعاطفية وبالتالي مؤسسة الزواج.

- الرواية تعكس ذاكرة المهاجرين وتجاربهم في المدن الأوروبية. كيف وصلتِ إلى هذه الصور، وهل تمثل ذاكرة جماعية أم شخصية بطلتك؟

الكتابة عن ثيمة ما ، لا بد له الكثير من البحث والتحري والغوص في خفايا الموضوع. وبالتالي كنت ملتزمة بالقراءة المتأنية لكل ما يحف حياة المهاجرين والمهاجرات الذين سبقوني في اختبار تجربة الهجرة. بقي أن ذاكرة المهاجرين بصفة عامة تشكو الكثير من التهميش والتنميط والماهوية ومن هناك جاء التزامي بالكتابة عنها لا كذاكرة شخصية ولا كذاكرة جمعية وإنما كذاكرة إنسانية تتجاوز ضيق الأفراد نحو براح الوجود.

- زرتِ فلسطين وقدمتِ كتابًا بعنوان رسائل عربية. كيف أثرت تجربة زيارتك لهذا المكان على كتاباتك، وهل كانت هناك لحظات أو مشاهد ألهمتك مباشرة نصوصك الأدبية؟

فعلًا ، زرت فلسطين ، أو بالأحرى الضفة الغربية وحسب. وكانت الزيارة في إطار ملتقى غسان كنفاني للرواية العربية ، حيث قدّمت محاضرة حول ثيمة الرواية والهوية.

من هذه التجربة خرجت بكتاب عنوانه (أكثر من ذاكرة) وهو كتاب أصنّفه كدفتر سفر ، فيه الكثير من الحميمية في علاقتي بالمكان عامة ، وفلسطين خاصة. كانت تجربة ملهمة جدًا ، وأعتقد أنّني سأكتب عنها كثيرًا ، وسأستلهم منها أكثر. وبالمجمل ، أقول إنّ السفر تجربة تستحق الكتابة.

- كتبتِ الرواية، النصوص الهجينة، القصة القصيرة جدًا، وأدب الجداريات الرقمية، إضافة إلى الترجمات والكتب النقدية. كيف تختارين الشكل الأدبي أو النصي الذي يناسب كل فكرة أو تجربة، وهل هناك وسائط أو أنماط تحبين العودة إليها دائمًا؟

فعلًا ، أنا أعتبر نفسي مهاجرة حتى في الكتابة ، إذ لا أستقرّ على نوع معين ، وأنزع نحو التجريب وتنويع التجارب الإبداعية. فقد كتبت في القصة ، والرواية ، والترجمة ، والنقد ، وغيرها من الأنواع والأجناس الأدبية ، ولا أظنّ أنّني معنية كثيرًا بسؤال العودة إلى كتابة معيّنة. بل أنا معنية أكثر بترافد كل هذه التمارين الإبداعية من أجل إثراء تجربتي

الخاصة في المجال.

- الخاتمة تربط بين التحليل الجيني وفعل الكتابة، من الفرد إلى الذاكرة الجمعية. ما الرسالة التي ترغبين أن يخرج بها القارئ من هذه النهاية؟

في واقع الأمر تقوم الذاكرة بصناعة جزء كبير من الهوية لغةً وتمثلات وتاريخًا... هذه الذاكرة ليست محايدة مطلقًا ، ولكنها تنصاع إلى كم من المعلومات القبْلية فتتشكل الصور وفقا لها. ولذلك برأيي فإن علاج الآفات الاجتماعية يبدأ أولا من النبش في الذاكرة الجمعية وتنقيتها من شوائبها حتى نظفر بأفراد أقرب ما يكون إلى الاعتدال.

- هل تخافين من سوء فهم القارئ؟ وكيف تتعاملين مع التلقي المختلف بين القراء من خلفيات متنوعة؟

نعم ككل الكتاب أخاف من سوء فهم القارئ وككل الكتاب لا أملك إزاء القرّاء حولًا ولا قوة. وحده النص من سيدافع عن وجهات نظره في غياب كاتبه وبمعزل عنه.

في مرحلة ما كان يغضبني سوء الفهم وأشعر بالكثير من الغضب الذي يجعلني شديدة الصرامة مع الكاتبة التي فيّ. الآن وربما مع الوقت والنضج لم أعد أنتبه كثيرًا إلى ذلك. فالأهم بالنسبة لي هو الظفر بالقارئ. ولكنني أبقى شديدة الحذر لأن سوء فهم القارئ قد يؤدي بالكاتب إلى الهلاك.

ميلانين: وشم في ساحة الاتهام

رانيا رسام

ما الذي يمكن أن يكتبه من قرأ رواية (ميلانين) للروائية التونسية فتحية دبّش ، بعد أن سبقه كثيرون في الاحتفاء بجمالها وعميق أثرها؟ وما الذي يمكن أن يُقال اليوم ، ولم يُقل من قبل ، عن رواية حازت جائزة كتارا للرواية العربية في دورتها السادسة عام 2020؟

تبدأ أولى خيوط الجذب من العنوان نفسه ، عنوان ذكي يستعير مفردة بيولوجية تعود إلى الصبغة الطبيعية التي تحدد لون الجلد والشعر والعينين ، كونها معطى لا يد للإنسان في اختياره أو التحكم بدرجته. وبالرغم من ذلك يتحول إلى معيار إقصاء وتمييز وعنصرية ، يمارسها بعض البشر دون أن يشعروا بفداحتها. وتلخص الرواية هذه المفارقة بعبارة لافتة: «هناك دائمًا حدث ما أو شخص ما أو عبارة ما يذكرك الآخرون من خلالها بأنك مختلف. لابد لك من تبعية ما حتى يستأنسوا إليك إن استطاعوا».

من هذه العتبة تنطلق الكاتبة ، وقد رسمت بوضوح ملامح ثيمتها الأساسية. والتجربة التي سيخوضها القارئ ستغمره بالامتلاء كلما توغل في عالم هذه الرواية وتفاصيلها.

أنيسة عزوز: اتساع التيه

تدخلنا الرواية إلى عالمها عبر الشخصية الرئيسية ، الكاتبة والصحفية (أنيسة عزوز) ، التي تستعيد هجرتها من قريتها الصغيرة إلى العاصمة تونس ، فتواجه التيه باتساعه لأول مرة ، ثم من هناك إلى باريس ، حيث يبلغ التيه مداه الأقصى.

تسافر أنيسة إلى فرنسا لتوثيق أوضاع المهاجرين ، وهناك تصادف ملفًا كانت قد أعدته سابقًا عن شخصية محورية ستكتب عنها: (رقية القايد) ، التي هاجرت إلى فرنسا في سن السادسة أواخر ثمانينيات القرن الماضي. ومن خلال هذا الملف ، تنفتح أمام القارئ عوالم موجعة عن حياة المهاجرين ووحشة الاغتراب وتصدعات الانتماء.

الهوية: همّ فردي وأرق جماعي

الهوية في (ميلانين) ليست فكرة عابرة ، بل سؤالًا وجوديًا. ويتجلى ذلك عبر صوت (أنيسة) التي تصرح بانحيازها إلى فكرة العدل وإنصاف الذات ، ثم انتزاع الهوية من العالم.

تظهر هذه الثيمة بوضوح في الحوارات التي تجريها أنيسة مع قرائها عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، حيث تكتب في أحد منشوراتها: «الذين يدافعون عن هوية ثابتة يسيرون عكس الحتمية ، فالهوية متحركة متحوّلة ، شأنها شأن كل ما يتأثر بعوامل بعضها من الداخل وبعضها من الخارج».

فالهوية بحسب سياقها السابق تتشكل ككائن حي يتغير باستمرار.

حكاية داخل أخرى:

من أبرز التقنيات السردية التي اعتمدتها الروائية فتحية دبّش ، وبحسّ حداثي لافت ، تقنية الرواية داخل الرواية. فأنيسة ، بوصفها الساردة ، تكتب روايتها عن رقية ، فتُشرك القارئ في مرحلة التدوين لا في المنتج النهائي وحده؛ إذ يرافق تشكيل النص ، ويتابع قراءة القصاصات والرسائل المتبادلة بين رقية وزوجها سهيل ، لتتكون طبقات سردية متداخلة تُثري العمل وتكسر خطيته التقليدية.

وتتعزز هذه التقنية حين تُؤثّث مشاهد الكتابة عبر نشر أنيسة نصوصًا متفرقة على فيسبوك تحت اسم «نصوص أنيسة عزوز» ، حيث يتفاعل القراء معها ، ويطالبونها بتغيير النهاية إذا ما فكرت في قتل أبطالها. بهذا المزج بين الواقعي والمتخيَّل ، تتقلص المسافة بين النص وقارئه ، فيعيش الأخير مع الكاتبة تفحص مسودة الرواية ، نحت ملامح الشخصيات ، وتدقيق خيوط الحكاية ، وبهذا يُكسر «البعد الرابع» بسلاسة ووعي سردي ممتع.

كما أن هذه الإشارات الذكية إلى النشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي والتفاعل مع القراء ، تعكس واقع الكتابة المعاصرة ، حيث لم يعد النص معزولًا عن قارئه.

الرسائل: كشف الغربة وتشظي الانتماء

يتيح حصول أنيسة على هاتف رقية ، بما يحتويه من ملفات ورسائل ، نافذة على عالم الشخصية. ومن خلال هذه الرسائل تتكشف الغربة بوصفها جرحًا مفتوحًا ، وقصة المهاجر الذي يتأرجح بين عالمين: لا ينتمي تمامًا إلى وطنه الأم ، ولا يُقبل في الوطن الجديد كأحد أبنائه. ومع هذا التشظي ، يتآكل كل شيء: اللغة ، والذاكرة ، وحتى القدرة على التواصل. يصل الجيل الثالث من المهاجرين إلى لحظة لا يعرف فيها لغة أجداده ، بينما يغرق الآباء في بحر لغة لا يفهمونها جيدًا. تترك هذه الرسائل مساحات واسعة لتخيّل المشاعر وعيشها ، دون أن تُغلق النص على معنى واحد.

رصانة اللغة وجزالتها:

لغة الرواية سلسة ومتماسكة ، مشبعة بالشاعرية والصور الكثيفة. ففي إحدى رسائل رقية إلى سهيل تقول: «أتقوقع بين طيات أرديتي ، وأمد يدي لأخمد صوتها ، وأسترسل في قراءة الليل المنتشر على نهاراتي منذ غيابك... أطفئ الأنوار ، وأقذفني في شوارع مدينة الموتى...».

ويكتب سهيل في قصاصة أخرى: «حدثني - تقولين - إن كنت صادقًا عن الموت! عبرت الصقيع والجوع ولم يقتلني إلا وطن سكنته فخان وأمل طاردته فنجا مني ...».

هذه اللغة تمنح الألم عمقًا وجدارة فنية. كما تستثمر الرواية مصطلحات متداولة في بلد المهجر أو في أوساط المهاجرين ، مثل كلمة الراكاي/ الحثالة وتوضح أنها مصطلح استخدمه نيكولا ساكوزي لوصف من أنجبتهم محافظة سان سان دونيس التي اقترن اسمها بالجريمة والعصيان والفقر.

ختامًا:

يمكن القول إن رواية (ميلانين) فيها اشتغال سردي واعي يشحن عقل القارئ وقلبه معًا ، لتغدو تجربة القراءة رحلة في أعماق الوجع الإنساني ، مشبعة بجمال اللغة وعمق الرؤية. رواية عن الهوية... عن فعل الكتابة... وعن الإنسان في هشاشته ، تثير التساؤل دون منح إجابات مغلفة جاهزة... لديها القدرة على مساءلة القارئ ، لا استرضاءه ولا إصدار الأحكام عليه.

قراءة عن رواية ميلانين

ملاك عمار

تُعدّ رواية «ميلانين» (2019) عملًا استثنائيًا في المشهد السردي التونسي والعربي؛ إذ استطاعت الكاتبة فتحية دبش أن تضع قضايا الهوية واللون والتمييز العرقي في صدارة الاهتمام الأدبي ، بلغة تتراوح بين الشعرية والواقعية القاسية.

عنوان الرواية - «ميلانين» ليس اعتباطيًا ، فهو يحيل إلى المادة الصبغية المسؤولة عن لون البشرة في الإنسان ، لكنه في السياق الرمزي للرواية يصبح مجازًا عن الاختلاف والتمييز ، وعن جرح الإنسان في إنسانيته

-1 الهويه والاختلاف:

الرواية تطرح سؤالًا فلسفيًا حول معنى أن تكون مختلفًا

- لونيًا ، عرقيًا ، أو اجتماعيًا. البطلة (ذات البشرة الداكنة) تواجه نظرات المجتمع وتجاربه العنصرية ، لتتحول من ضحية إلى شاهدة على واقع ما زال يحاكم الإنسان بناءً على لونه لا وعيه

-2المرأة بوصفها مرآة المجتمع:

الكاتبة تجعل من الجسد الأنثوي ساحة للصراع

الاجتماعي

من الناحية الفنية ، تميزت الرواية ببناء سردي متماسك وحوار داخلي غني يكشف عن عمق الشخصيات. أما من حيث المضمون ، فهي تطرح قضية الآخر المختلف من منظور أنثوي حساس ، يجعل القارئ يعيد التفكير في مفاهيم الجمال والقبول والهوية.

رواية ميلانين ليست مجرد حكاية عن اللون أو العرق ، بل هي صرخة إنسانية ضد القوالب الجاهزة ، ودعوة إلى النظر إلى الإنسان كقيمة مطلقة. بأسلوبها الهادئ والعميق ، استطاعت فتحية دبش أن تكتب رواية تحتفي بالاختلاف وتدين التمييز ، لتجعل من الأدب مساحة للوعي والتغيير

•مواضيع قابلة للمناقشة في رواية

ميلانين:

1. الهوية والانتماء

★ كيف تبحث الشخصيات عن جذورها

في عالم

يرفض الاختلاف؟

★ هل الهوية تُبنى على اللون أم على التجربة الإنسانية؟

2. التمييز العنصري والاختلاف اللوني

★ كيف تُظهر الرواية قسوة المجتمع تجاه

من يختلف في لونه أو مظهره؟

★ ما رمزية «الميلانين» في كشف الطبقية أو التفوق

الزائف؟

3. الاغتراب الداخلي والخارجي

★ الشخصيات لا تعيش اغترابًا مكانيًا فقط ، بل نفسيًا أيضًا.

★ كيف تُصوّر الكاتبة العزلة التي يشعر بها الفرد المختلف في مجتمعه؟

4. المرأة وصراعها مع المجتمع

★ كيف تجسد الرواية تجربة المرأة التي تعاني من التمييز المزدوج: لونها وجنسها؟

★ إلى أي مدى تنجح الكاتبة في إعطاء صوت للمرأة المهمشة؟

5. العلاقة بين الجمال والمعايير الاجتماعية

★ كيف تنتقد الرواية الصورة النمطية للجمال في المجتمع العربي؟

. هل الجمال في الرواية هو مسألة شكلية أم أخلاقية وروحية؟

6. البحث عن الحرية والكرامة الإنسانية

. كيف تتحول رحلة الشخصيات من صراع مع اللون إلى سعي للتحرر من القيود الاجتماعية؟

★ ما علاقة الكرامة الإنسانية بالاعتراف بالاختلاف؟

7. الرمز والدلالة في الرواية

★ ما دلالة عنوان الرواية «ميلانين» في بنيتها الرمزية؟

★ كيف استخدم اللون كرمز للتنوع لا للتمييز؟

8. الهجرة كخيار وجودي

★ هل الهجرة في الرواية هروب من الاضطهاد أم بحث عن الذات؟

★ كيف تتقاطع تجربة الهجرة مع الهوية والذاكرة؟

قراءة في كتاب الأديبة الناقدة فتحية دبّش «صمت النواقيس»

حسيبة صنديد قنوني - تونس

أقف أمام كاتبة وناقدة متميّزة بحرف جميل وفكر مستنير ، فكلما قرأتُ بعض كتاباتها على صفحات الفيسبوك وجدتُ نصوصًا مكثّفة ، وأستشفّ معاني عميقة لا يقدر عليها سوى قلم قادر ، وعين ناقدة. فكيف لي أن أخوض غمار بحرها الممتدّ وأجازف بالتجديف فيه؟ لكنني سأدلي بدلوي عبر جولة في كتابها ، وبالنقد نزهر ونثمر ونرقى. فماذا يخبّئ هذا الكتاب؟ وما سرّ هذا العنوان؟ ولماذا صمتت النواقيس يا ترى؟

«صمت النواقيس» كتاب في تسعين صفحة ، طُبع في مصر ، وكُتب بخط رقيق ، ولو كُتب بخط أغلظ قليلًا لكان عدد صفحاته ضعف ذلك. الكتاب في شكله الخارجي بسيط من حيث فنّيات الخط والصورة ، والوجه الخلفي لا يحمل صورة الكاتبة أو فقرة مختارة من المحتوى ، لكنه يحمل في طيّاته ما يُبهر ويُغري بالقراءة وإعادة القراءة. لذلك لم أجد الغلاف يرقى إلى مستوى الأفكار العميقة واللغة المتينة التي كُتبت بها هذه الأقاصيص.

قال أحد الأدباء: «القبض على القارئ الجيّد أصعب من القبض على الأرنب» ، وها هي الكاتبة الراقية فتحية دبّش قد قبضت عليّ منذ أول قراءة لعنوان كتابها «صمت النواقيس».

تصفّحتُ الفهرس ، وهرعتُ إلى قراءة هذه القصة القصيرة قبل غيرها من الأقاصيص المدرجة في الكتاب. فلماذا شدّني هذا العنوان يا ترى؟ هذا التركيب الإضافي المتكوّن من كلمة «صمت» كمضاف و«النواقيس» كمضاف إليه ، شممتُ منه رائحة قضيّة كبيرة. فالنواقيس تذكّرني بالكنائس المسيحية ومناداة الناس للصلاة ، والصمت يوحي بالوحشة ويُوجِس في النفس خطرًا محدقًا في بعض الزوايا. والعنوان في مجمله يذكّرني بعنوان الفيلم السينمائي لمفيدة التلاتلي «صمت القصور» ، وما يجري من أحداث مربكة داخل أروقة القصور وخلف الأبواب الموصدة.

وفي قصتنا هذه نكتشف ما جرى خلف الحجاب مع الأب راؤول في الكنيسة. جاء على لسان الطفل:

«هذا الأسبوع سيكون دوري في طلب الشفاعة ، سيأخذني خلف الحجاب وسأدفع ثمن حماقاتي ، لكنني لا أفهم سرّ الأب راؤول في اهتزازه العنيف وهو يأمرني بفكّ أقفاله الواحد تلو الآخر».

ويضيف: «بدا أكثر صرامة ، وغالى في شروط الشفاعة ، طلب مني أشياء غريبة...».

هذه قضية من جملة القضايا التي طرحتها الكاتبة ، وهي قضية التحرّش بالأطفال ، قضية شائكة ومنتشرة في كل المجتمعات.

نجد أيضًا قضايا أخرى ، مثل تحرّش الشيخ بصبيّة في الحافلة كما في قصة «الدمى الملعونة» ، أو اغتصاب الخال لابنة الأخت في قصة «فلاش باك» ، واغتصاب العم لابنة الأخ في قصة «دماء» ، والتغرير بالفتاة القاصر البلهاء واغتصابها من طرف ابن الجيران في قصة «زينة الحياة الدنيا». وكلها قصص واقعية تناولها بالبحث مفكّرون وباحثون وإعلاميون وعلماء اجتماع ودين ، كما نرى ونسمع في الحياة اليومية في مجتمعات مختلفة.

وكأنّي بالكاتبة فتحية تتقمّص كل هذه الأدوار وتضيف عليها من حسّها الوجداني وفكرها النيّر لتخرجها في ثوب أدبي بديع ، بقلم حرّ مناضل من أجل الكرامة والقيم النبيلة.

في نصوص أخرى تطالعنا الكاتبة بطرافة بعض المواضيع ، كثورة الياسمين والقولة المشهورة: «لقد هرمنا من أجل هذه اللحظة» ، وفي قصة «المأتم 1» حيث جعلت الميت يتكلم ويتحاور مع زوجته. كما حدّثتنا عن الحفاظ على بعض التقاليد البالية في نص «حرمة» ، وعن الحراقة ، والإقامة غير الشرعية ، والغربة ، والوحدة ، ومعاناة السجين المحرَّر ، وآثار التغيّر الذي يحدث في نفسه وفي المكان الذي رجع إليه ، كما في نص «المخصي» ، وهو عنوان مناسب وموجع في ذات الوقت ، اختارته الكاتبة دون غيره لتُشعر القارئ بعمق معاناته ووجعه وذلّه:

«تلك الليلة تلوّنت الدقائق بالدموع وحرقة السؤال ، جفّت المآقي التي تحتلب دمعًا سال طوال سنوات ، نظر إلى الحائط ورأى أحلامه معلّقة في شهاداته المبرَزة وجافة جفاف الحبر بعد السيلان».

«جلس بينهم غريبًا ، يقتفي آثار الماضي الذي بدّدته الأبواب المغلقة وسياط الجلادين والخيبة».

كل هذه النصوص مثّلت بعضًا من جوانب الحياة ، وكانت عصارة فكر ومجموعة أفكار جاءت على ألسنة ضمائر متعدّدة ، وتراوحت بين ثنائيات الحياة والموت ، والحضور والغياب ، والسفور والنقاب ، والكبير والصغير ، والدين والعلمانية. هدفها لفت النظر إلى مآسي الإنسان ، والبحث عن الحلول الكفيلة بكرامته. وميزتها تأمّل في الحياة بعينٍ ثاقبة تقتنص الأحداث وتجابهها بالنقد.

وفتحية ذاتها تقول عن نفسها:

«كلّما قرأت نصًّا لي أو لغيري ، غلبتني العين الناقدة فيّ ، وغالبني قلبي المتمرّد الذي خاض في العاري والمتواري ، وصرت حقًّا أنحاز إلى ما أسمّيه أدب الفكرة قبل أن أبحث عن النوع الأدبي».

أما عن العناوين في هذا الكتاب ، فقد جعلتها الكاتبة مختصرة ، أغلبها في كلمة واحدة نكرة أو معرفة ، لكنها ذات دلالة عميقة تفتح الأبواب على أفكار متشعّبة جديرة بالدراسة والتحليل ، وباعثة على التشويق والترغيب في اكتشاف خبايا النص. نذكر منها: ولادة ، حساب ، مأتم ، ندبة ، عزاء ، فصول ، دماء ، زهرة ، فلسفة ، نهاية ، إضافة إلى عناوين في مركّبات مختلفة كالمركّب الإضافي ، والمركّب النعتي ، والمركّب العطفي. وكلها تنمّ عن مقدرة الكاتبة وإمكانياتها الأدبية الرفيعة ، وعن محاولة القبض على القارئ لاستدراجه إلى القراءة والاكتشاف.

لفت نظري عنوان «زينة الحياة الدنيا» ، فالعنوان في ظاهره فرح وزينة حياة ، يبعث الأمل ويشرح النفس ، وفي باطنه غمّ يحمله أب يواري خطيئة ابنته الحامل بجنين غير شرعي ويأخذها إلى الإجهاض. ولعلّ الكاتبة أرادت بهذا العنوان المخاتل أن تُبرز سخرية من القدر البائس ، ومن همّ الشباب المائع الذي ينغّص حياة الوالدين بأفعاله الطائشة.

الجمالية في هذه القصص

عن اللغة والجمالية في هذه النصوص ، يمكن أن نتساءل: هل يوجد جانب البعد الفنّي فيها؟ وما مدى ما يتوافر من خلالها من قوّة التأثير في نفس القارئ؟ وهل استطاعت الكاتبة أن تجمع بين الوظيفتين الفكرية والجمالية وتحقق التوازن بين التفكير العقلي وملكة التعبير الفنّي؟

كثيرة هي الأمثلة ، ومتعدّدة هي الألفاظ والاستعارات والتشابيه والمجازات التي استعملتها في أغلب نصوصها. فبرغم الاختصار والتكثيف ، جاءت بعض التعابير مذهلة ، تجلّت في ثوب خيال برّاق ، وروح عاطفة شفّافة ، وعصارة فكر صريح جريء ، يبحث عن الحلول لقيم ما فتئت تضعف وتنحلّ ، بأسلوب شيّق وجميل يغري بالقراءة الشاعرية ، يخرج بعدها القارئ وقد أُشبِع فكرًا وحسًّا ، وامتلأ بلذّة القراءة.

ولذّة القراءة هي التي جعلها الناقد الفرنسي رولان بارت شرطًا أساسيًا في الحكم على قيمة النص أو كاتبه. لذّة القراءة هنا بمذاق مختلف ، لكاتبة أتقنت فنّ القصّ القصير ، واعتمدت في أسلوبها على جمل قصيرة تفصل بينها فواصل دون الاحتياج إلى أدوات الربط ، فجاءت جميلة ، عميقة ، حيّة ، مستساغة ، مما يجعلها بعيدة عن الرتابة والملل ، وشبيهة بالنثر الشعري أحيانًا.

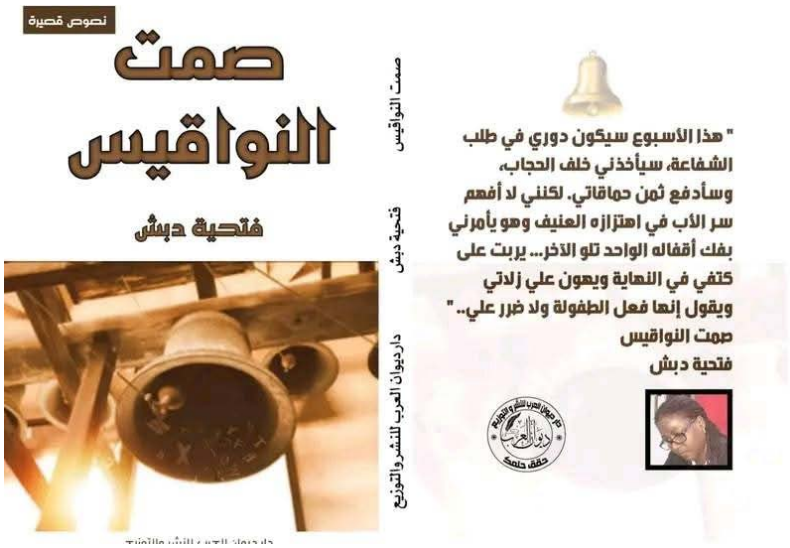

ولكم عبر جولتكُم بين السطور تذوّق واختيار ، وسأكتفي بهذه الجمل لأبرز بعض مواطن الجمال:

في قصة «هو وهي والكلاب» تقول:

«...ذيّلت رسالتها ، كتبت: يا ربّ أحجيتي الجميلة ، في أيّ معبد سأشعل سراج الشوق وقد احترقت كل المواقد؟ كيف نجوت من الكلاب ومنك ما نجوت؟ في الصباح سار رجال الحيّ ونساؤهم خلفها ، كانت هي الأخرى قد سافرت إلى غيمة المطر الخرافي».

وفي قصة «بين بين» تقول:

«مرّت سنوات ولم يأت... دبّ الثلج في الفراش وفي القلب ، وترهّلت أمنيات اللقاء على إحدى الضفّتين».

«على تخوم اليأس تركت لعينيها أن تنظرا في المرآة يوم التقته ، يغزل لشوقها الرؤى».

الخاتمة

في الختام ، أقول إن الأديبة الناقدة فتحية دبّش قد رسمت في هذه المجموعة القصصية أفكارًا بهندسة فنّية رائعة ، جمعت فيها بين الفكر والجمال ، والواقع والخيال ، بروح إنسانية عالية تنشد الإصلاح والعلاج والكرامة لإنسان ضلّ طريقه في زحمة زمن رديء وقيم منهارة ، وهذا هو الهدف الحقيقي الذي يسمو به الأدب الراقي.

ويرى الدكتور ربيع عبد العزيز في دراسة له بعنوان «النقد الأدبي الحديث» أن «الأدب ليس مجرّد محاكاة فنّية لا هدف لها سوى إشباع حاسة الجمال لدى النخب التي تتذوّق الأدب ، بل هو محاكاة اجتماعية في عبارة فنّية».

ومن يكتب بهذه الأفكار وبهذا الأسلوب لا يمكن أن يكون إلّا صاحب ضمير حيّ ، ووجدان سليم ، وتصور صحيح ، وخيال واسع ، وذلك لعمري فضل الأدب والموهبة:

﴿وذلك فضلُ اللّه يؤتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم﴾

أوس الإرياني

اليمن جوهرة
ليتها كانت في يد فحّام

لا شكّ أنّ عبارة «جوهرة في يد فحّام» تعتبر «نمطيّةً» جدًّا ، وتُكرَّر كلما رأينا ما هو غالٍ ونفيس في يد مَن لا يقدّره حقّ قدره. لكن كم منّا يعرف أنّ هذه العبارة قالها في مطلع القرن العشرين زعيم تونسي هو عبدالعزيز الثعالبي الذي زار اليمن حينها ، وقال عنه هذه العبارة.

لن أدخل أبدًا في دهاليز السياسة لأحمّل هذا الطرف أو ذاك أو هؤلاء أو أولئك المسؤولية في الوضع الحالي لليمن لأنّ هذه المجلة ثقافية آلينا فيها أن نتجنب الخوض في شرك السياسة ، ولا يهمّني أن أشير بإصبع اتهام لطرف محدّد لأن ما لدي من أصابع لا يكفي الأطراف الموجودة على الساحة ، ولن أرفع سبابتي بوجه مَن أعتبره المسؤول عما يحدث للتراث اليمني بمختلف قطاعاته حتى يكون أمامي طرف واحد أستطيع لومه دون تأنيب ضمير.

ليس ضربًا من الشوفينيّة أو التعصّب الأعمى غير المنطقي أن أقول إن التراث اليمنيّ تراثٌ عريق لم يُوفَ حقّه ، فإذا كانت هناك خلافات حول بعض العبارات التي لا أساس علميّ لها مثل: «أصل العرب» أو أن صنعاء «أقدم مدينة أو حتى أقدم عاصمة» ، فإن أهمية التراث اليمنيّ لا يختلف عليها اثنان.

إنّ لحماية التراث طرقًا عديدة قد يتعذّر تنفيذ بعضها ، ويُؤجّل البعض الآخر بسبب الظروف التي يمرُّ بها يمننا الحبيب لكنّ أهمّ هذه الطرق هو «التوثيق».

كان تراثنا غير المادّيّ في سنوات ما قبل الحرب هو الأكثر عرضة للسرقة ، وهذا أمر طبيعيّ ، فسرقة لحن ، أو أغنية ، أسهل بالتأكيد من سرقة نقوش تصوّر مَن يعزفن ويعزفون بآلات موسيقية قديمة ، وسرقة نمط معماري أو تشكيل هندسي أكثر منطقية من سرقة مبانٍ ، وكسدود ، وسواقي مياه.

واستطاعت مبادرات مؤسسية وشخصية بسيطة -لهم جميعا كلّ الشكر- توضيح الصورة للملايين حول العالم من خلال نشر أغانٍ عربية حديثة ، وأصولها اليمنية التي حُفظتْ وسُجّلت من سنوات طويلة. هذه الجهود البسيطة أثّرت فعلًا وصار العديد من الناس يعرفون أنّ كثيرًا من الأغاني والألحان والفنون اليمنية قد تمّت نسبته إلى آخرينَ ظلمًا وعدوانًا. نحن نحتاج إلى مبادرات كهذه في مجالات عدّة تحفظ للتراث اليمنيّ هويّته.

أما الذي استجدّ في سنوات الحرب أنّ تراثنا المادّي نفسه -لا التراث اللامادّي فقط- صار منهوبًا ، والعار كلّ العار أنّ البعض يرى في ذلك شيئًا عابرًا لا أهمّية له ، أو يردّ بالعبارة التي تستفزّني عند إثارة أيّ حدث يقع فيه سرقة آثار: «قد راحت بلاد جَت على شويّة حجار».. وهي عبارة استسلامية لا معنى لها خاصّة عندما يقولها لك شخص في الفيسبوك! راحت البلاد ، وهو ما يزال مرابطًا في الفيسبوك يردّ بعبارات كهذه! لكن فعلًا. قد يكون خروج هذا الكنز التراثي إلى الخارج حماية له من أيدٍ لا تعرفُ قدره ، لكنّ في خروجه خسارة كبيرة لنا ، وللوطن. وكأنّ هذه المجموعة من النقوش ، والمخطوطات ، والآثار ، غادرت البلد ، واستقرّت في الخارج ، لأنّها ضاقت ذرعًا بخلافاتنا المستمرّة ، وانزعجت من مشادّاتنا الكلاميّة ، فسافرت في إجازة! أو أحسّت بعدم التقدير ، فبحثت عمّن يقدّرها حتى لو كان فحّامًا.

سلاف للنشر
Sulaf for Publishing

مركز سلاف للتدريب
Sulaf Training Center

Thuraya Satellite Communication
الهاتف السيار عبر الأقمار
الصناعية

YahClick
Satelite Internet
الإنترنت عبر الأقمار
الصناعية

VSAT
Data Communication
تبادل المعطيات
عبر الأقمار

International Capacity
Solutions
حلول السعات الدولية

IDD
International Direct Dialing
الاتصال الدولي المباشر

IDLA
Internet Dedicated Line
Access
خطوط الإنترنت المخصصة

IPLC
International Private Laesed
Circuits
القنوات المؤجرة الدولية

www.teleyemen.com.ye

تيليمن بوابتك على العالم

تيليمن TeleYemen
تبقيك على اتصال

مركز خدمات الزبائن 8000153